DEPICTION OF ARAB REALITY: AN ANALYTICAL STUDY OF IBRAHIM NASRULLAH'S *ASHURFAT*

Thesis submitted in partial fulfillment of requirements for the Award of the Degree of Doctor of Philosophy in Arabic Language and Literature

Submitted by

MOHAMED RAFEEQ KUNNATH

Under the Supervision of

Prof. (Dr.) Abdul Raheem. M. K

Head of the Dept. of Arabic, Govt. Victoria College, Palakkad

Research Supervisor in PG & Research Department of Arabic

P.T.M. Government College, Perinthalmanna, Malappuram, Kerala, India

Dr. Mohammed Noorul Ameen. V

Co-guide & Associate Professor in PG & Research Department of Arabic

P.T.M. Government College, Perinthalmanna, Malappuram, Kerala, India

University of Calicut

2025

تصوير الواقع العربي في الروايات *الشرفات* لإبراهيم نصر الله: دراسة تحليلية

أطروحة مقدمة إلى جامعة كاليكوت لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

قدّمها:

محمد رفيق كونات

وأشرف عليها:

البروفيسور (الدكتور) عبد الرحيم. م. ك.

رئيس قسم اللغة العربية، كلية فيكتوريا الحكومية، فالكاد

ومشرف البحث في قسم الماجستير والبحث في اللغة العربية وآدابها، كلية السيد فوكويا التذكارية الحكومية، فرينتالمانا، كيرالا، الهند

والدكتور محمد نور الأمين. و.

المشرف المشارك والأستاذ المشارك، في قسم الماجستير والبحث في اللغة العربية وآدابها، كلية السيد فوكويا التذكارية الحكومية، فرينتالمانا، كيرالا، الهند

جامعة كاليكوت - ٢٠٢٥

فهرست المحتويات

الأبواب والمباحث	رقم الصفحة
مقدمة البحث	٦
تحليل العنوان	٧
دوافع اختيار الموضوع	٨
منهج البحث	٩
مشكلة البحث	٩
أهداف البحث	١٠
الدراسات السابقة	١١
خطة البحث	١٤
كلمة الشكر	١٥
الباب الأول :الو اقع العربي في الرو ايات العربية	١٩
الفصل الأول: علاقة الأدب بالمجتمع	١٩
الفصل الثاني: تصوير الو اقع العربي في الرو ايات العربية	٢٦
الباب الثاني :إبراهيم نصر الله: الشخص والشخصية	٤٥
الفصل الأول: إبراهيم نصر الله: الشخص	٤٥
المبحث الأول: مولده وطفولته ودراسته	٤٥
المبحث الثاني: وظائفه الرسمية	٤٦
الفصل الثاني: إبراهيم نصر الله: الشخصية الأدبية	٤٨
المبحث الأول: نشأته الأدبية	٤٨
المبحث الثاني: إبراهيم نصر الله الشاعر	٤٩

المبحث الثالث: إبراهيم نصر الله الروائي	٥١
المطلب الأول: العوامل المؤثرة في تجربة نصر الله الروائية	٦٤
المبحث الرابع: موهبته في الفنون الأخرى	٦٨
المبحث الخامس: الجوائز التي حصل عليها	٦٩
الباب الثالث: جماليات رو ايات الشرفات الفنية	٧١
الفصل الأوّل: مشروع الشرفات	٧١
المبحث الأوّل: استراتيجية العنوان *الشرفات*	٧٣
الفصل الثاني: الرو اية *شرفة الهنديان*	٨٠
المبحث الأول: تعريف بالرواية	٨٠
المبحث الثاني: ملخص الرواية	٨٠
المبحث الثالث: الشخصيات في الرواية	٨٣
المبحث الرابع: تقنيات السرد في الرواية	٨٨
الفصل الثالث: الرو اية *شرفة رجل الثلج*	١٠١
المبحث الأول: تعريف بالرواية	١٠١
المبحث الثاني: ملخص الرواية	١٠١
المبحث الثالث: الشخصيات في الرواية	١٠٥
المبحث الرابع: تقنيات السرد في الرواية	١١٢
الفصل الر ابع: الرو اية *شرفة العار*	١٢٤
المبحث الأول: تعريف بالرواية	١٢٤
المبحث الثاني: ملخص الرواية	١٢٤
المبحث الثالث: الشخصيات في الرواية	١٢٧

المبحث الرابع: تقنيات السرد في الرواية ١٣١

الفصل الخامس: الرواية *شرفة الهاوية* ١٥٠

المبحث الأول: تعريف بالرواية ١٥٠

المبحث الثاني: ملخص الرواية ١٥٠

المبحث الثالث: الشخصيات في الرواية ١٥٤

المبحث الرابع: تقنيات السرد في الرواية ١٦٠

الباب الرابع :تصوير الواقع العربي في الروايات الشرفات ١٧١

الفصل الأوّل: الواقع السياسي العربي في الشرفات ١٧١

المبحث الأوّل: النظام العالمي الجديد ١٧١

المبحث الثاني: النظام العربي ١٨٤

المبحث الثالث: المواطن العربي ١٨٧

المبحث الرابع: قمع المواطن ١٨٨

المبحث الخامس: الفساد السياسي ١٩٥

الفصل الثاني: الواقع الثقافي العربي في الشرفات ١٩٨

المبحث الأوّل: إدانة الوسط الثقافي ١٩٨

الفصل الثالث: الواقع الاجتماعي العربي في الشرفات ٢٠٧

المبحث الأوّل: جريمة الشرف ٢٠٧

المبحث الثاني: الاغتصاب ٢١٥

المبحث الثالث: الدعارة ٢١٩

المبحث الرابع: الرفض التام للتغير الاجتماعي ٢٢٢

المبحث الخامس: تداعي القيم ٢٢٥

المبحث السادس: الاغتراب ٢٢٧

خاتمة البحث ٢٣٤

توصيات الدراسة ٢٤٥

المصادر والمراجع ٢٤٦

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المخلوقين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد، فهذه أطروحة بحث أكاديمي، تم إعدادها للتقديم إلى جامعة كاليكوت، كيرالا، الهند، لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة في اللغة العربية وآدابها على عنوان "تصوير الواقع العربي في الروايات *الشرفات* لإبراهيم نصر الله: دراسة تحليلية".

إن الرواية هي النوع الأدبي الأكثر قدرة على تصوير الواقع تصويرا حيّا، وكلما كانت الرواية قريبة من نبض المجتمعات ومتغيراتها، كانت أبلغ وأعمق في التعبير عن هموم الذات والإنسان، فتنهض الرواية بوظيفة توسطيّة في تمثيل الوقائع والأحداث التي يمور بها المجتمع. إن هذه الوظيفة التّوسطية تُسهم في توطيد العلاقة بين النص الروائي والمجتمع.

وقد كتب إبراهيم نصر الله الروائي الأردني من أصل فلسطيني مشروعا روائيا باسم "الشرفات" لتصوير الواقع الذي تعيشه المجتمعات العربية من كل الجوانب من الاجتماعية والسياسية والثقافية. إنّ مشروع الشرفات هو الوجه الآخر لمشروع الملهاة الفلسطينية الذي يغطي فيه إبراهيم نصر الله تاريخ الشعب الفلسطيني لمدة ٢٥٠ عاما بداية من الحكم العثماني حتى الانتفاضة الثانية.

يتكون مشروع الشرفات من سبع روايات، وهي *شرفة الهذيان* (٢٠٠٥)، و*شرفة رجل الثلج* (٢٠٠٩)، و*شرفة العار* (٢٠١٠)، و*شرفة الهاوية* (٢٠١٣)، و*شرفة الفردوس* (٢٠١٥)، و*حرب الكلب الثانية* (٢٠١٦)، و*مأساة كاتب القصة القصيرة* (٢٠٢٠). ولكن اختار الباحث الروايات الأربع الأولى في هذا البحث لاستعراض الواقعات العربية المصوّرة فيها.

تحليل العنوان

عنوان هذا البحث هو 'تصوير الواقع العربي في الروايات الشرفات لإبراهيم نصر الله: دراسة تحليلية'

التصوير: مصدر 'صوّر' والمراد بالتصوير هنا الوصف النقلي حيث ينقل الروائي إلى قراءه المشهد فيصوّره لهم تصويرا واقعيا.

الواقع: هو اسم معناه الحقيقة والمراد بالواقع هنا حقائق المجتمع العربي كما تظهر في الحياة اليومية. وكلمة '**العربي**': اسم منسوب إلى العَرَب.

الروايات: جمع كلمة رواية، هي سرد نثري طويل يصوّر أحداثا مختلفة وشخصيات واقعية أو خيالية، كما أنها أكبر الألوان القصصية من حيث الحجم وتنوع الأحداث وتعدد الشخصيات.

الشرفات: مشروع روائي لإبراهيم نصر الله، ضم هذا المشروع سبع روايات، وقد اختار الباحث في هذه الدراسة الروايات الأربع الأولى التي تنتمي إلى هذا المشروع، وهي *شرفة الهذيان* و*شرفة رجل الثلج* و*شرفة العار* و*شرفة الهاوية*. وتكون كلمة 'الشرفات' بدل من 'الروايات' في العنوان.

إبراهيم نصر الله: روائي وشاعر وكاتب وصحافي ورسام وأديب أردني من أصل فلسطيني. حاز على جائزة الدولية والوطنية، ومنها الجائزة العالمية للرواية العربية (بوكر)، وجائزة "كتارا" للرواية العربية، وجائزة القدس للثقافة والإبداع، وجائزة رابطة الكتاب الأردنيين، وجائزة سلطان العويس للشعر العربي. ولد إبراهيم نصر الله سنة ١٩٥٤ في مخيّم الوحدات الأردني، بعد أن اقتُلع والداه من قريتهما الفلسطينية خلال النكبة عام ١٩٤٨.

دراسة تحليلية: الباحث يجري عمليات تحليلية فيما بين سطور روايات المختارة لإبراز الواقع العربي بصحة ودقة.

دو افع اختيار الموضوع

أما دوافع اختيار هذا الموضوع فترجع إلى ثلاثة:

أولا- رغبة الباحث في قراءة الروايات والأشعار عن القضية الفلسطينية التي هي إحدى أمهات القضية لدى العرب، ولاقت اهتماما بالغا من العالم أجمع.

ثانيا- تعرّف الباحث بثراء النص الروائي عن القضية الفلسطينية لدى إبراهيم نصر الله؛ ما يحفز الباحث على متابعته بالتحليل والدراسة، فتم تقديم الأطروحة في مرحلة ما قبل الدكتوراه عن ملامح الديستوبيا في رواية حرب الكلب الثانية الحائزة على جائزة بوكر العربية والتي تعد الرواية السادسة في مشروع الشرفات، فقرر الباحث أن يستمر في بحثه عن الروايات الأخرى من مشروع الشرفات بالدراسات الأكاديمية المعمقة في مرحلة الدكتوراه.

ثالثا- رغبة الباحث في دراسة عميقة عما تناوله الكاتب في رواياته الشرفات من تصوير واقعات عربية ومدى مطابقة مضمون الرواية بالواقع العربي، لأن الكاتب أوضح عن خلفية مشروع الشرفات قائلا: "قد تبيّن لي أنّ من المستحيل أن نفهم ما حدث لفلسطين وقضيتها بمعزل عن معرفتنا بما حدث وما زال يحدث لهذا الإنسان العربي، بل إنّنا لن نستطيع أن نفهم ما سيحدث لفلسطين بعيدا عن فهمنا لما يحدث في العالم العربي الآن؛ ولذا، فإنّ مشروع الشرفات بالنسبة لي هو الوجه الآخر للملهاة الفلسطينية".

منهج البحث

يرتكز هذا البحث على دراسة الروايات الأربع الأولى للكاتب إبراهيم نصر الله من جميع زواياها، الموضوعية والفنية واللغوية، ولا تتمّ هذه الدراسة إلا بذكر مسيرة حياة الكاتب الشخصية والأدبية وأعماله. فيعتمد البحث على المناهج النقدية التالية: المنهج الاجتماعي[١]، والمنهج التاريخي[٢]، والمنهج الموضوعي والتحليلي[٣]، والمنهج الفني[٤]، والمنهج اللغوي[٥].

فانتهج البحث في هذه الدراسة المنهج الاجتماعي لدراسة العلاقة بين الأدب والمجتمع، والواقعات العربية التي صورته الروايات العربية. وعلى أساس المنهج التاريخي تمت الدراسة عن مسيرة حياة الكاتب ومعرفة البيئة التي عاش فيها ومدى تأثيرها في نتاجه الأدبي، كما تمت الدراسة على أساس المنهج الموضوعي والتحليلي عن موضوع الروايات المختارة وشخصياتها. أما المنهجان الفني واللغوي فانتهجهما البحث لدراسة فنية عن هذه الروايات واتجاهاتها الأدبية وتقنيات السرد فيها وميزة لغتها.

مشكلة البحث

إنّ الإشكالية المركزية لهذا البحث تتمحور حول هذا السؤال:

- ما هو الواقع العربي الذي صوّرته روايات 'الشرفات' لإبراهيم نصر الله؟

---

[١] هو منهج يدرس النصوص من منظور مدى تعبيرها عن الوسط الاجتماعي، يهتم هذا المنهج بدراسة العلاقة بين الأدب والمجتمع. يكون الأدب ممثلا للحياة على المستوى الجماعي لا الفردي؛ باعتبار أن المجتمع هو المنتج الفعلي للأعمال الإبداعية.

[٢] هو المنهج الذي يصار فيه إلى دراسة الأديب وأدبه أو الشاعر وشعره من خلال معرفة سيرته ومعرفة البيئة التي عاش فيها ومدى تأثيرها في نتاجه الأدبي أو الشعري.

[٣] المنهج الذي يدرس الأدب من حيث الموضوع الذي تناوله الأدب وتحليله.

[٤] منهج نقدي عماده الحكم على النص الأدبي من حيث روحه وموسيقاه وأصالته وعناصره وصدقه وتجربته الشعرية، كما يدرس جمالية الأدب وقيمته الفنية.

[٥] منهج نقدي يعتمد على تحليل النص الأدبي ودراسته من حيث اللغة والبلاغة، وتقديره من حيث مكانته اللغوية.

وتنبثق عن هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة الفرعية، وهي:

- ما هو الواقع السياسي العربي الذي صوّرته روايات 'الشرفات'؟
- ما هو الواقع الاجتماعي العربي الذي صوّرته روايات 'الشرفات'؟
- ما هو الواقع الثقافي العربي الذي صوّرته روايات 'الشرفات'؟
- ما هو المستوى الفني والموضوعي في تصوير الواقع العربي في روايات 'الشرفات'؟
- هل الكاتب يرفض هذا الواقع العربي المصوّر ويطمح إلى واقع أفضل؟

أهداف البحث

- إبراهيم نصر الله كاتب أردني من أصل فلسطيني، وله أربع وعشرون رواية، وواحد وعشرون ديوانا شعريا بالإضافة إلى إسهاماته في الدراسات الأدبية، وفن الرسم، والصحافة، فيهدف الباحث إلى تعريفه في الأوساط الأكاديمية في الهند بسبب غزارة إنتاجاته الأدبية.
- تتناول أعماله الروائية أنماط القمع السياسي والاجتماعي والفكري وكشف صور الفساد الاجتماعي والسياسي وتخالفات الطبقية وأشكال المقاومة ضد الظلم والاحتلال، حيث إنه كتب روايات 'الشرفات' لتأمل وقراءة ما حدث وما زال يحدث لهذا الإنسان العربي، فيهدف الباحث إلى تحليل الروايات المختارة من مجموعة الشرفات لإبراز ما فيها من خصائص فريدة ومدى اتصالها بالواقع العربي.
- قد اكتسبت رواياته الشرفات حضورا واسعا لدى الجمهور حيث كتبها في أسلوب جديد ومختلف في كل منها، متجاوزا الرواية التقليدية إلى آفاق جديدة مع الحداثة. فيهدف الباحث إلى معرفة الخصائص الفنية وتقنياتها السردية المتنوعة لهذه الروايات المختارة.

الدراسات السابقة

أما الدراسات السابقة، فيمكن تصنيفها إلى عامة وخاصة، أما الدراسات العامة فهي تتعلق بأشعاره وبمشروعه الروائي الملهاة الفلسطينية وغيرها من الروايات، ومن أهمها:

- "شعرية طائر الضوء . جماليات التشكيل والتعبير في قصائد إبراهيم نصر الله" للدكتور محمد صابر عبيد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ٢٠٠٤م.
- "البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله" للدكتور مرشد أحمد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ٢٠٠٥م.
- "الكون الروائي- قراءة في الملحمة الروائية الملهاة الفلسطينية" للدكتور محمد صابر عبيد، والدكتور سوسن البياتي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر .بيروت ٢٠٠٦م.
- "فضاء التجاوز- قراءات تطبيقية في إبداعات شعرية وروائية لإبراهيم نصر الله" للدكتور محمد عبد القادر، دار الشروق، عمان ٢٠١٢م.
- رسالة دكتوراه بعنوان "جدليّة التّوثيق والتّخييل في الملهاة الفلسطينية للروائي إبراهيم نصر الله" للباحثة آمنة سليم عمر بجامعة بيروت العربية-كلية الآداب قسم اللغة العربية، ٢٠١٤.
- رسالة دكتوراه بعنوان "الوصف في روايات إبراهيم نصر الله" للباحثة نداء مشعل بالجامعة الإسلامية - الأردن ٢٠١٤.
- رسالة دكتوراه بعنوان "جماليات النقد الثقافي في روايات إبراهيم نصر الله" لآلاء الشمري، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمّان- الأردن ٢٠١٥.

- رسالة دكتوراه بعنوان "التاريخ والسرد في روايات الملهات الفلسطينية لإبراهيم نصر الله" لمحي الدين كوتي كانيات، جامعة كاليكوت- كيرالا ٢٠٢٣. بالإضافة إلى عديد من رسائل الماجستير والدكتوراة.

والدراسات التي تناولت الروايات التي تنتمي إلى مشروع الشرفات وهي:

- "رواية ما بعد الحداثة قراءة في شرفات إبراهيم نصر الله" للدكتور محمد صابر عبيد والدكتور سوسن البياتي، منشورات ضفاف، الجزائر العاصمة ٢٠١٣.
- رسالة دكتوراه بعنوان "جماليات الميتاسرد في الشرفات الثلاث لإبراهيم نصر الله (شرفة الهذيان، شرفة رجل الثلج، شرفة الهاوية)" لريمه نادية، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس، ٢٠٢٢.
- رسالة ماجستير حول "الانتقام من الآخر في رواية شرفة العار لإبراهيم نصر الله" لسمية فودي، جامعة محمد بوضياف، ٢٠١٩.
- رسالة ماجستير حول "بنية الخطاب السردي في رواية شرفة العار لإبراهيم نصر الله" لفاطمة قوجيل، جامعة العربي بن مهيدي، ٢٠١٥.
- رسالة ماجستير حول "اغتراب الذات في رواية شرفة الهذيان لإبراهيم نصر الله" لبشرى حرايز وشيماء شلابي، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، ٢٠٢٠.
- رسالة ماجستير حول "سقوط النخبة في رواية شرفة الهاوية لإبراهيم نصر الله" لعيش سعاد وبوقرة إيمان، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، ٢٠١٨.

- رسالة ماجستير فلسفة حول "الديستوبيا في الروايات العربية المعاصرة؛ رواية حرب الكلب الثانية لإبراهيم نصر الله نموذجا" لمحمد رفيق كنت، جامعة كيرالا، ٢٠١٩.
- رسالة ماجستير حول "آليات التجريب في رواية حرب الكلب الثانية لإبراهيم نصر الله؛ دراسة سيميائية" لرفيدة ناصري ونجاة بركاني، جامعة العربي بن مهيدي، ٢٠٢٠.

بالإضافة إلى عدد من المقالات المنشورة في شتى المجلات العربية وهي:

- مقالة عن "قراءة في رواية شرفة الهذيان لإبراهيم نصر الله" لزهير محمود عبيدات وعدنان محمود عبيدات، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، المجلد السابع، العدد الأول- ٢٠١٠.
- مقالة عن "تجليات الرؤية الواقعية النقدية في المكان في رواية شرفة العار لإبراهيم نصر الله" لصوفيا يسري صلاح جمعة، مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، العدد السادس والثلاثون- مايو ٢٠٢٣.
- مقالة عن "إدانة الوسط الثقافي في رواية شرفة رجل الثلج لإبراهيم نصر الله" لموسى إبراهيم أبو رياش، الكلمة مجلة أدبية فكرية شهرية، العدد الخامس والخمسون- ٢٠١١.

ويلاحظ أن كل دراسة تناولت الروايات المختارة من زاوية معينة، إلا أنها لا تأخذ الواقع العربي الذي تصوّره روايات 'الشرفات'، فرأى الباحث أن هذا الموضوع جدير بالبحث والتحليل في مستوى الدكتوراه.

خطة البحث

فقد تمّ تبويب هذا البحث إلى أربعة أبواب رئيسية بالإضافة إلى مقدمة البحث وخاتمته، وكل باب من أبواب هذه الأطروحة مقسّم إلى فصول ومباحث حسب أهمية موضوع البحث.

ناقش الباب الأول المعنون ب 'الواقع العربي في الروايات العربية' علاقة الأدب بالمجتمع، كما تطرّق إلى القضايا التي تناولت الرواية العربية من شتى البلدان العربية من خلال فصلين: علاقة الأدب بالمجتمع، وتصوير الواقع العربي في الروايات العربية.

أما الباب الثاني المعنون ب 'إبراهيم نصر الله: الشخص والشخصية'، فتناول فيه الباحث عن رحلة الكاتب الشخصية والأدبية، قد جاء فيه الفصلان، ناقش الفصل الأول شخصية الكاتب، وفيه المبحثان: الأول: مولده وطفولته ودراسته، والثاني: وظائفه الرسمية، كما تناول في الفصل الثاني عن شخصيته الأدبية، وجاء مقسّما على خمسة مباحث من حيث نشأته الأدبية، وشاعريّته، وموهبته في الرواية وفي الفنون الأخرى، والجوائز التي حصل عليها.

وتناول الباب الثالث المسمّى ب'جماليات روايات الشرفات الفنية' دراسة تحليلية عن الروايات الأربع الأولى في سلسلة روايات الشرفات، وهي *شرفة الهنديان*، و*شرفة رجل الثلج*، و*شرفة العار*، و*شرفة الهاوية*. وقد قسّم الباحث هذا الباب إلى خمسة فصول، الفصل الأول المعنون ب'مشروع الشرفات' يستعرض فيه الباحث عن مشروع الشرفات لإبراهيم نصر الله وعن خلفيته وأهميته، ففيه مبحث واحد، عنوانه 'استراتيجية العنوان *الشرفات*'.

أما الفصول الأخرى في هذا الباب فهي 'الرواية *شرفة الهنديان*'، و'الرواية *شرفة رجل الثلج*'، و'الرواية *شرفة العار*'، والرواية *شرفة الهاوية*'، وهذه الفصول كلها موزّعة على أربعة مباحث على منوال واحد،

وهي تعريف بالرواية، وملخص الرواية، والشخصيات في الرواية، وتقنيات السرد في الرواية. يتناول الباحث في هذه الفصول جمالية الروايات الأربع الأولى التي تنتمي إلى مشروع الشرفات على حدة من حيث تعريف الرواية وإتيان ملخصها وتصوير الشخصيات فيها مع الإشارة إلى تقنيات السرد في هذه الرواية.

فالباب الرابع المعنون بـ'تصوير الواقع العربي في الروايات "الشرفات"، يستعرض فيه الباحث ويحلّل واقع العربي السياسي والاجتماعي والثقافي حيث صوّره الكاتب إبراهيم نصر الله في الروايات الأربع الأولى من مشروع الشرفات. وقد تم تقسيم هذا الباب إلى ثلاثة فصول، فالفصل الأوّل المسمّى بـ 'الواقع السياسي العربي في الشرفات'، ففيه خمسة مباحث، المبحث الأوّل: النظام العالمي الجديد، والثاني: النظام العربي، والثالث: المواطن العربي، والرابع: قمع المواطن، والخامس: الفساد السياسي. والفصل الثاني المسمّى بـ'الواقع الثقافي العربي في الشرفات'، ففيه مبحث واحد، عنوانه إدانة الوسط الثقافي، والفصل الثالث المسمّى بـ'الواقع الاجتماعي العربي في الشرفات'، ففيه ستة مباحث، المبحث الأوّل: جريمة الشرف، والثاني: الاغتصاب، والثالث: الدعارة، والرابع: الرفض التام للتغير الاجتماعي، والخامس: تداعي القيم، والسادس: الاغتراب، وختمت الدراسة بخاتمة احتوت على أهم النتائج والتوصيات التي خلص إليها الباحث.

كلمة الشكر

الحمد لله رب العالمين أوّلا وآخرا، ظاهرا وباطنا، وبنعمته تتم الصالحات، والذي وفّق الباحث في مشواره العلمي والبحثي لإتمام هذه الدراسة، فالشكر موصول إلى الله تعالى من البداية إلى النهاية.

ويتقدم الباحث بأسمى عبارات الشكر الوافر والامتنان غير المنقطع إلى مشرف البحث البروفيسور (الدكتور) عبد الرحيم م. ك.، رئيس قسم اللغة العربية، كلية الفنون والعلوم الحكومية كاليكوت

ومشرف البحث في كلية السيد فوكويا التذكارية الحكومية فرينتالمانا، على ارشاداته المستمرة وتوجيهاته الحكيمة والذي كان قارئا وناقدا من الألف إلى الياء لإخراج هذه الأطروحة بصورتها النهائية. ويتمنى الباحث له التوفيق والنجاح الدائمين وجزاه الله أحسن الجزاء في الدارين.

ويتوجه الباحث بأعمق وأسمى عبارات الشكر والعرفان إلى المشرف المشارك ومنسق البحوث الدكتور محمد نور الأمين. و.، الأستاذ المشارك في قسم الماجستير والبحث في اللغة العربية وآدابها، كلية السيد فوكويا التذكارية الحكومية فرينتالمانا، على نصائحه الثمينة وله الفضل في تسهيل كل الإجراءات التي يحتاج إليها الباحث طوال بحثه، فجزاه الله تعالى خير الجزاء.

ويتقدم الباحث بعظيم الشكر والتقدير إلى الكاتب إبراهيم نصر الله، مؤلّف مشروع الشرفات على وقته الذي جاد به على الباحث والذي قام بتزويد عديد من المصادر والمراجع للباحث وسرّه بآرائه العظيمة، فيتمنى له الباحث التوفيق والنجاح دائما.

والشكر الجزيل موصول إلى الدكتور محمد صابر عبيد، أستاذ النقد الأدبي الحديث في جامعة الموصل، العراق، والذي قام بتزويد الباحث ببعض مؤلفاته المهمة، كما استفاد الباحث من ملاحظاته القيمة في تحليل مكونات السرد الروائي.

ولا يفوت الباحث أن يتقدم بالشكر الخاص إلى الدكتور جابر.ك.، رئيس قسم الماجستير والبحث في اللغة العربية وآدابها، وإلى عميد الكلية الدكتور أفضل جمال. ب.، ونائب عميد الكلية الدكتور حمزة. ك.، والبروفيسور (الدكتور) عبد الجليل. ت.، مشرف البحث في كلية السيد فوكويا التذكارية الحكومية فرينتالمانا.

والشكر موصول أيضا إلى جميع الأساتذة في قسم الماجستير والبحث في اللغة العربية وآدابها، كلية السيد فوكويا التذكارية الحكومية، وإلى كل من مدّ إلى الباحث يد العون، أو قدّم له نصيحة أو أسدى له معروفا من قريب أو بعيد في إتمام هذا البحث، فلهم من الباحث خالص الشكر والتقدير.

الباحث

محمد رفيق كونات

الباب الأول

الو اقع العربي في الرو ايات العربية

الفصل الأوّل: علاقة الأدب بالمجتمع

الفصل الثاني: تصوير الو اقع العربي في الرو ايات العربية

الباب الأول

الواقع العربي في الروايات العربية

الفصل الأوّل: علاقة الأدب بالمجتمع

إنّ الأدب فنّ من الفنون الجميلة تنعكس فيه مظاهر الحياة الاجتماعية. ذهب علماء اللغة العربية في معنى كلمة "أدب" مذاهب شتى، فمنهم من قال إنّه "الظّرف وحُسن التناول"[١]. إنّ من تتبع تاريخ كلمة "أدب" على مرّ العصور، وجد أنّ الجاهليين استعملوها بمعنى "الخطة الأخلاقية"[٢]، واستعملوها أيضا بمعنى "التعليم" كما يتضح من الحديث المشهور "أدبني ربي فأحسن تأديبي"[٣]، وبعد ظهور الإسلام إلى أواخر العهد الأموي ظل للأدب هذا المجال المعنوي. "وفي العهد العباسي حين بلغت الحضارة العربية أوجها، امتدّ معنى الأدب تارة إلى مجموع المعارف البشرية وطورا إلى المنهج الذي يجب اتباعه في فنّ من الفنون أو عمل من الأعمال"[٤].

"أما في عهد النهضة فقد اشترك العرب في مفهوم الغربيّين لمعنى الأدب، وكان الأدب ذا معنيين: معنى عام ومعنى خاص، أما المعنى العام فهو عبارة عن جملة ما أنشأته أقلام العلماء والكتاب والشعراء، وأما المعنى الخاص فهو عبارة عما سبك في قالب ظريف، وصيغ على نمط الإنشاء الأنيق من الكلام المنظوم والمنثور"[٥]. فالأدب في المعنى الخاص؛ فهو الكلام الجيد من النثر أو الشعر الذي يثير شعور

---

[١] . حنا الفاخوري، *الجامع في تاريخ الأدب العربي: الأدب القديم* (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٦)، ص ١٢.

[٢] . المرجع نفسه، ص ١٣.

[٣] . المرجع نفسه.

[٤] . المرجع نفسه.

[٥] . المرجع نفسه، ص ١٤.

السامع أو القارئ ويحدث في نفسه لذة فنية كاللذة التي يحسها عند سماع الأنشودة أو توقيع الموسيقي أو رؤية الجمال؛ وهو التعبير الجميل عن معاني الحياة وصورها، وهو مأثور الشعر الجميل أو النثر البليغ المؤثر في النفس المثير للعواطف.

يُعد أفلاطون أول من تناول بشكل منهجي العلاقة بين الفن والواقع، ضمن إطار نظريته عن الفن بوصفه محاكاة. وعلى الرغم من تصنيفه ممثلا للواقعية الميتافيزيقية، إلا أن واقعيته لا تتعلق بالعالم المحسوس، بل بعالم "المُثُل" المفارق الذي يمثل الحقيقة المطلقة. أما العالم المادي، فيُعدّ في نظره مجرد انعكاس باهت للوحي الحقيقي. ومن ثمّ، يرى أفلاطون أن الفنان مطالب بمحاكاة المثال الأعلى لا العالم الحسي، وإلا فإن إنتاجه الفني سيغدو نسخة مشوهة عن نسخة أخرى.

أما أرسطو، فقد قدّم تصحيحا لعدد من أوجه القصور في طرح أفلاطون، إذ دمج بين الفكرة والواقع الحسي، واعتبر أن الأدب، ولا سيما التراجيديا، يؤدي وظيفة أخلاقية تتمثل في تطهير المشاعر. ومع ذلك، لم يُدرك أرسطو بصورة كاملة طبيعة العلاقة الجدلية بين الأدب والواقع.

وفي الفلسفة الحديثة، كان هيجل من أبرز من تناول هذه العلاقة، حيث اعتبر الفن تجليا محسوسا للفكرة أو الروح. ويرى هيجل أن الفن يُعبّر عن تطور الوعي التاريخي، من خلال أشكال فنية متعاقبة تجسد "الروح القومية" للشعوب، إذ تنعكس تصورات الأمم حول الألوهية والسياسة والاقتصاد في فنونها وآدابها. غير أن تطور الفن لدى هيجل تحكمه الحركة الجدلية القائمة على الصراع بين الأضداد، تماما كما هو الحال في مسار الوعي بالحرية.

وفقا لهيجل، تطور الفن عبر ثلاث مراحل رئيسة: المرحلة الرمزية، التي تميزت بالغموض كما في العمارة الشرقية القديمة؛ والمرحلة الكلاسيكية، التي حققت توازنا بين الشكل والمضمون، كما يظهر

في فنون اليونان والرومان؛ ثم المرحلة الرومانتيكية، التي تحرر فيها المضمون الروحي من قيود الشكل المادي، وأبرز تمثلاتها الموسيقى والشعر.

على الجانب الآخر، وجه الماركسيون انتقادا لفكر هيجل، مؤكدين أن تطور الواقع لا ينتج عن تطور الوعي، بل العكس: فالبنية المادية والاقتصادية هي التي تشكل وعي الأفراد. وبناء على ذلك، اعتبروا الفن انعكاسا للواقع الاجتماعي والطبقي. غير أن هذه النظرة واجهت إشكالية حقيقية، إذ برزت أعمال أدبية عظيمة تجاوزت حدود انتمائها الطبقي والاجتماعي، وهو ما أقر به ماركس نفسه دون أن يقدم تفسيرا مقنعا له.

تتجلى المشكلة بوضوح في التصورات الماركسية المتشددة التي اختزلت الفن إلى مجرد انعكاس للواقع الطبقي، مهملة الجوانب الجمالية والإبداعية. فعلى سبيل المثال، كان يُعزى تفوق بعض الفنانين الكلاسيكيين أو الرومانتيكيين إلى احتواء أعمالهم على عناصر واقعية، رغم أن هؤلاء الفنانين لم يلتزموا بمبادئ الواقعية الاشتراكية.

ومع تطور الفكر الماركسي، قدّم مفكرو مدرسة فرانكفورت، مثل تيودور أدورنو وهربرت ماركوزه، تصورا أكثر مرونة للعلاقة بين الفن والواقع. فقد اعتبروا أن الفن لا يقتصر على كونه انعكاسا للعلاقات الإنتاجية، بل يمتلك طاقة تحررية كامنة، عبر الشكل الجمالي الذي يُحوّل الواقع إلى رؤية حالمة تتجاوز شروطه المباشرة. وأكد ماركوزه، بوجه خاص، أن العمل الفني العظيم يعبر عن الحاجة الإنسانية العامة إلى التحرر، متجاوزا شروطه الاجتماعية الخاصة.

ومع ذلك، ظل ماركوزه وآخرون ضمن الإطار العام الذي يرى للفن وظيفة سياسية واجتماعية. غير أن الرؤية الأدق لاستقلالية الفن تؤكد أن التعبير الفني ينبغي أن ينبع من شروطه الجمالية الذاتية،

لا من إملاءات سياسية أو اجتماعية؛ إذ أن اختزال العمل الفني إلى مجرد مضمون أيديولوجي أو سياسي يؤدي بالضرورة إلى فقدانه جوهره الفني الأصيل.

تناول الفلاسفة والنقاد والمفكرون عبر عصور مختلفة العلاقة التي تربط بين الأدب والمجتمع، وتساءلوا هل من علاقة بين الأدب والمجتمع؟، وهل يتأثر الأدب بالمجتمع ويؤثر فيه؟، ظهرت نظريتان متباينتان نتيجة لهذه الأسئلة، وهما نظرية الفن للفن ونظرية الفن للمجتمع.

أما نظرية الفن للفن فيذهب دعاة هذه النظرية إلى أنّ الفنّ فعالية انسانية ذاتية لها قوانينها الذاتية التي لا ترتبط بأيّ قانون اجتماعي أو أخلاقي، بينما يذهب أصحاب نظرية الفن للمجتمع إلى أنّ للفن والأدب أهدافا اجتماعية وأخلاقية تتمثل في التعبير عن مطالب المجتمع.

إنّ قدرة الأدب على عكس المجتمع من أهم ميزة العلاقة بين الأدب والمجتمع. الأعمال الأدبية غالبا ما تعبر عن الواقع الاجتماعي والثقافي للمجتمع الذي أُنتجت فيه، مما يسمح للقراء أن يفهموا للظروف الاجتماعية والثقافية التي يعيشون فيها.

إن الأدب الجاهلي يصور حياة الجاهليين تصويرا دقيقا، مما يدلّ على أنّ أدب فترة ما قبل الإسلام لم يكن منفصلا عن واقعه الاجتماعي، بل هو مرتبط به وبقيمه ما يحقق العلاقة الكاملة بين الأدب والمجتمع، حيث يقول الدكتور سليمان معوض "إنّ الشعر والمعلقات في الجاهلية وصل إلينا مشتملا على أخبار العرب، يصوّر لنا أخلاقهم وعاداتهم وصفاتهم وعقائدهم ونظمهم وعلومهم حتى يعدّ ديوانا يتجلى به أحوالهم"[1].

[1] . الدكتور سليمان معوض، *مدخل إلى الأدب العربي* (طرابلس: المؤسسة الحديثة للكتاب، ٢٠٠٨)، ص ٢٨.

ولما جاء الإسلام بما يحمله من مبادئ وقيم أحدثت تغييرا في حياة العرب، فتأثر أدبهم بتلك المبادئ والقيم، وقد استخدم النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأدب في تبليغ رسالته، مما يدلّ على تفاعل الأدب مع واقع المجتمع. "وهكذا استمر الأدب على هذا النحو، فلم ينسحب من الحياة، بل كان يسجل حضوره في السلم والحرب، ويشارك في أحداث مجتمعه، وبخاصة في العصر الحديث؛ إذ أخذ الأدباء يقيمون علاقات جادة بينهم وبين واقعهم الاجتماعي، وانبروا مع شعوبهم يصارعون الاستعمار الغربي المشؤوم؛ وهذا معناه أن الأدب العربي لم ينفصل عن الحياة قديما وحديثا"[١].

يذهب سليمان معوض إلى "أنّ الأدب هو رسالة موضوعها الإنسان، أنّ الأديب يكرس قلمه أو ريشته لخدمة قضايا الإنسان وعلى هذا أنّ الأديب هو يقوم مقام الرسول"[٢]. فيقوم الأدباء مقام رسل المجتمع حيث إن الأدب الصادق هو أدب ليس منفصلا عن المجتمع. يعتمد الأديب أساسيا على مجتمعه وهو يأخذ من المجتمع ما يحتاج إلى الإنتاج الفني ثم يردّه إليه في صورة منتوج كامل، وهذه علاقة متينة بين المجتمع والأدب. وقد تناول الدكتور عزّ الدّين إسماعيل هذه العلاقة الأساسية بين الأديب والمجتمع في كتابه المعنون "الأدب وفنونه دراسة ونقد" ببيان شامل، تجيء هذه العبارة حكاية عن الكاتبة السياسية الفرنسية دومينيك بونا التي تسلّط الضوء على هذه العلاقة الوطيدة بين الأديب ومجتمعه - هي "إن الأدب تعبير عن المجتمع"[٣]. وللأديب وظيفة اجتماعية نحو قضايا مجتمعه أكثر من غيره من أفراد المجتمع. فالأديب الماهر والناضج يسعى بأعماله الأدبية ومسؤوليته المهمة لحلّ المشاكل التي يواجهها المجتمع، ولرفع المجتمع من مصيره الثقافية والاجتماعية والسياسية

[١] . الدكتور عيسى مدور، "التفاعل بين الأدب والمجتمع"، *مجلة التراث*، العدد ٣ (٢٠١١): ٧٤.

[٢] . الدكتور سليمان معوض، *مدخل إلى الأدب العربي*، ص ٩١.

[٣] . الدكتور عز الدين إسماعيل، *الأدب وفنونه: دراسة ونقد*، ط٩ (القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٠٧)، ص ٢٥.

حينما تتأثر أعماله الأدبية بالمجتمع وأحداثه. "وبهذا يكون الأدب هو روح العصر، ونتاج المجتمع"[١]، كما قال الناقد الشهير أحمد أمين في كتابه "النقد الأدبي".

إنّ الأدب ليس فقط مرآة تعكس الواقع الاجتماعي، بل هو أداة فعّالة لتحفيز التغيير الاجتماعي. يمكن للأدباء من خلال أعمالهم أن يلهموا الناس للمطالبة بالعدالة والمساهمة في الحركات الاجتماعية والسياسية، رواية "كوخ العم توم" لهاربيت بيتشر ستو كانت مثالًا بارزًا على تأثير الأدب في التغيير الاجتماعي، حيث لعبت دورًا كبيرًا في حركة إلغاء العبودية في الولايات المتحدة. هذه الرواية لم تكن مجرد عمل أدبي، بل كانت صرخة قوية ضد الظلم، وساهمت في تغيير الآراء حول العبودية.

الأدب والمجتمع متفاعلان، حيث تؤثر الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية على مضمون الأدب واتجاهاته. الأحداث الكبرى مثل الأزمات الاقتصادية والحروب والثورات تترك تأثيراتها الواضحة على الأعمال الأدبية، مما يجعلها تعكس روح العصر وتحدياته. على سبيل المثال، الأدب الذي ظهر بعد الحربين العالميتين كان يعكس حالة اليأس والشك التي سادت المجتمع، حيث عبّر أدباء مثل إرنست همنغواي وفرانز كافكا عن القلق الوجودي والشعور بالاغتراب، مما يظهر تأثير الأحداث التاريخية الكبرى على الفكر والأدب.

وبالجملة، أنّ العلاقة بين الأدب والمجتمع وثيقة جدّا. وقد أدرك الروائي الشهير نجيب محفوظ أهمية هذه العلاقة بين الأدب والواقع بعد أن كتب أول رواية بعنوان "أحلام القرية" المبنية على الخيال، وقد كتب هذه الرواية ريفية بدون أية زيارة إلى الريف في حياته، ففهم الخطأ ولم ينجح هذا العمل كما كان يرجو، ورفض سلامة موسى نشرها بعد قراءتها ثم يعلّق نجيب محفوظ على ذلك قائلا "كنت

[١]. أحمد أمين، *النقد الأدبي* (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢)، ص ١٨.

في إجازة وخطر لي أن أكتب رواية ريفية، فكتبتها، وأنا لم أزر الريف في حياتي، ولذا أخذت الرواية مصيرها الوحيد. وهذا ينطبق على السؤال الماضي، فيجب أن يكون لدى الروائي معرفة كاملة بالواقع الذي يكتب عنه"[١]، ولقد أورد هذا الكلام الكاتب الكبير أحمد محمد عطية في كتاب "مع نجيب محفوظ". ومن هذا، يستنتج الباحث أن الأعمال الأدبية والروائية بالخصوص تعج بالقضايا الاجتماعية، وهذا ما يعبر عنه الناقد الفلسطيني الدكتور فيصل دراج في كتابه بعنوان "رواية التقدم واغتراب المستقبل" قائلا "يمكن القول اتكاء على الأفكار السريعة السابقة، إنّ المثقف العربي تطلع إلى مجتمع يجد أفكاره ويسمح له بأن يوجد كمثقف، ذلك أن مقولات "المثقف" و"المجتمع" و"القومية" تنتمي إلى منظومة فكرية حداثية واحدة"[٢].

[١] . حسين عيد، *نجيب محفوظ سيرة ذاتية وأدبية* (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧)، ص ٢٣٣.

[٢] . د. فيصل دراج، *رواية التقدم واغتراب المستقبل* (بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع، ٢٠١٠)، ص ٣٦.

الفصل الثاني: تصوير الواقع العربي في الروايات العربية

لقد اهتمّ النقاد والدارسون والباحثون بالرواية اهتماما بالغا، بعد أن كانت أداة للتسلية وقضاء الوقت بما أنه أداة فنية بمصير الإنسان، والواقع اليومي الذي يعيش فيه المجتمع، والقضايا والتحولات التي تحدث في حياة الفرد والجماعة. فالرواية مرآة للمجتمع "في رصد التحوّلات الاجتماعية والتغيّرات الثقافية والتطورات البيئية والمعيشية وانعكاساتها في حياة الأفراد والمجتمع وأنماط التفكير والسلوكيات، والتعبير عن المجتمع وقيمه وتقاليده، ومعالجة القضايا التي تهم الإنسان، وطرح الحلول للمشكلات المتعلقة بوجوده وصراعاته النفسية والاجتماعية حسب رؤية الكاتب، ولذلك يقال إن الرواية ديوان العرب الحديث"[١].

وفي رواية "زينب" لمحمد حسين هيكل -أول رواية عربية من الناحية الفنية- وصف "للريف المصري بطبيعته، وعاداته وأخلاقه مع التركيز على موضوع الحب والزواج، وذلك من خلال الحديث عن إحدى العاملات في الفلاحة، والتي تدعى زينب، هذه التي يتم تزويجها لحسن، ولكنها لم تقتنع إطلاقا بهذه الزيجة، فقد أحبت شخصا آخر هو إبراهيم الذي يسافر لأداء الخدمة الوطنية العسكرية. وفي الرواية حديث عن حامد الذي أحبّ ابنة عمه عزيزة لكنه لم يظفر بها، كما لم يظفر بزينب، فتأزم وضعه، واختفى من الحياة العامة، أما زينب فإنها تمرض بمرض السل، وتموت في نهاية الرواية، وقبيل موتها توصي أمّها بعدم تزويج إخوتها غصبا عنهم وتُحمل الأبوين مسؤولية ما هي فيه"[٢].

[١] . د. حفظ الرحمن، "النزعة الاجتماعية في الرواية السعودية"، *الرياض*، ٢٣ يونيو ٢٠١١، تاريخ الاطلاع ٢٨ أغسطس ٢٠٢٣، https://www.alriyadh.com/64416.

[٢] . د. مفقودة صالح، "رواية زينب لمحمد حسين هيكل بين التأسيس والتسييس"، مجلة *العلوم الإنسانية*، العدد ١٠(٢٠٠٦).

وفي هذه الرواية تصوير لحياة الفلاحين على الرغم من أنّهم في التعب الشديد قانعون بهذه الحياة. وكذلك يبدي الكاتب كثيرا من الإشارات الواضحة إلى الاستغلال الطبقي ورغبة الملاك في السيطرة على الوضع.

إنّ الروائي الماهر نجيب محفوظ الحائز على جائزة نوبل سنة ١٩٨٨ يصوّر المشكلات الاجتماعية والفرديّة في أعماله الأدبيّة المختلفة. الأديب المشهور نجيب محفوظ ليس كاتبا يحرك قلمه كي يمتّع عقول الناس، إنّما هو كاتب له أسلوبه وفلسفته وعنايته بكل من المجتمع والفرد. ويتضح هذا الاهتمام نحو الواقع الاجتماعي في تحليل نجيب محفوظ لشخصيّة "محجوب عبد الدايم" في رواية "القاهرة الجديدة" (١٩٤٥). إنّ الأديب المصري نجيب محفوظ تناول في هذه الرواية الواقعية الظروف والأحوال التي كان يعيش فيها الشعب المصري في فترة ثلاثينيات في القرن الماضي، بما أن تلك الفترة كانت تتميز بالمزيد من الظلم والتسلط والفساد والمحسوبية والانتهازية. حيث إن السلبيات وغياب الإيجابيات عن المجتمع المصري أبرز سمات تلك الفترة. وتجسّد هذه الرواية الصراع الذي يتم ما بين المجتمع بشكل عام وما بين من يجتهدون للوصول إلى مناصب عليا التي تمكنهم من أن ينالوا كل ما يريدون.

والشخصية الرئيسية في هذه الرواية محجوب عبد الدايم هو الذي يمثّل مأساة البطل المنكسر، ولا يجد مفرا من الهزيمة على الرغم من أنه يحمل شهادة الكلية، فيقول: "المأساة لا تعدو كلمة واحدة ولا كلمة غيرها: هل لديك شفيع؟ أأنت قريب ممن بيدهم الأمر؟ أتستطيع أن تطلب يد كريمة أحد رجالات الدولة؟ إن أجبت بنعم، فنعم. وإن أجبت بكلاً فلتولّ وجهك وجهة أخرى"[١].

[١]. نجيب محفوظ، القاهرة *الجديدة* (ندسور: مؤسسة هنداوي، ٢٠٢٢)، ص ٨٢.

قد تناول نجيب محفوظ في الرواية "زقاق المدق" (١٩٤٧)، واحدة من إبداعاته الأدبية، صورة عميقة للحياة الاجتماعية في زقاق صغير من أزقة القاهرة إبان الحرب العالمية. تبدو مظاهر الخلل في عادات أهل الزقاق، وفي القيم الاجتماعية بما أن الحرب العالمية الثانية، وأزمات الحكم، وتجار السوق السوداء أثرت تأثيرا واضحا على معيشة وحياة المصريين. أما أهل الزقاق فلديهم طموحات كثيرة لتغير حياتهم البسيطة إلى حياة وفيرة، ولكن الصراع الاقتصادي كالفقر، والجريمة، والفوارق الاجتماعية تؤثر على الحياة الاجتماعية.

تدور أحداث الرواية حول الفتاة الشابة "حميدة"، فهي فتاة جميلة تنظر إلى الزقاق بدناءة، يحرّضها حبها للمال الكثير بالتضحية بكل شيء من حيث إنّها ترى أنّ فتاة مثلها لا تليق بها أن تعيش في هذا الزقاق، وهذه القذارة والدناءة التي تملأ المكان كانت من الأمور التي أشعلت في حياتها نقما على حياتها، وعلى الزقاق، وسكانه.

لقد اهتمّت روايات نجيب محفوظ من القاهرة الجديدة، وزقاق المدق، والسمان والخريف، وبداية ونهاية، والمرايا، وثرثرة فوق النيل اهتماما كبيرا بما يعاني المجتمع المصري خاصة، والمجتمع الإنساني عامّة من مرارة تفكّك الحياة، وفقدان روح العدل، والتمزق الاجتماعي والأخلاقي، وغياب التعاطف الإنساني وما إلى ذلك من قيم لا إنسانية، كانت قد شاعت في مجتمع نجيب. ومن اللافت أن روايات نجيب محفوظ تؤكد أهمية الأدب ودوره في توجيه الناس إلى القيم الإنسانية، والحقيقة، والخير.

لقد عالج الأستاذ توفيق الحكيم في أعماله الأدبية قضايا كثيرة، بما فيها سياسية واجتماعية ودينية وفلسفية وتاريخية، غير أنّ القضية الاجتماعية أخذت حظا وافرا من اهتمام الأستاذ، فأكثر الحديث عنها، وأمعن النظر فيها. ونتج عن ذلك أن تعددت مؤلفاته الأدبية مثل حمار الحكيم (١٩٤٠)، وعودة الروح (١٩٢٧)، ويوميات نائب في الأرياف (١٩٣٧)، من حيث إنها تتناول القضية الاجتماعية، خاصة

ما يتعلق بالمجتمع المصريين. وأنّ توفيق الحكيم "يصف القرية المصرية التي زارها البطل- محسن- في روايته 'عودة الروح'، ويبدو فيها حماسة محسن غير الموضوعية للفلاح"[١].

لقد تتجلى في رواية "حمار الحكيم" (١٩٤٠) لتوفيق الحكيم مظاهر صورة ما يتعرض له المصريون في الأرياف من حياتهم الدنيئة وما فيها من الفقر وقلة الاهتمام بأمور الصحة والنظافة عند أهل الريف. وحاول من خلالها استدراك العلة التي تحول بينهم وبين التقدم والنظافة كما حاول اقتراح فكرة يمكن بها إصلاح المجتمع وتوجيهه نحو الخير والصلاح.

إن الرواية العربية شقت طريقها في الأدب الفلسطيني خلال القرن العشرين حيث نضجت الرواية وتطورت تطورا هائلا متأثرا بالحروب والثورات والنكبات التي أحدثت تغييرا اجتماعيا اقتصاديا في هذا المجتمع الفلسطيني، وأصبح الروائيون يعبرون عن هموم الشعب الفلسطيني ومعاناتهم.

تناولت الكاتبة الفلسطينية "سحر خليفة" خلال روايتها "الصبار" الاحتلال الصهيوني وما حدث في المجتمع الفلسطيني من تغيير ومشاكل بعد هزيمة حزيران عام ١٩٦٧ كالفقر والجوع والجهل وعدم الاستقرار والمشكلة العظيمة التي أدت إلى هذه الهزيمة هي انشقاق الشعب الفلسطيني إلى حزبين متناقضين حول كيفية المواجهة مع ألدّ العدو. فالحزب الأول كان يؤمن بالكفاح المسلح مع العدوّ الصهيوني لإخراجه من الوطن، أما الحزب الآخر فكان يعتقد بالعمل الثقافي والتنظيم السياسي لإخراج الاسرائيليين من فلسطين بدون القتل والدمار. تبدأ الرواية بعودة المكافح الفلسطيني "أسامة الكرمي" إلى وطنه بعد خمسة أعوام من اغترابه في الدول العربية. إن المحور الأساسي الذي تدور حوله هذه الرواية هو قضية العمال الفلسطينيين ومشاكلهم في المصانع الإسرائيلية.

[١] . د. حمدي السكوت، *الرواية العربية ببيلوجرافية ومدخل نقدي*، ج٤ (القاهرة: قسم النشر بالجامعة الأمريكية، ٢٠٠٠)، ص ٤٨.

وفي رواية "رجال في الشمس" للكاتب غسان كنفاني معاناة الفلسطينيين من خلال النظر إلى حياة أربعة رجال فلسطينيين يأتون من أجيال مختلفة والخلفيات الاجتماعية والتعليمية. يتفقون على الهجرة من فلسطين إلى الكويت بطريقة غير شرعية عبر الصحراء بما أنهم لا يملكون جوازات سفر في الدولة المحتلة، وذلك لأنهم يرغبون في إعالة عائلاتهم وتحسين وضعهم المعيشي والهروب من ظلم الغزو الإسرائيلي الصهيوني، ولكل رجل من هؤلاء الرجال أسبابه التي تعبر عن أسباب مجتمع بأجمعه. لذا يظهر عليهم الشخص الرابع يعرف باسم أبو الخيزران كي يوصلهم إلى الكويت عن طريق نقلهم معه في شاحنته الخاصة. وكان هذا الرجل معروفا بأنه يمتلك معارف مع رجال الحدود، وشاحنته الخاصة نادرا ما تفتش، كلما جاءت نقطة تفتيش حدودية يمكثون في الخزان. ومع مرور الأحداث يموت الرجال الثلاثة اختناقا وخوفا قبل الوصول إلى الكويت حيث كانت هذه الموتة أفضل بالنسبة لهم من العيش في فلسطين المحتلة.

يصوّر غسان كنفاني في رواية "الأرض الطيبة" حياة عائلة من طائفة المسيحية الفلسطينية في القرية مع المهاجرين اليهود الجدد كما يصوّر السياسة والاستعمار والحروب وقضية المرأة الفلسطينية بما في ذلك الإجهاض والعنف المرتبط بالجندية الإسرائيلية. ومن الواضح أن كنفاني يتحدث عن الواقع على لسان الشخصيات الفلسطينية لتعريف القارئ بمجموعة من المشكلات التي يواجهها الفلسطينيون في ظل الاحتلال الإسرائيلي. "إن الرواية الفلسطينية كانت بمثابة مرآة عاكسة للمجتمع أو الواقع المرير الذي يعيشه الشعب الفلسطيني، حيث كانت نشأتها واقعية وسط الصحافة والترجمة، وبدايتها تعود إلى عام ١٩٥٧وموضوعها الأساسي القضية الفلسطينية"[١].

[١] . نضال الصالح، *قضية الأرض في الرواية العربية الفلسطينية* (دمشق: منشورات اتحاد العرب،٢٠٠٤)، ص ١٩.

وفيما يخصّ بالتجربة الروائية السورية، تتناول الروايات السورية التي نشرت بعد عام ٢٠١١ ما حدث في المناطق السورية إبان الثورة وما يعاني منها الشعب من المشاكل الاجتماعية. "تجسد الكتاب السوريون مثل حنا مينة وحيدر حيدر وغادة السمان وغيرهم في أعمالهم الأدبية أحوال المجتمع واقعية ورمزية مباشرة وغير مباشرة، واهتموا فيها بالقضايا الاجتماعية من الفقر واليأس والعطالة والبطالة والأزمات والحروب وغيرها. وحاولوا أن يستخدموا القلم كأسلحة ضد المستعمرين ومنارة أمام المثقفين من القراء، إنّ روايات حنا مينة وفارس زرزور ونسيب الاختيار وأحمد يوسف داود قد تمت صورا عديدة لبؤس الطبقات الدنيا للفقراء الفلاحين أو العمال الزراعيين أو البروليتيريا المدنية ذات الأصول المتعددة. كما أنّ بعض هذه الروايات وسواها يقدم صورا شتى لنضالات الطبقات الدنيا في مواجهة الاستغلال الطبقي والقهر الخارجي"[١].

وفي رواية "المصابيح الزرق" للروائي السوري حنا مينه تصوير فترة الحرب العالمية الثانية وتدور أحداثها في مدينة اللاذقية في أثناء الاحتلال الفرنسي على سوريا حيث تستعرض حياة مجموعة من الناس البسطاء في أثناء الحرب بما فيها أجواء القلق والمعاناة والفقر الملازمة للحرب. تبدأ الرواية بمسيرة حياة "فارس" وهو الشاب اليافع عمره السادسة عشر عاما ثم يصبح رجلا بالغا في فترة الحرب. وهو يواجه مشقة كثيرة بحثا عن لقمة العيش في ظروف الحرب الشديدة والبطالة والاستغلال الذي يتعرض إليه الشعب. "وقد تميزت روايات حنا مينه بتنوعها الشديد واتساع آفاقها وموضوعاتها ورحابة دلالتها، فهي روايات البطولة والصراع والنضال ضدّ الاستعمار والبرجوازية وضدّ الظلم بأشكاله كافة، وهي روايات للدفاع عن الفقراء والمسحوقين ومهضومي الحقوق"[٢].

[١] . نبيل سليمان، *القاع الاجتماعي في الرواية السورية* (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٣)، ص ٢٤٧.

[٢] . مهدي عبيدي، *جمالية المكان في ثلاثية حنا مينا: حكاية بحار-الدقل- المرفأ البعيد* (دمشق: الهيئة العامة السوريا للكتاب، ٢٠١١)، ص١٣.

ومن الروايات العربية السورية المعاصرة التي تتناول الواقع الاجتماعي "كان الرئيس صديقي" (٢٠١٣) لعدنان فرزات و"لمار" (٢٠١٥) لابتسام تريسي و"عين الشرق" (٢٠١٧) لإبراهيم الجبين و"إبرة الرعب" (٢٠١٤) لهيثم حسين و"الطريق إلى الزعتري" (٢٠١٨) لمحمد فتحي المقداد. ومن الملحوظ أن معظم الروايات العربية السورية المعاصرة التي ألفت بعد عام ٢٠١٠ متعلقة تماما بالأحداث التي وقعت في المجتمع السوري من التغيرات والتحولات الجذرية والثورة التي اندلعت ضد النظام المستبد.

لقد تناولت الرواية اللبنانية الحديثة تداعيات الحرب الأهلية اللبنانية منذ اندلاعها كمادة أساسية في الرواية اللبنانية. "أمّا في منتصف السبعينيّات وحتى الآن فتشهد الرّواية اللبنانيّة مرحلة أخرى في تطوّرها، وذلك أثر اندلاع الحرب الأهليّة اللبنانيّة التي ما زال اللّبنانيّون يعانون من تداعياتها حتى اليوم. هذه الحرب أنتجت روايات تدور حولها وتتحدّث بمنطقها. فبدا التصدّع الكياني، الذي بدأت تعاني منه الشّخصيّة في روايات الخمسينيّات، أقسى وأوقع أثرا في النّفس في الرّوايات التي كُتبت أثناء الحرب وبعدها"[١].

تتمحور رواية "طيور الهوليداي إن" (٢٠١١) للروائي ربيع جابر حول الفقد حيث إنه أحد أبرز العناصر في الحرب الأهلية اللبنانية كما يبدأ الراوي روايته هذه بقائمة المفقودين، وينتقل بعد ذلك لسرد حكايات الحرب والتهجير من خلال سكّان بناية سكنية مأهولة بعائلات مختلفة في حيّ الأشرفية، أحد أحياء مدينة بيروت. تدور أحداثها في فترة الحرب الأهلية في لبنان ما بين سنتي ١٩٧٥ – ١٩٧٦، وهي الفترة التي شهدت مجازر وحشية وعمليات قتل عام بشعة. وقد نتج عن تلك الحروب الأهلية تقسيم بيروت إلى بيروتين، الأولى شرقية وأخرى غربية، كما تم تهجير العدد الأكبر من

[١] . رباب سرحان، "تطوّر الفنّ القصصيّ في لبنان وتأثير الحرب الأهليّة اللّبنانيّة على الرّواية"، *الكرمل أبحاث في اللغة والأدب*، العدد ٣٩ (٢٠١٨): ٧٨.

المسيحيين من بيروت الغربية، وتهجير العدد الأكبر من المسلمين من بيروت الشرقية. ودارت معاركها الأكثر قساوة وشراسة في وسط بيروت حيث يقع فندق الهوليداي إن الذي كان أشهر وأكبر فندق في بيروت والذي دارت فيه معارك قاسية. يعيش أبطال هذه الرواية في "بناية العبد" في الأشرفية ويطل الرّاوي ربيع جابر عبر حياة هذه البناية على حياة اللبنانيين آنذاك، حياة من الخوف والعزلة ومعاناة العيش اليومي وعمليات الخطف والفوضى التي سببها المسلّحون والقتل على الهوية ومأساة الأهل في بحثهم عن أحبتهم.

ومن الروايات العربية لهدى بركات التي تتناول تداعيات الحروب الأهلية اللبنانية "حجر الضحك" (١٩٩٠) و"حارث المياه"(١٩٩٨) و"ملكوت هذه الأرض" (٢٠١٢) و"أهل الهوى" (١٩٩٣). كما تناول إلياس خوري هذه القضية في"الجبل الصغير"(١٩٧٧) و"سينالكول"(٢٠١٢).

تناولت الروايات العراقية العديد من القضايا والموضوعات، ومن أهمّها قضية الحصار والغزو الأمريكي وقضية العنف وقضية الصراع الحضاري وتأثيراتها على المجتمع العراقي. وتجلت هذه القضايا في عدة روايات عراقية منها "غايب" (٢٠٠٤) لبتول الخضيري، و"حليب المارينز" (٢٠٠٨) لعواد علي، و"قيامة بغداد" (٢٠٠٨) لعالية طالب، و"مجانين بوكا" (٢٠١٢) لشاكر نوري، و" أموات بغداد"(٢٠٠٨) لجمال حسين علي، و"الغبار الأمريكي" (٢٠٠٩) لزهير الهيتي، و"كم بدت السماء قريبة" (٢٠٠٩) لبتول الخضيري.

ففي رواية "غايب" لبتول الخضيري تصوير حياة أسرة عراقية متوسطة الحال، تدور أحداث هذه الرواية في فترة الحصار والعقوبات الاقتصادية التي فرضت على العراق جراء غزو صدام للكويت عام ١٩٩٠. وقد تمت المقارنة في هذه الرواية بين حال العراقيين قبل الحصار وحالهم بعده لاستعراض مدى ما لحق بالعراقيين جراء اقتطاع العراق من العالم وعزله بفعل الحصار، كما صوّرت الكاتبة

عدة أزمات يواجهها العراقيون، فاضطر بعض العراقيين إلى تغيير مهنهم لعدم مقدرتها على سد الجوع وحلت الخرافة والجهل محل العلم.

وتستعرض الروايات العراقية كثيرا من القضايا ما كان للمبدع أن يتجاهلها. "فسجّل الروائي العراقي كل ما مر على العراق من أحداث متلاحقة، تارة بعين الأسف على ما مضى، وتارة أخرى بعين الرضا، ولا شك أنّ الانتماء السياسي والحزبي للأفراد، ومدى قربهم أو بعدهم عن السلطة الحاكمة، وبطش الحاكم بالمحكوم أو ثنائه عليه هو ما جعل نظرة المبدع العراقي تختلف من روائي إلى أخر، واختلف مع تلك النظرة الرؤية والمضمون"[١].

أما الرواية السعودية، "فقد دخلت إلى الأدب السعودي من الجانب الاجتماعي والإصلاحي كأداة فنية لمكافحة الدعاية القلمية الأوروبية لتوسيع وانتشار المدنية الغربية إلى العالم العربي الإسلامي والقضاء على كيانه الأخلاقي والتربوي، إذ أحسن الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري بضرورة تنظيم حملة دفاعية تقاوم تيار الفساد الغربي بالطريقة نفسها، وذلك بالتحرير على الأسلوب الروائي، ورأى في فن الرواية تعبيرا فنيا شاملا عن آرائه في الحياة والمجتمع وتنشئة طباع المتعلمين، فقدم رواية "التوأمان" في عام ١٩٣٠ ليحذر الأمة العربية من أضرار معاهد التعليم الأجنبية وأفكارها المنحرفة، فلم يكن يرى تلك المعاهد مصادر تثقيف وتطوير المواهب البشرية، بل وكان يعتبرها مصادر تدمير الثقافة الشرقية والحضارة الإسلامية، وهكذا كان ميلاد الرواية السعودية تلبية لحاجات اجتماعية وثقافية عصرية. وحذا حذوه الروائيون السعوديون في الفترات المتلاحقة التي يرصدها هذا البحث. وهي نهاية عام ٢٠٠٠م، وما زالت الرواية في كافة مراحل نشوئها وتطورها وازدهارها مرتبطة بالمجتمع وتناولت

[١]. فاطمة حسن محمد الماوردي، "قضايا الرواية العراقية الحديثة في الفترة من ١٩٩٠م وحتى ٢٠١١م"، *مجلة البحث العلمي في الآداب*، العدد ١٩ (٢٠١٨): ٧.

العديد من همومه وقضاياه وصراعاته الفكرية والنفسية والثقافية والعاطفية وأسهمت في تغيير الواقع المعاش"[١]، مثلما تطرح رواية "الأخرون" (٢٠٠٦) للأديبة الشابة السعودية صبا حرز القضايا الاجتماعية المتنوعة بما فيها الزواج القسري وتعدد الزوجات والطلاق وقضايا تعليم البنات والعنوسة ومشكلة الحجاب والعنف ضد المرأة والحرية وعدم المساواة والسفور والاختلاط والمشاكل التي تواجهها في حياتها اليومية. وتتناول الكاتبة العديد من المواضيع من أمثال الخوف والحب والضغط الاجتماعي مع انتقاد شديد للأحوال الاجتماعية المتشددة الضيقة وظواهر تتعارض مع التعاليم السمحة والمبادئ الدينية.

ويوجد عديد من الروايات العربية من شتى الدول العربية مثالا جليا لتناول الأدباء الواقع الاجتماعي وتصوير أحداثه، كما صرح به الدكتور شوقي ضيف "واضح أنّ أدباؤنا كانوا يشاركون مجتمعهم في حياتهم ويصورونها في شعرهم ونثرهم، وهكذا مضى أدبنا، بل هكذا تمضي الآداب كلها يشارك أصحابها في حياة أقوامهم ويصورونها. وقلما وجد من يعتزل أمته اعتزالا خالصا"[٢].

إن الرواية الأردنية "تفاعلت مع الواقع شأنها في ذلك شأن الرواية في أقطار عربية أخرى، وهي منذ نشأتها تستلهم الفكر الوطني الذي يدعو إلى التمسك بالأرض، والتصدي للاستعمار، والاحتلال الصهيوني لفلسطين، فأخذت موقف المدافع عن الوطن، وتحدثت عن الانتماء الوطني، ودور الشباب في التنظيمات السياسية، وصورت ما أحدثته الحروب من آثار سلبية في البلدان، وهذا

[١] . د. حفظ الرحمن، "النزعة الاجتماعية في الرواية السعودية"، *الرياض*، ٢٣ يونيو ٢٠١١، تاريخ الاطلاع ٦ سبتمبر ٢٠٢٣، https://www.alriyadh.com/64416.

[٢] . د. محمد شوقي ضيف، *في النقد الأدبي*، ط٩ (القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٤)، ص ١٩٩.

التفاعل مع المحيط أدى إلى مرور الرواية الأردنية بمراحل مختلفة تبعا للتطورات السياسية والاجتماعية التي حدثت في الأردن، وفي البلدان العربية المحيطة"[١].

وقد كانت نكسة عام ١٩٦٧ نقطة تغيير مهمة على الأصعدة عامة والصعيد الأدبي خاصة،"فالنكسة جعلت الرواية تدخل في مرحلة تأسيسة في العقد السادس من القرن العشرين، فتغيرت الرواية شكلا ومضمونا"[٢]. فقد تأثرت الرواية العربية بهذه الهزيمة الكبرى، "وهذا أحدث تغييرا في المضامين، فأصبح الأدباء يعبرون عن النكسة مؤكدين علاقة الأدب بالمجتمع، فالتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية تؤدي إلى تغيير في الإبداع الأدبي، لأنه يتصل بالواقع، فقد كشفت نتيجة الحرب عن الخلل في المنظومة المجتمعية، وكشفت عن المشكلات التي تعاني منها الشعوب العربية، وهذه النكسة شكلت لدى الأدباء وعيا اجتماعيا وسياسيا جعلهم يعبرون عنه في رواياتهم"[٣].

لقد كانت رواية "أنت منذ اليوم" للروائي والشاعر والإعلامي الأردني تيسير سبول احتجاجا على الوضع العربي وبداية السلام مع الكيان الصهيوني المحتل عقب نكبة حزيران. وفي هذه الرواية هجاء للحياة السياسية وقت الهزيمة وللأنظمة العربية الحاكمة في تلك الفترة.

تتناول هذه الرواية قصة عربي، "هكذا اسمه من دون ألف ولام التعريف. وكما يبدو فإن هذا التنكير لبطل الرواية مقصود جدا لإشعار القارئ أنّ هذا الـ(عربي) يمكن له أن يكون أنا، ويمكن له أن يكون كل واحد منّا"[٤] ويوميات حياته من بعد النكبة وحتى الأيام التالية لهزيمة حزيران. تبتدأ الرواية

---

[١]. د. حنين إبراهيم معالي، *الرواية بين الأيديولوجيا والفن* (عمان: الآن ناشرون وموزعون، ٢٠٢٠)، ص ٧٧-٧٨.

[٢]. المرجع نفسه، ص ٧٩-٨٠.

[٣]. المرجع نفسه، ص ٧٩.

[٤]. جابر جابر، "تيسير السول في "أنت منذ اليوم": في هجاء النظام العربي الرسمي"، جريدة ج، ٣١ يناير ٢٠١٩، تاريخ الاطلاع ٢٤ سبتمبر ٢٠٢٣، https://iber.com/culture/tayseer-sboul-novel-review/.

بمشهد والد بطل الرواية حيث يقضي على قطّة مسكينة لأنها سرقت قطعة لحم من المنسف الذي تجهزه الوالدة، القطعة المسروقة إنما هي قطعة الكتف، وتلك التي الأكثر جودة بين القطع الأخرى، بعد قتل القطّة يعود الوالد لترتيب قطع اللحم فوق الأرز. ويكون هذا المشهد تعبيرا من الراوي عن قسوة الأب الذي هو انعكاس للسلطة السياسية في المجتمع وسرقة العدو الصهيوني للضفة الغربية في حرب حزيران. تنتهي الرواية بمرافعة طويلة تتحدث عمّا حدث لعربي إثر الهزيمة.

تشترك الرواية "الكابوس" لأمين شنار مع "أنت منذ اليوم" للسيول في تعبير عن حدث نكبة حزيران. ولكن طريقة كل منهما فنيا تختلف عن الأخر، والرواية "الكابوس" رواية رمزية تصور "قصة شاب عربي فلسطيني يقرأ مذكرات جدّه الراحل التي يوصي فيها بالانتباه إلى خطر الغرباء في القرية. هذه القرية الواقعة في حضن الجبل والتي يتحكم فيها البيت الكبير في أعلى الجبل، ذلك البيت الذي كان يقطنه الشيخ الكبير، المتحكم بالقرية، وينهض البطل- الفرحات لكشف سر هذا الشيخ الكبير، لكن الغرباء يستطيعون تجنيد فرحات لصالحهم فيصبح خفيرا من خفرائهم بعد أن عذبوه في البئر، ومع أن فرحات يتساقط لكنه يظل يحمل في داخله بذرة الانتماء إلى جده والقرية. ويظل المد والجزر قائما بين القرية والبيت الكبير إلى أن يدهم الغرباء القرية ليدمروها ويقتلوا سكانها"[1]. يتجلى في هذه الرواية واقع الأمة العربية قبيل هزيمة حزيران وتقبيح أساليب اليهودية في احتواء فلسطين، ورسم الواقعة النكسة والإشارة إلى سر الهزيمة.

تتعرض الرواية "جراح جديدة" لعيسى الناعوري والرواية "أوراق عاقر" لسالم النحاس لهزيمة حزيران وأسبابها وحيثياتها ونتائجها وغير ذلك.

[1]. الدكتور عيسى العبادي، *مضامين الرواية الأردنية (١٩٦٧-١٩٩٠)* (عمان: دار الجرير، ٢٠٠٦)، ص ١٧٣.

لقد تناول كثير من الروائيين الأردنيين بتصوير مجموعة من صور الظلم "التي كان يعاني منها المجتمع آنذاك، وهناك صورة ظلم ذوي القربى وظلم القضاة المرتشين المنافقين، وصورة الحاكم التركي المتسلط سيء السمعة"[1].

وقد صوّر "نعمان سعيد أبو عيشة" في روايته "وا هيفاء" ظلم طبقة البرجوازية وتسلطهم على الفلاحين ونسائهم للعمل بأجور رخيصة بحقولهم دون اعتبار على أنّهم بشر مثلهم خاصة النساء اللاتي لا تقوى أجسادهن صعوبة العمل. لقد يتجلى هذا الظلم والتسلط في الرواية كما يصوّر الراوي "كيف نبني وأنا أرى نساء هم يحملن المعاول ويحفرن الأرض ويحملن المياه والأمتعة على رؤوسهن مسافات طويلة وقد اقشعر بدني حينما رأيت إحداهن ودمها ينزف من تحت شعرها وعجبت من نفسي .... وذهلت لما أنا فيه لأنني من أبناء البرجوازية ومن الذين يبنون لذاتهم على رفاة الآخرين وكنت أقن بهؤلاء العمال أحيهم تحية عربية ينظرون باستغراب لأنهم عهدوا في كل من يلبس ويتأنق مثلي أنه سيد"[٢].

كما أوضح جمال ناجي في روايته "وقت" الظلم الاجتماعي وهو الظلم الواقع على جميع أفراد المجتمع، لا ينجو من الظلم إلا فرد أعلن لعدوه عدم انتمائه لوطنه، وهذه الصورة التي بيّنها ناجي حين عكس حياة أحد المخيمات في الفترة التي سبقت هزيمة حزيران من خلال شخصية "مدير الكسار" الذي يعيش في المخيم حياة ليسودها الضنك وسوء الحال بجميع أشكاله من عدو متسلط.

[1] . إبراهيم السعافين، *الرواية في الأردن* (عمان: منشورات لجنة تاريخ الأردن، ١٩٩٥)، ص ١٨.

[٢] . نعمان سعيد أبو عيشة، *واهيفاء* (عمان: مطبعة الشرق، ١٩٧٥)، ص ٥٨.

وفي رواية "شمس الغروب" لمحمد سعيد الجنيدي والتي نشرها عام ١٩٥٧ تصوير حياة البؤس والحرمان لواقع المجتمعات الريفية في الأردن في تلك الفترة الزمنية، حيث "يقول بوذا: أنا لا أعرف شيئا عن الآلهة، ولكن أعرف أشياء عن بؤس الإنسانية"[١].

لقد تناول "الجنيدي" كثيرا من المشاهد التي تظهر عن مدى الألم والمعاناة يواجهها كاهل الإنسان الريفي جراء صور الظلم التي يتعرض لها وهو يصوّر صورة الأم التي تروح لزيارة القبور ليلة العيد برفقة جدته وهي"حافية القدمين يائسة"، "فالبيت قد نفذ منه الطحين وزوجها لا يستطيع أن يستدين قمحا، مع كل ذلك تطلب من ابنها أن يتوقف عن جمع الخبز عند القبور ليذهب إلى البلدة النائية لكي يتعلم ويصبح موظفا، وليس هناك من وسيلة لذلك إلا أن تبيع له عشر دجاجات لتشتري له بذلة ليذهب بها إلى المدرسة".

وكذلك يصوّر الروائي الأردني محمد سعيد الجنيدي في روايته "شمس الغروب" مشهد واقع أهل القرية "وكان هناك بعض النسوة متناثرات على الأحداث، كأنهن غربان يتنازعن جيفة، أو وحش ملقى في العراء، غير أنّهنّ لم يكنّ يختلفن عن تلك الصراصير السوداء الحقيرة القذرة، فأهل القرية جميعهم مع حبّهم للعلم في أبنائهم، أغبياء في فقر من العلم وغنى من الجهل، لا يلذون من حياتهم إلا الطعام والنساء"[٢]. يقدّم الجنيدي أكثر المشاهد قسوة وألما في هذه الرواية حينما يصف معاناة الفلاحين "في كل حين يعبر فلاح عاري القدمين، رث الثياب، كأنّ لقدميه من سماكة باطنها حذاء من اللحم، يقيه قسوة الطريق، وألم الشوك الذي يتناثر فوق الحقول والطرق الضيقة، والفلاحات قد اكتحلن بالأثمد عاريات الأقدام أيضاً، تفوح منهن رائحة أقنان الدجاج، وروث البقر والحمير،

[١] . محمد سعيد الجنيدي، شمس *الغروب* (عمان: منشورات الرواد، ١٩٥٧)، ص ٨.

[٢] . المرجع نفسه، ص ١٨.

وأسنانهن الصفراء، قد تكاثر عليها القلح من أكلن للبقول البرية، خشية الموت جوعا، أما أطفالهنّ فلم يكونوا أقل منهن سوءا، فالذباب يسبق الطبيعة من النهوض مبكرا في هذا الصباح، كي يلتهم الأوساخ التي تراكمت على وجههم منذ أسابيع"[١].

إن الروائي الجنيدي يقدم صورتين متناقضتين، صورة الفلاحين وصورة أهل النعم الذين يستغلون الفلاحين، "أولئك هم أهل النعيم، وكان الفلاح لم يخلق إلا ليكون رقا لهم، ولكنه عبد من نوع جديد، إنسان يستعبده الربا وسنين الاقتصاد الملتوي... وهناك سياط الجنود المؤلمة... والسجن المظلم الكتيب، ومن بعد ذلك تصبح أرضه التي يعيش فيها ملكا لهذا الذي أعطاه في كل يوم من الأيام ما يحفظ عليه حياته من المال الزهيد، فصار أضعافا مضاعفة مع الأيام، فإذا هو رقيق يسعى لمرضاة سيدة، ويباع مع الأرض إذ أصبحت ملكا لإنسان جديد"[٢].

أما عن مفاسد الحياة الاجتماعية التي كانت سائدة فقد صوّر "حسني فريز" في روايته "حب من الفيحاء" جانبا من ذلك كانحلال الحياة الزوجية ومدى تأثيرها على المجتمع، وذلك يصف الراوي: "فالزوج تافه مهذار سفيه يدعي الذكاء والمعرفة الوطنية، وهو يكره المستقيمين، ويشبع جشعه بسرقة المال، ويختلس اللذات الرخيصة من البائعات، ويفيض في وصف الوطنية ويدعي العفة ويباهي بزوجته التي تشبه البوم مع أنه لا يحبها، ولا يعلم أن الولد الذي يخدم في داره يقدم خدمة دقيقة لها، وهي تحذره من التظاهر بالزينة والنظافة إن لم يخرج زوجها إلى السوق، ولكنه يأخذ زينته عندما يغادر زوجها البيت"[٣].

---

[١] . محمد سعيد الجنيدي، *شمس الغروب*، ص ٢٨.

[٢] . المرجع نفسه، ص ٣٥.

[٣] . حسني فريز، *حب من الفيحاء* (عمان: مطبعة الشرق ومكتبتها، ١٩٧٢)، ص٩٣.

ينبغي أن تكون العلاقة بين الزوجين وثيقة قائمة على مجموعة من القيم الاجتماعية النبيلة التي تؤدي بدورها إلى تربية الأطفال تربية سليمة بعيدة عن انزلاقات الحياة الزوجية.

ويقدم الروائي فؤاد قسوس في روايته "العودة من الشمال" الكبت الاجتماعي الأسري في المجتمع الأردني وبيّن أن الأطفال هم عرى الارتباط بين الزوج والزوجة، والرجل هو صاحب السلطة ويمارس دور القيادة الذي يصل به في كثير من الأحيان إلى ضرب الزوجة والأطفال. ويروي "صابر" أن له أختا متزوجة من عسكري فرسان مثل البغل يقوم بضربها ولا تريد الانفصال عنه لوجود الأطفال. حيث ينصحها أن تتخذ لها عشيقا.

وهناك قسوة شديدة من جانب بعض الآباء على أبنائهم بالضرب والشتم حيث قام والد "عربي" بضرب ابنه وشتمه متهما إياه بتضييع النقود حيث يرى الابن أن شررا أخذ يتطاير من وجهه جراء الصفعة على وجهه وفي نهاية الأمر يتضح ذلك أن الوالد قد أخطأ في عملية الحساب.

كما أوضح "القسوس" عن غياب المؤسسات الاجتماعية التي تقوم بإيواء اليتيم وتكفله وترعى حقوقه، فالطفلة "عائشة" التي ماتت أبوها لم تر أحدا بعد مرور أربعة أيام على وفاته حيث لم تجد من يقوم لها بالحماية والرعاية ويسدّ عنها شرّ الجوع وقسوة البرد ونظرات الآخرين "حيث أخذت تجوب الشوارع بحثا عن الطعام وأصبحت هدفا للشباب الطائش حيث أن بعضهم يرى فيها حشرة يجب أن تنظف منها الشوارع وأخر يرى فيها ثمرة سهلة القطف"[١].

إن الفساد الإداري والرشوة في مؤسسات الدولة عامة منذ زمن بعيد حيث أشار إليه "شكري شعشاعة" في الرواية "ذكريات" من خلال شخصية "سامح" الذي ابتلع مال الجامع واستطاع أن

[١]. فؤاد قسوس، *العودة من الشمال* (عمان: مطبعة القوات المسلحة، ١٩٧٧)، ص ١٣.

يتخلص من العقاب بالرشوة إلى المسؤول المحقق في القضية وخرج دون إدانة من السرقة "وهو يفكر كيف يبتلع ما هو أكبر من ذلك؟ من خلال الرشوة والتمويه وسلاطة اللسان واستغلال الوجهاء للحصول على ذلك"[١].

وقد تحدّث "فؤاد قسوس" في روايته "العودة من الشمال" عن القتل بين أفراد القرية لأدنى الأسباب، وهذا ما يتجلى في قول السارد: "وقد لا تمر سنة من غير أن تشيّع القرية قتيلا أو قتيلين، وعندما ينطلق جدي، ويأكل من زرع الآخرين يسبب شجارا يؤدى إلى اقتتال القرية، وحمارة (خليل) سببت معركة بينه وبين (عايد) الذي فك قيدها من غير علم صاحبها، ونقل عليها شعيرا إلى بيته، فتجادلا وتضاربا، وامتد الخصام إلى زوجتيهما، وذبح شيخ القرية خروفا، ودعا إليه أقارب المتخاصمين وأصلح بينهما"[٢].

وفي رواية "طريق الرماد" لشكري شعشاعة تصوير التقاليد الاجتماعية والقيود السائدة في المجتمع، والتي يشير الراوي الى قضية تعليم الفتاة ونظرة المجتمع لها. وقد تعذّر على الفتاة الخروج إلى بيت عمها منفردة. تقف تلك القيود التي كانت سائدة في ذلك المجتمع حائلا أمام نيل الفتاة أدنى حقوقها حتى في مجال التعليم.

لقد جاءت روايات "غالب هلسا" أديب وروائي أردني "مجسدة لواقع المعاناة والألم التي يعيشها الإنسان العربي الأردني المقهور والثائر جراء كثير من العادات والتقاليد الاجتماعية التى لا تتناسب

---

[١] . شكري شعشاعة، *ذكريات* (عمان: مطبعة الاستقلال العربي، ١٩٤٥)، ص ٣٢.

[٢] . فؤاد قسوس، *العودة من الشمال*، ص ٢٩١.

وواقع الأمة التي لها عاداتها وقيمها وتقاليدها العربية والإسلامية وإن لم يظهر هلسا ذلك جليا بعبارات واضحة"[١].

إنّ كثيرا من الروايات الأردنية تتناول المشاكل الواقعية والتي تسلط الضوء على واقع الناس المعيشي، "وتدعو إلى الخلاص من الفقر والتخلف والمرض والجهل، وتتحدث عن سوء الأوضاع الاجتماعية، وإهمال الدولة للمواطنين، واضطراب الحياة الاجتماعية، وضعف الرقابة على زمام الأمور في الدولة، وعدم قدرتها على مسايرة ركب الحضارة، وانتشار الرذائل في المجتمع، وشيوع العقائد التقليدية الرجعية في وجدان الشعب والفهم الخاطئ لتعاليم الدين"[٢].

وفي الخلاصة، يظهر مما سبق أنّ الروائيين العرب استخدموا الرواية لنقل الأحداث التي عايشوها وعلموا بها. وللأدب دور مهم في تطوير المجتمع وتطهير الإنسان وتزكيته من الفساد الشنيع. وقد استخدم الروائيون القضايا المختلفة والعنيفة والموضوعات شتى في هذا المجال.

[١]. إبراهيم السعافين، *الرواية في الأردن*، ص ١٨٠.

[٢]. محمد زغلول سلام، *دراسات في القصة العربية الحديثة* (الإسكندرية: شركة الإسكندرية للنشر، ١٩٧٣)، ص١٧١.

الباب الثاني

إبراهيم نصر الله: الشخص والشخصية

الفصل الأول: إبراهيم نصر الله: الشخص

المبحث الأول: مولده وطفولته ودراسته

المبحث الثاني: وظائفه الرسمية

الفصل الثاني: إبراهيم نصر الله: الشخصية الأدبية

المبحث الأول: نشأته الأدبية

المبحث الثاني: إبراهيم نصر الله الشاعر

المبحث الثالث: إبراهيم نصر الله الروائي

المبحث الرابع: موهبته في الفنون الأخرى

المبحث الخامس: الجوائز التي حصل عليها

الباب الثاني

إبراهيم نصر الله، الشخص والشخصية

الفصل الأول: إبراهيم نصر الله: الشخص

المبحث الأول: مولده وطفولته ودراسته

ولد إبراهيم نصر الله في اليوم الثاني من شهر كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٥٤ في مخيّم الوحدات الأردني، بعد أن اقتُلع والداه من قريتهما الفلسطينية البريج - غربي القدس خلال النكبة عام ١٩٤٨. عاشت أسرته في خيمة في غور نمرين شرقي نهر الأردن، ثم انتقلت أسرته إلى مغارة جبلية في سفح جبل النظيف في عمان، ومنه إلى إحدى المُعلّبات الإسمنتية في مخيم الوحدات. المخيّم الذي كان يظنه الفلسطيني مجرد مأوى مؤقت، يعود من بعده لبلاده، عاش فيه لاجئا، وكذا أرضه ما زالت محتلة. لكن هذا المكان كان له أثر في صقل شخصية الأديب إبراهيم نصر الله.

وقد تلقى إبراهيم نصر الله تعليمه الابتدائي والإعدادي في فترة ما بين عامي ١٩٦٠و١٩٦٩ من المدرسة التي بناها الأمم المتحدة لأبناء اللاجئين في مخيّم الوحدات الأردني، وكانت هذه المدرسة خيمة بلا مقاعد، الطلاب كلهم يشتركون في كتاب واحد، وكانوا يحرمون في الوقت نفسه من أخذه معهم إلى بيوتهم، ومنذ تلك اللحظة أخذ يحلم إبراهيم نصر الله في امتلاك كتابه الخاص. وقد رغب إبراهيم نصر الله في كتابة الشعر، ومشاهدة الأفلام السينمائية في أيام طفولته.

نجح إبراهيم نصر الله في امتحان شهادة الثانوية العامة الأردنية سنة ١٩٧٣، ثم التحق بمعهد المعلّمين التابع لوكالة الغوث في عمّان، وتخرج منه عام ١٩٧٦ حاملا دبلوم التربية، ما كان يؤهله لأن يصبح معلّما.

قد شكّل المخيّم وأوضاع اللاجئين فيه مرحلة مهمة بالنكبة في وعي نصر الله الصبي، وواجه المأساة بكل ما فيها من ضياع، وفقر، وغياب للهوية، وفقدان للبيت، والبيارة. ويقول إبراهيم نصر الله عن المخيّم: "هو الوحدات قرب عمّان، والبيوت أشبه ما تكون بقبور جماعية فوق الأرض، لا شجر ولا أثر للحياة، الأب أمي، والأم أمية، وطبيعة الحياة القاسية لا تشير إلى يوم تال أبدا، كيف استطعنا تجاوز حواف الجوع، ومجاهل المرض الذي كان يفتك بنا بأنواعه؟!، لا أدري"[١].

اعتقد إبراهيم نصر الله أنّ العالم يعيش في حالة الفقر، والألم، والحزن لا تختلف عن تلك التي يواجهها هو في المخيم، وأنّ قراءة الروايات تخفّف حزنه، فقد قرأ إبراهيم نصر الله كثيرا من الروايات مثل البؤساء، وآلام فارتر، وأحدب نوتردام، والجوع، وكوخ العم توم، وروايات محمد عبد الحليم عبد الله، والعبرات والنظرات والشاعر للمنفلوطي، وأعمال إميل زولا، وبعض الأعمال الأدبية لسارتر، وديستويفسكي، و'في بيتنا رجل' لإحسان عبد القدوس، وأعمال مثل 'الوسادة الخالية'، و 'الأرض' لعبد الرحمن الشرقاوي، حتى قرأ الملاحم الإنسانية الكبرى، وأهمّ الروايات العربية والعالمية والأشعار والاتجاهات الأدبية وغيرها.

المبحث الثاني: وظائفه الرسمية

عمل إبراهيم نصر الله معلّما في منطقة "القنفذة" في المملكة العربية السعودية في فترة ما بين ١٩٧٦و١٩٧٨. والقنفذة بيئة قاسية نائية بين صحاري وجبال. كان إبراهيم نصر الله في الثانية والعشرين عندما أصبح في القنفذة. عمل نصر الله لقاء ما يقارب من ١٣٠دينارا في الشهر بعيدا عن أسرته، ازداد عددها مع مرور السنين والأعوام.

[١] . إبراهيم نصر الله، *كتاب الكتابة تلك هي الحياة ذلك هو اللون* (لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٨)، ص ١١.

لقد عانى نصر الله كثيرا من معاناة البؤس والحرمان في تجربته العملية في القنفذة حتى وجد نفسه على وشك الموت من الإصابة بحمى الملاريا. وصوّر في روايته الأولى "براري الحمى" تلك التجربة والمعاناة اليومية للناس المقيمين فيها. يقول الكاتب عن معاناته في القنفذة: "صحيح أن المعاناة اليومية في تلك البيئة الموحشة قد دفعتني بقوة إلى التفكير في مغادرتها والعودة إلى عمّان، لكن عثوري على نسخة من رواية "رجال في الشمس" لغسان كنفاني، وقراءتها وتأمل مصير شخوصها، وتصور الرجال جثثا في الخزان، كل ذلك جعلني أحسم موقفي، واتخذت قراري بلا تردد"[١].

وفي عمّان، عمل إبراهيم نصر الله صحافيا في صحيفة "الأخبار" الأردنية، ثم جريدة "الدستور"، وبعدهما صحيفة "صوت الشعب" الأردنية، محررا ثقافيا في الفترة ما بين عامي ١٩٧٨ و١٩٩٦، بعد ذلك عمل في صحيفة "الأسواق" لفترة قصيرة. وقد عبّر عن تجربته الصحافية في روايتيه "عو"، و"شرفة رجل الثلج".

وفي وقت لاحق، التحق نصر الله في مؤسسة عبد الحميد شومان مستشارا ثقافيا للمؤسسة، ومديرا للنشاطات الأدبية في "دارة الفنون" التابعة لها ما بين ١٩٩٦ و٢٠٠٦.

قرّر إبراهيم نصر الله أن يتفرغ تماما للكتابة الإبداعية والثقافية والمساهمات الصحفية بعد عشر سنوات من العمل مع مؤسسة عبد الحميد شومان.

[١]. المرجع نفسه، ص ١٤.

الفصل الثاني: إبراهيم نصر الله: الشخصية الأدبية

المبحث الأول: نشأته الأدبية

شعر إبراهيم نصر الله برغبة في كتابة الشعر حينما كان طالبا في مدرسة الأنروا(UNRWA) كما يوضّح نصر الله بداية نزعته الشعرية: "بداية التفتح الشعري كانت في نهاية الفصل الثالث الإعدادي"[١]، تلك الرغبة في كتابة الشعر نمت في المرحلة الثانوية، وكتب بيتين هجا فيهما أستاذ اللغة العربية، اسمه الربيع بسبب قسوته، وحدث أن سقطت إحدى القذائف وأصابت بيت الأستاذ فاستشهد، فتألّم نصر الله كثيرا، وشعر منذ ذلك الوقت أنّ الشعر ليس لهجاء الناس، "فكانت أوّل قصيدة كتبها بعد ذلك هي قصيدة مهداة له بعنوان الشهيد"[٢].

اهتمّ نصر الله في بداية نشأته الأدبية بكتابة الشعر مقتصرا على اللهجة العامية، وكتابة الذكريات كما كتب رواية ساذجة احتلت دفترا كاملا توزّعها وكالة الغوث. تفتّحت الموهبة الشعرية لإبراهيم نصر الله في معهد المعلّمين، وأصبح شابا مشهورا بالشعر في أوساط الطلبة. وقد أصدر ديوانه الأول "الخيول على مشارف المدينة" في عام ١٩٨٠، والذي أهدى نسخة منه للدكتور عبد الرحمن ياغي، أستاذ الأدب العربي في الجامعة الأردنية، ثم كتب عنه هذا الأستاذ دراسة نقدية بعنوان "شاعر فتى وديوان بحجم القلب".

حينما سافر نصر الله أول مرة للعمل كمدرّس إلى الجزيرة العربية، وجد هناك بؤس الناس الذين يقيمون فيها، حيث لا ماء، ولا كهرباء، ولا شوارع، وكانت الأمراض المعدية شائعة، ولم يكن الشعر

---

[١] . فاطمة عطفة، "للشعر وقته وللرواية وقتها"، *جريدة القدس العربي*، ١٥مايو ٢٠٠٦، ص ١٠.

[٢] . حسين مرهون، "إبراهيم نصر الله يروى للوقت محطات من سيرته الذاتية"، *جريدة الوقت*، ٢٠٠٦، ص ٩.

كافيا للتعبير عن تلك التجربة كلها، فجاءت "براري الحمى" أول رواية له عام ١٩٨٥ عن هؤلاء المعذّبين في الأرض.

صدرت عن نصر الله بعد ذلك دواوين شعرية كثيرة، وروايات مختلفة عديدة، ونال جوائز عدة لأعماله الأدبية.

المبحث الثاني: إبراهيم نصر الله الشاعر

يعتقد "نصر الله أن للفلسطيني أُمّين: أمّه التي ولدته، والقصيدة؛ وأنّ القصيدة هي التي كانت المصدر الثقافي الوجداني أكثر تأثيرا في البناء الروحي"[١]. وقد بدأت نزعته الشعرية حينما كان طالبا في المدرسة الإعدادية، وعبّر عن مكنوناته بالشعر. ولذا شهدت تجربته الشعرية تحولات عديدة من حيث الشكل والمضمون. لقد أدى تنوع قصائده إلى قصائد طويلة، وقصيرة، وقصيرة جدّا، وملحمية، وقصائد نثرية، وقصائد سيرة شعرية.

اختار إبراهيم نصر الله في البداية اللغة العامية في شعره "اعتقادا منه أنّها الأقرب للإنسان العادي وفهمه وتقبّله، فكتب العشرات من القصائد، لكنه سرعان ما أدرك أنّ اللغة العاميّة مع كل ما تتميّز به من خصوصيّات وجماليات إلاّ أنّها تظل عاجزة عن الإحاطة بكل المعاني التي تتفتّق عن تجلّيات الإبداع"[٢].

وقد سجّل إبراهيم نصر الله اسمه في قائمة الشعراء الموهوبين، وتميّز بين شعراء جيله وسابقيه ولاحقيه بمعالجته الفنية الإبداعية الخاصة. ومن ميزة شعره "درجة من العمق والجمال والحيوية

[١] . إبراهيم نصر الله، *السيرة الطائرة أقل من عدو أكثر من صديق*، ط٣ (لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٢)، ص١١٧-١١٨.

[٢] . د. القاسم نبيه، "إبراهيم نصر الله في قصائده القصيرة مبدع يعرف كيف يُعيد للشعر حيويّته"، *مجمع اللغة العربية*، تاريخ الاطلاع ٢١ أكتوبر ٢٠٢٣، http://www.alkalimah.net/Articles/Read/3566.

والتعبيرية"، ويتجلى في معظم أعماله الشعرية تعبير عن انتصار القيم الحرية، والإرادة، والاختيار، والقيم الوطنية والإنسانية الخالدة. فالشعر عنده كشف عن تصدعات الكائن والكينونة ولم تكن قصائده موجهة لفلسطين وحدها، ولكن لإنسانية متعطشة للحرية في كل زمان ومكان.

ومن دواوينه الشعرية:

١. الخيول على مشارف المدينة- ١٩٨٠
٢. المطر في الداخل- ١٩٨٢
٣. الحوار الأخير قبل مقتل العصفور بدقائق- ١٩٨٤
٤. نعمّان يسترد لونه- ١٩٨٤
٥. أناشيد الصباح- ١٩٨٤
٦. الفتى النهر والجنرال- ١٩٨٧
٧. عواصف القلب- ١٩٨٩
٨. حطب أخضر- ١٩٩١
٩. فضيحة الثعلب- ١٩٩٣
١٠. الأعمال الشعرية- مجلد يضم تسعة دواوين- ١٩٩٤
١١. شرفات الخريف- ١٩٩٦
١٢. كتاب الموت والموتى- ١٩٩٧
١٣. بسم الأم والابن- ١٩٩٩
١٤. مرايا الملائكة- ٢٠٠١
١٥. حجرة الناي- ٢٠٠٧

١٦. لو أنني كنت مايسترو- ٢٠٠٩

١٧. أحوال الجنرال- مختارات- ٢٠١١

١٨. عودة الياسمين إلى أهله سالما – مختارات- ٢٠١١

١٩. على خيط نور.. هنا بين ليلين- ٢٠١٢

٢٠. طيب مثل قلب سحابة – مختارات- ٢٠١٧

٢١. الحب شرير- ٢٠١٧

المبحث الثالث: إبراهيم نصر الله الروائي

إنّ الكاتب المشهور إبراهيم نصر الله كما كان مبدعا في الشعر، كان مبدعا في الرواية أيضا. وقد دخل عالم الرواية نتيجة المعاناة التي واجهها في القنفذة من المملكة العربية السعودية. ولم يكن الشعر كافيا للتعبير عن تلك المعاناة كلها، فجاءت 'براري الحمى'أوّل رواية له لتصوّر حجم المرارة التي عايشها هناك. يقول الكاتب حول تجربته الروائية الأولى 'براري الحمى': "كنت أعتقد أنّها الرواية الأولى والأخيرة، لكنني لم أكن بأيّ شكل من الأشكال قادرا على التعبير عما في داخلي سوى بهذا الشكل"[١].

تتناول أعماله الروائية أنماط القمع السياسي والاجتماعي والفكري، وكشف صور الفساد الاجتماعي والسياسي، وتحالفات الطبقية، وأشكال المقاومة ضد الظلم والاحتلال، ولكن "يطغى موضوع القضية الفلسطينية على كل المواضيع"[٢]. وقد اكتسبت رواياته حضورا وامتدادا لدى الجمهور، حيث كتبها في أسلوب جديد ومختلف في كل منها، متجاوزا الرواية التقليدية إلى آفاق جديدة مع الحداثة.

[١]. صبحي فحماوي، "رسالة الأردن الثقافية"، *الموقف الأدبي*، العدد ٤٠٨ (٢٠٠٥): ٨٠.

[٢]. نسرين عقلة، *رواية زمن الخيول البيضاء دراسة أدبية تحليلية*، رسالة ماجستير، جامعة صقاريا، ٢٠١٩.

تنقسم روايات إبراهيم نصر الله إلى أربعة أقسام، الأول ما كتبه في مشروع الملهاة الفلسطينية، والثاني الروايات التي تندرج في مشروع الشرفات، والثالث ثلاثية الأجراس، والرابع ما كتبه نصر الله من الروايات المستقلة دون أي عنوان أصلي.

أولا- الملهاة الفلسطينية

يضمّ مشروع الملهاة الفلسطينية تسع روايات. ولكل منها اختلافها التام عن الروايات الأخرى في شخصيتها وأحداثها وأجوائها، ويصوّر الكاتب في هذا المشروع تاريخ الشعب الفلسطيني لمدة ٢٥٠عاما، بداية من الحكم العثماني حتى الانتفاضة الثانية، مع الاطلاع على تفاصيل معاناة الفلسطينيين عبر تلك القرون، ومقاومتهم في سبيل إرجاع حقهم. ففي هذه الروايات قصص البطولة، ومقاومة العدوّ في سبيل الوطن، وقصص الشهادة، والموت، والزواج، والولادة، والحب، والسفر، والوفاء، والخيانة.

يقول الكاتب نصر الله عن فكرة الملهاة الفلسطينية: "ولدت فكرة مشروع الملهاة الفلسطينية بعد حرب بيروت مباشرة، في تلك الفترة قرأت عبارة لدافيد بن غوريون، قال فيها: "سيموت كبارهم وينسى صغارهم"، على المستوى الإنساني كنت أرى أنّ العديد من كبار السن، الذين عاشوا الحكاية الفلسطينية منذ بداياتها، يرحلون... هم الذاكرة والبشر ورائحة الأرض الحقيقية لنا، وهم من علّمونا فلسطين، وحينما كانوا يتحدثون كما نشعر وكأنما نشاهد هذا الوطن بأعيننا لفرط قوة تلك الذاكرة الأشبه بشريط سينمائي، وكأنّهم حينما هجروا حملوا كل تفاصيل قراهم ومدنهم... ، خاصة أنّني بدأت أسجّل وأوثق لعدد من حكايات وروايات كبار السن رجالاً ونساء، وكانت الحصيلة كبيرة جدا .. كلما كنت أتوغل في هذا المشروع أكثر، كنت أشعر أنه أكثر اتساعا من رواية واحدة، مهما كانت مكثفة

وكبيرة، لذا كان لابد من أكثر من رواية لأحقق ما أريده للملهاة الفلسطينية كمشروع حياة بالنسبة لي"[١].

لقد ناقش النقاد في تسمية نصر الله بالملهاة دون المأساة على الرغم من أنّ الروايات كلها تثير القضية الفلسطينية، والتي في نهاية كل منها نهاية حزينة أو مأساوية، فالملهاة يجب أن تكون نهايتها سعيدة. وأجاب نصر الله بأنّه "اخترت فكرة الملهاة، لأن المأساة محكومة بنهايتها المروعة، ولذا أحست أنّ كلمة الملهاة هي الأدق هنا، وحين رجعت إلى ظلالها القاموسية، تبيّن لي أنها الاختيار الأدق، فهنا في هذه الروايات، نموت ونحيا ونعشق ونهجر، ونضحك ونبكي، بمعنى أننا نعيش، ونتطلع إلى أن نبقى في جوهر الحياة لا خارجها، المأساة هي خروج من كل شيء، أما هنا فالأمر مختلف، إذ باستطاعة الملهاة أن تستوعب المأساة داخلها وتظل الحياة مستمرة"[٢].

ومن الروايات التي تنتمي إلى الملهاة الفلسطينية حسب تسلسل الزمني التاريخي الذي ورد في كل منها:

أ) قناديل ملك الجليل

صدرت هذه الرواية التاريخية عام ٢٠١١، وهي الرواية الأولى من حيث التسلسل التاريخي والرواية الثامنة من حيث الإصدار، ونافست للحصول على الجائزة البوكر للرواية العربية عام ٢٠١٢، وترجمتها المترجمة الأمريكية نانسي روبرتس إلى اللغة الإنجليزية.

تتحدث رواية قناديل ملك الجليل تاريخ الشعب الفلسطيني في فترة ما بين ١٦٨٩ و١٧٧٥. وهي فترة شهدت كفاح القائد التاريخي ظاهر العمر الزيداني لتأسيس الدولة العربية الفلسطينية، تجمع

[١] . يوسف الشايب، "نكتب عن فلسطين لا لأننا فلسطينيون فقط بل لأنها امتحان يومي لضمير العالم"، *جريدة الأيام*، ٢٣ يونيو ٢٠٠٩.

[٢] . نوارة لحرش، "حوار مع إبراهيم نصر الله: باستطاعة الملهاة أن تستوعب الملهاة داخلها وتظل الحياة مستمرة"، *جريدة النصر الجزائرية*، ٤ سبتمبر ٢٠٠٧.

العرب كلهم باختلاف عقائدهم، امتدت هذه الدولة من فلسطين إلى الأردن ولبنان ودمشق، وتمكّن من دخول الحلف مع مصر. وقد قام ضدّ الظلم والاستبداد من قبل الحكم العثماني. تبتدأ الرواية باسترجاع وفاة عمر الزيداني ويناقش أبناؤه في وراثة التسلم لطبرية، ثم يمتحن أبناؤه لعبة القنديل حيث إن من ينطفئ قنديله في البداية لا يعيش زمنا طويلا، وقد انطفأ قنديل ظاهر العمر الزيداني أصغر الأولاد، ويسلمونه طبرية لكونه أقل عمرا حسب لعبة القناديل. وفي هذه الرواية شخصيات كثيرة، بعضها حقيقية مثل ظاهر العمر وأبنائه، وأخرى متخيلة.

ب) زمن الخيول البيضاء

صدرت هذه الرواية التاريخية عام ٢٠٠٧، وهي الرواية الثانية من حيث التسلسل التاريخي والرواية السابعة من حيث الإصدار، ودخلت في اللاحقة القصيرة لجائزة البوكر للرواية العربية عام ٢٠٠٩. وصفت الأديبة الفلسطينية "سلمى الخضراء الجيوسي" بأنّها تمثل الإلياذة الفلسطينية. تُرجمت الرواية إلى اللغة الإنجليزية وإلى اللغة الدنماركية. واصل إبراهيم نصر الله في هذه الرواية الحديث عن فلسطين في أواخر الحكم العثماني، ثم الاستعمار البريطاني، والاحتلال الصهيوني حتى النكبة ١٩٤٨.

جاءت هذه الرواية مقسّمة على ثلاثة كتب، سمّي الكتاب الأول بالريح، تبدأ أحداث القصة في هذا الكتاب عند بدايات خروج العثمانيّين من فلسطين، وكيف طردهم الإنجليز منها، بينما يستعرض الكتاب الثاني المسمّى بالتراب احتلال الإنجليز لتراب فلسطين حتّى دخول المحتلّ الإسرائيليّ إلى أرض فلسطين بعد أحداث وعد بلفور. والكتاب الثالث المسمّى بالبشر يتناول الزّمن الذي انتشرت فيه العصابات اليهوديّة والمستوطنات حتّى النّكبة.

ج) طفل المحاة

صدرت هذه الرواية عام ٢٠٠٠، وهي الرواية الثالثة من حيث التسلسل التاريخي والرواية الثالثة من حيث الإصدار. جاءت هذه الرواية مقسّمة على خمسة فصول، وسمّى الكاتب هذه الفصول بالدروس مثل درس الزغب...درس التعب، درس الحسب من غير نسب، درس الرسائل والهوى، درس الرتب، درس الغضب، درس العجائب والعجب. وتبدأ أحداث هذه الرواية في مطلع القرن العشرين، وتستمر حتى وقوع النكبة. يصوّر فيها الكاتب حياة طفل عربي اسمه فؤاد، ويصبح فيما بعد جنديا في جيش الإنقاذ عام النكبة. ويدور معظم أحداث الرواية في أجواء من السخرية السوداء في ظلال الحرب العالمية الثانية.

د) طيور الحذر

صدرت هذه الرواية عام ١٩٩٦، وهي الرواية الرابعة من حيث التسلسل التاريخي والرواية الثانية من حيث الإصدار. تتشكل من أربعة وعشرين فصلا، يقع ما بين شهادتين من شهادة الميلاد وشهادة الموت. تدور أحداث هذه الرواية في مخيّمات الفلسطينيين بعد النكبة حتى النكسة في فترة ما بين ١٩٥٠و١٩٦٧ بكل ما فيها من حزن ومأساة، وأحلام وأفراح. يقوم الكاتب بسرد أحداث الرواية خلال شخصية طفل وَلد وعاش في المخيّم، لم يذكر اسم بطل الرواية بما أن حياة هذا الطفل تشبه بحياة كل أطفال اللاجئين الفلسطينيين. ويبدأ حديثه عن هذا الطفل منذ أن كان في رحم أمه، وبمرور الأيام يكبر ذلك الطفل، ويعلم الطيور التي تكون رمزا للحرية، وكيفية التخلص، والهروب من الصيادين، مشيرا بذلك عدم الاستسلام للظلم مهما كانت سطوته.

هـ) زيتون الشوارع

صدرت هذه الرواية عام ٢٠٠٢، وهي الرواية الخامسة من حيث التسلسل التاريخي والرواية الرابعة من حيث الإصدار. هي تصوير أحداث خمسين سنة من تقلبات الحال التي تعرّض لها الشعب الفلسطيني في مخيّمات اللاجئين في الأردن، منذ ما قبل عام النكبة حتى أواسط التسعينيات من القرن الماضي. وأبطال هذه القصة هي ثلاث شخصيات نسائية. تتناول هذه الرواية مجموعة من القضايا الإنسانية، ولكن مضمونها الرئيسي هو قمع هوية الأنثوية، وطمس معالمها، وتعرضها للاغتصاب من الأقارب. حاول الروائي أن يصوّر تصويرا عاما حول وضع الفلسطينيين خارج بلادهم، وقد شبّههم بالزيتون الذي يقتلع من أرضهم.

و) أعراس آمنة

صدرت هذه الرواية عام ٢٠٠٤، وهي الرواية السادسة من حيث التسلسل التاريخي والرواية الخامسة من حيث الإصدار. هي رواية ساحرة ومؤلمة جدّا كما هو الحال في الروايات التي تتناول القضية الفلسطينية. وفيها تصوير حياة الفلسطينيين في زمن الاحتلال من الموت، والشهادة، والجنازة، والعرس، ودموع، وفراق على الرغم من أن الكلمة "أعراس" في العنوان تشير إلى الفرح والبهجة. تلعب الشخصيات النسوية مثل "رندة" و"آمنة" و"لميس" و"الجدة" دورا بارزا في هذه الرواية. تبدو آمنة جلية رمزا لتلك المأساة حيث تفقد زوجها جمال، وتبلغ المأساة إلى أقصى غايتها عندما يأتي ابنها صالح إلى المستشفى شهيدا.

ز) تحت شمس الضحى

صدرت هذه الرواية عام ٢٠٠٤، وهي الرواية السابعة من حيث التسلسل التاريخي والرواية السادسة من حيث الإصدار. تدور أحداثها في الضفة الغربية، وفي مدينة رام الله بعد اتفاقية أسلو سنة ١٩٩٦ حتى الانتفاضة الثانية أو الأقصى سنة ٢٠٠٠. تصوّر الرواية الواقع الفلسطيني كما هو الحال من خلال شخصية "ياسين الأسمر" الذي قاوم الاحتلال، وسُجن ونفي وهو في الخامسة والعشرين من عمره خارج أرض الوطن ليعود وهو في الخمسين من عمره. ثم يتعرف على الطفل "نمر" ابن السادسة أثناء تجولاته الصباحية في المخيّم. يعتني ياسينُ بنمرَ وعائلته ويزورهم بعد التحاق الأب بالمقاومة. يعبّر الطفل نمر عن تخوفه من ضياع مستقبله في المرتين اللتين احترق فيهما كتاباه بسبب القنابل التي كان الاحتلال الإسرائيلي يلقيها على رام الله. واستشهد نمر وبقي نصف جسده معلقا بين يدي ياسين والنصف الآخر احترق جراء قنبلة إسرائيلية مباغتة. هنا يظهر مدى جريمة الاحتلال في تدمير البشر والارض.

ح) مجرد ٢ فقط

صدرت هذه الرواية عام ١٩٩٢، وهي الرواية الثامنة من حيث التسلسل التاريخي والرواية الأولى من حيث الإصدار، وضمّها نصر الله إلى الملهاة الفلسطينية مؤخرا. ترجمت هذه الرواية إلى الإنجليزية والألمانية والإيطالية بعنوان "داخل الليل".

تدور أحداثها بين اثنين في آخر الليل، ينقلان شهادتهما على العصر عن حياة اللاجئ في المخيّم ومذبحة تل الزعتر، وفيها تصوير حياة الإنسان الفلسطيني وما آل إليه حاله من انهيار وتفكك سياسي وفكري وقيمي عربي، فإنّ "الرواية ليست سوى محاولة لمحاكاة ذلك الانهيار في النظام السياسي والفكري

العربي وذلك التفكك في النظام القيمي العربي أيضا"[١]. والمضمون الرئيسي لهذه الرواية هو أنّ الفلسطيني منذور للموت طفلا وشابا وكهلا.

ط) أرواح كليمنجارو

صدرت هذه الرواية عام ٢٠١٥، وهي الرواية التاسعة من حيث التسلسل التاريخي والإصدار. يحكي الروائي إصرار أطفال فلسطينيين على تسلق جبل كليمنجارو والوصول إلى أعلى قمته، على الرغم من أنّ بعض أطرافهم مبتور جراء قسوة الاحتلال الإسرائيلي، كي يثبتوا للعالم بأنهم قادرون على مواجهة التحدي. يصطحب معهم نصر الله مع مجموعة من الأفراد من لبنان ومصر وأمريكا للصعود على الجبل. يعدّ جبل كليمنجارو أعلى قمة في قارة إفريقيا، والرابعة في العالم، يقع في تنزانيا، أول بلد أفريقي يتحرر من الاستعمار.

ي) طفولتي حتى الآن

صدرت هذه الرواية الأخيرة من الملهاة الفلسطينية عام ٢٠٢٢. تصوّر الرواية المعاناة الأولى التي يواجهها أطفال المخيّمات ومدى تأقلمهم مع واقع الحياة، كما يسرد الروائي عن حياته كجزء من سيرة شعب على مدى ٦٠ عاما. فيها قصة حبّ فلسطيني يدور بين رجل وامرأة، وبين الصديقين، وبين الوطن الأم والمخيّم غير مهتمّ بالحروب والقهر والفقر، على الرغم من الواقع المرير.

[١]. غسان إسماعيل عبد الخالق، "ما بعد الحداثة في رواية مجرد٢ فقط"، *جريدة القدس العربي*، ٢٢ يناير ٢٠٠٢.

ثانيا- الشرفات

إنّ الروائي إبراهيم نصر الله كتب مشروعا موازيا للمهاة الفلسطينية باسم "الشرفات". وقد اختار الباحث أربع روايات أولى من مشروع الشرفات للبحث ويحللّها تحليلا كافيا في الباب التالي. أما الروايات من مجموعة الشرفات التي لا تجيء في حدود هذا البحث فهي كالآتي:

أ) شرفة الفردوس

صدرت رواية شرفة الفردوس عام ٢٠١٤، والتي تعدّ الخامسة ضمن مشروع الشرفات. تقع في فصلين رئيسين تحت عنواني "المراودة" و"اللعنة"، وفي كل منهما مشاهد صغيرة متفرعة.

تدور أحداث الرواية حول "الفتاة الجميلة والعزباء 'حياة'، وهي تستأجر الشقّة العليا في بناية الفردوس. ولدهشتها البالغة، فإنّ كل العقبات التي كان يمكن أن تحول دون استئجارها هذه الشقّة الفارهة تُذلّل تلقائيا. وعلى الرغم من كل ما بدا من علامات التطيّر على محيّا صديقتها الدميمة 'دُنيا' التي تشاطرها العمل في مكتب لبيع تذاكر السّفر جوّا، فإنّها تصرّ على الوقوع في حبّ أنس أحد زبائن المكتب، ثمّ تتجه نيتهما للارتباط والزواج، ويصطحب ذات يوم لمشاهدة شقتها المثالية، فتتصاعد شعورهما بالسعادة ويحتضنان بعضهما البعض ويتبادلان القبل، ليبدأ العدّ التصاعدي لتعاسة 'حياة' وكل من يحاول الاقتراب منها أو من تحاول هي الاقتراب منه، إذ لا يلبث أن يحضر بوّاب العمارة إدريس فيطردهما من الشقّة بناء على تعليمات مالكها قاسم!، ومع أنّ حياة قبلت بالهبوط إلى شقة بائسة كما أن خطيبها أنس ظل معنيا بها أكثر من اعتنائه برفاهية الشقة، إلا أن سلسلة من الرسائل المقتضبة وفحواها (لن تكوني لأحد غيري) تتدفّق باتجاهها. وعلى الرغم من نصائح صديقتها وزميلتها الوحيدة 'دنيا' بضرورة الانصياع لمطلوب الرسائل والابتعاد عن أنس فإنها تصر على الاندفاع أكثر فأكثر حتى تفقد حبيبها في حادث سير وهو في طريق العودة من بلد مجاور، وحتى تنتقل ملامحها

الجميلة البهيّة لصديقتها فيما تنتقل ملامح صديقتها لها. وعبثا تحاول مطاردة شبح قاسم لتكتشف دائما أنه هو من يطاردها ويحاصرها ويتحكم بكل ما يمكن أن تفكر به أو تفعله. وإمعانا منه في إذلالها فإنه يتخذ من دُنيا عشيقة وجاسوسة وموصلة لرسائله إليها في آن واحد. وبعد أن تبلغ أقصى حالات الشقاء والحزن والهذيان، تتعرّف بالدكتور الذي يحبّها على الرغم من قبحها وتحبّه على الرغم من مخاوفها وكوابيسها وتحذيرات دُنيا القديمة الجديدة، لتكتشف أن قاسم ليس أقل تأزما وتورّطا وحزنا وغضبا منها؛ فهو ليس أسير وحدته الشاسعة فقط، بل هو أسير حبّه لها بعد أن أصبح طرفا في لعبة ابتكرها ثم غدا مشاركا فيها، ولن يقبل بأقل من امتلاكها، فتزداد تمسكا بالدكتور ويزداد الدكتور تشجيعا لها على المضي في طريق التمرّد والاكتشاف معا، وخاصة بعد أن راحت تقرأ مؤلّفات قاسم التي اشتراها لها الدكتور وأهداها إياها، لتنتهي الرواية بانتصارها على كوابيسها واستعادتها لملامحها الجميلة البهيّة، فيما تستعيد 'دنيا' احتقارها لنفسها وملامحها المنفّرة"[١].

ب) حرب الكلب الثانية

تنتمي رواية حرب الكلب الثانية الصادرة عام ٢٠١٦، والحاصلة على الجائزة العالمية للرواية العربية (البوكر)عام ٢٠١٨ إلى مشروع الشرفات.

تصوّر هذه الرواية "قصة حياة البطل راشد في إحدى مدن الوطن العربي بطريقة فانتازية في زمن ما بعد القرن الحادي والعشرين بحقبة طويلة؛ راشد صاحب الذهن المنفتح والذكي تحوّل من معارض يبحث عن حقوق الشعب المنتهكة إلى شخص لا يأخذ من الإنسانية سوى الاسم. بينما كان راشد في

[١] . غسان إسماعيل عبد الخالق، "قراءة نقديّة في ضوء المنهج الأسطوري"، *الدستور*، ١٢مايو ٢٠٢٣، تاريخ الاطلاع ٢٤ نوفمبر ٢٠٢٣، https://www.addustour.com/articles/1345866.

إحدى الليالي يشاهد فيلما وثائقيا محظورا حول الماضي، بغية معرفة أسباب حرب الكلب الأولى، والتي أدت بالعالم إلى الهلاك والدمار، أصبح في يوم ما المتسبب الرئيسي في حرب الكلب الثانية.

وإذا كانت هذه الأخيرة جرت بسبب اضطرار رجل لبيع كلبه المحبب له إلى رجل آخر، دفع له نصف ثمنه على أن يسدد الباقي بعد مدة من الزمن، لكن المشتري خلف بوعده، فذهب البائع لبيت المشتري لتكون المفاجأة أنّ كلبه لم يعد يتعرف عليه، بل هاجمه بشراسة، ما أدى إلى وفاته وقيام حرب بين العائلتين، بلغ صيتها كل العالم.

فحرب الكلب الثانية قامت بسبب نقطة ضعف راشد اتجاه الجمال؛ فقد تزوج أخت الضابط الذي كان أسيرا عنده، ورغم جمالها الفتان وقامتها الممشوقة إلا أنه وقع في حب سكرتيرته، وحتى لا تكتشف خيانته، وفي نفس الوقت أراد إرضاء نفسه، فقرر أن يستنسخ وجه زوجته على وجهها، ومن هنا بدأت فكرة الشبه والاستنساخ تكثر لتظهر أشباه أخرى دون معرفة السبب الرئيسي، هل هو اللمس أم الرؤية؟، وهنا ظهر شبيه راشد الراصد الجوي؛ وهو الجار الذي استغل هذه الميزة من أجل معاشرة زوجته والاحتكاك بأولاده لتصل الأمور إلى قيام حرب الأشباه، سميت حرب الكلب الثانية.

وفي نهاية الرواية تمت الإشارة إلى أنباء قيام حرب كلب ثالثة حين ظهر الراصد الجوي مرة أخرى يحمل قردين أحدهما ذكر والآخر أنثى، ما تسبب في هلع وخوف الناس لسبب مجهول.

حاول إبراهيم نصر الله من خلال هذه الرواية، التطرق إلى الكثير من المواضيع والمزج بينها بطريقة رهيبة مثل: الحرب، الحب، الجشع، الماضي، المستقبل، اللاإنسانية... ولعل أهم ما يلفت القارئ من خلال هذه الرواية هو نزعة التوحش، التي تسود الإنسان وكيف لهذا الوحش الداخلي أن يستيقظ من سباته في لحظة غضب قد تكون قاتلة"[1].

[1] . رفيدة ناصري ونجاة بركاني، *آليات التجريب في رواية حرب الكلب الثانية لإبراهيم نصر الله؛ دراسة سيميائية*، رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي، ٢٠٢٠.

ج) مأساة كاتب القصة القصيرة

صدرت رواية "مأساة كاتب القصة القصيرة" عام ٢٠٢٠، تدور أحداث الرواية في شتاء عام ٢٠٢٠، بينما انتشر وباء كورونا على العالم، وفرض الحجر الصحي في شتى البلدان. يستعرض الروائي أثر ذلك الوباء على الحيوانات والنباتات وسائر الكائنات. تبدأ أحداث الرواية مع فريد، كاتب القصة القصيرة الذي يعمل في التسويق العقاري، الذي نشر قصة قصيرة بعنوان "المُرّبع" ولم يتوقع أن يلتفت إليها أحد مع مزيد من المنشورات التي تمتلئ الفضاء الإلكتروني، لكنه يستقبل رسالة إلكترونية من إحدى المعجبات حول قصته بدراسة نقدية مطوّلة، وتناولت فيها جوانب مهمة لم يلتفت كاتبها إليها، ومن هنا تبدأ علاقته "الافتراضية" بها، التي يحول الحجر الصحي دون لقاء حقيقي معها.

ثالثا- ثلاثية الأجراس

يضمّ هذا العمل الذي جاء امتدادا للملهاة الفلسطينية ثلاثة أعمال روائية، وهي "ظلال المفاتيح"، و"سيرة عين"، و"دبابة تحت شجرة عيد الميلاد". يمكن للقارئ اعتبارها عملا واحدا متصلا ببعضه أو قراءة كلّ عمل على أنه منفصل قائم بذاته. صدرت هذه الرواية عام ٢٠١٩، وفيها يصوّر نصر الله أوجاع وآلام الفلسطينيين خلال القرن العشرين، أنّ هذه ليست ثلاثية الأجراس؛ بل ثلاثية الأحزان.

رابعا- الروايات المستقلة

وللكاتب روايات أخرى لا تنتمي إلى مشروع الشرفات والملهاة الفلسطينية وهي أربع روايات، منها:

أ) براري الحمّى

هي أوّل رواية كتبها إبراهيم نصر الله وقام بنشرها سنة ١٩٨٥. إنها قصة معلّم يسافر إلى منطقة صحراوية ليعمل في مدرسة ابتدائية، ويعاني هناك معاناة عديدة، ويصاب المعلّم بالحمى، وفي نهاية المطاف يقرّر المعلّم الهروب منه. يقول إبراهيم نصر الله عن كتابة هذه الرواية: "بدأت بكتابة الرواية في السنة الثانية لوجودي في القنفذة، وواصلت كتابتها فيما بعد ذلك على فترات متقطعة لمدة أربع سنوات، لكنني فجأة مزقت كل ما كتبته، لأن إحساسي الذي عشته كان أقوى بكثير من كلماتي التي كتبتها"[١]. وترجمت هذه الرواية إلى ثلاث لغات؛ إيطالية وفرنسية وإنجليزية.

ب) الأمواج البرية

أصدر إبراهيم نصر الله روايته الثانية "الأمواج البرية" عام ١٩٨٨، وقد قام بزيارة فلسطين عام ١٩٨٧، وشهد معاناة الشعب الفلسطيني، وتجوّل الأراضي المحتلة وشاهد وسمع كثيرا من الأحداث المؤلمة، فسجّلها في هذه الرواية. والرواية "الأمواج البرية" في الحقيقة نتيجة لهذه الزيارة. ففيها مجموعة من الشخصيات من بينها جنود الاحتلال الإسرائيلي والمواطنون الفلسطينيون. وعبّر الكاتب فيها عن ظلم وقهر واضطهاد من قبل العدوّ الصهيوني ضدّ الشعب الفلسطينيين ومدى تعلق الفلسطيني بأرضه المقدسة على الرغم ما حلّ بها من خراب ودمار إثر الحرب الصهيوني.

ج) عو

نشرت هذه الرواية عام١٩٩٠، هذه الرواية تتحدث عن علاقة المثقف بالسلطة المستبدة. تدور أحداث الرواية بين ثلاث شخصيات مركزية، منها "الجنرال" المسؤول عن المدينة في الرواية، فبطل

[١] . علي الرباعي، "الفلسطيني إبراهيم نصر الله: أحد الحزبين اعتبر روايتي عن السعودية أدبا أسود"، *جريدة دار الحياة*، ٢٥ ديسمبر ٢٠٠٦.

الرواية "أحمد الصافي" كاتب وصحفي يستخدم قلمه لخدمة الوطن والحرية والعدالة فتزعج كتاباته "الجنرال" ويُعذَب ويتعرض لأقسى الاضطهاد، ثم يتحول إلى كلب يهز ذيله أمام الجنرال. ويكون أحمد الصافي رمزا لجميع المثقفين في المجتمع.

د) حارس المدينة الضائعة

أصدر إبراهيم نصر الله هذه الرواية عام ١٩٩٨. تبدأ الرواية بخروج "سعيد" من بيته إلى الصحيفة اليومية التي يعمل فيها مدققا. ويفاجأ بمدينة "عمّان" خالية من سكانها وحيواناتها، لا شيء هناك إلا غيمة واسعة تظلل المدينة. ثم يلعب دوره كحارس بعدما اكتشف أنّ المدينة خالية من كل شيء. يفيد مفهوم الحراسة لا بدّ أن يكون التكامل بين الشعب والحكومة. تصوّر هذه الرواية الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي للمواطن العربي كما تشير إلى الضياع للقيم الإنسانية والكفاح والشجاعة والنبل.

المطلب الأول: العوامل المؤثرة في تجربة نصر الله الروائية

توجد عوامل متعددة في حياة إبراهيم نصر الله أثرت في تجربته الروائية حيث انعكست آثارها في رواياته المختلفة. ومن أهم هذه العوامل ما يأتي:

- المخيّم

جاء المخيّم في الروايات الفلسطينية كمكان قسري أنتجته الاحتلال الصهيوني. لم يكن الروائي نصر الله بعيدا عن تأثير المخيّم بما أنه مضى ثلث عمره في المخيّمات في الأردن. يبدو تأثير ما عاشه في هذه المخيّمات جليّا في رواياته التي كتبها بعد التسعينات، كما يقول به إبراهيم نصر الله نفسه: "بالتأكيد، لو لم أولد في المخيّم ولو لم أكن قد عشت في المخيّم لكنت شخصا آخر، وجودي في المخيّم جعلني

دائما وسط حاضنة كبرى مشكلة من آلاف الحالات الصعبة والمعاناة القاسية، وفي داخل المخيّم تشكلت الذرة التي خرجت منها الشتلة الصغيرة التي اسمها إبراهيم نصر الله، وبدون هذا المخيّم لم يكن إبراهيم نصر الله، ليكون إبراهيم نصر الله ربما لو عشت في مكان آخر ما كانت كتابتي هذه الكتابة التي تقرأها الآن أي أنك لا تستطيع أن تخرج من فترة التأسيس الأولى وتأثيراتها أبدا، إنني أعتبر أن كل ما عليه أنا الآن، أدين به إلى تلك الفترة التي كونتني فعلا"[١].

ومن الواضح، أنّه توجد تأثيرات المخيّم بوضوح في رواياته بعد التسعينات، كما يصوّر عن مخيّمه وعن حياته الشخصية في الملهاة الفلسطينية، خاصة في "زيتون الشوارع" و"طيور الحذر" خلال استخدام حوارات عامية ذات طابع شعبي، ولذلك يعتبر المخيّم مؤثرا رئيسيا في روايات نصر الله.

- الأسفار

إن الأسفار أثّرت بالغا على تجربة نصر الله الروائية، حيث إن وجوده في "القنفذة" من السعودية كمعلّم المدرسة دفعه إلى كتابة الرواية "البراري الحمّى"، بعد أن وجد أن الشعر قاصر للتعبير عن تجربته. يبيّن نصر الله عن تأثير السفر في تجربته الروائية: "كنت أرحل في السنوات الأخيرة بين مدينة ومدينة، وقد كنت دائما مبهورا بما تركه السفر من أثر في تجربتي الكتابية، وأكاد أقول إنه كتب معي ربع أعمالي الأدبية"[٢]. إنه لم يسافر إلى وطنه المحتل إلا وقد كتب عن سفره مباشرا أو غير مباشر كما هو واضح في روايات "البراري الحمى"، و"الأمواج البرية"، و"مجرد ٢ فقط"، كلها من تأثيرات السفر.

[١]. الدكتور حسن سرباز، "إبراهيم نصر الله وتجربته الروائية"، *فصلية النقد والأدب المقارن (بحوث في اللغة العربية وآدابها)*، العدد ٦ (٢٠١٢): ٦٧.

[٢]. إبراهيم نصر الله، *السيرة الطائرة أقل من عدو أكثر من صديق*، ص ٨-١١.

وقد زار إبراهيم نصر الله العراق (١٩٨٠-١٩٨٤) ولبنان عام ١٩٨١ وليبيا (١٩٨٠-٨١) واليمن سنة ١٩٨١ ومصر عام ١٩٨٥ ويونان سنة ١٩٨٢ ولاتحاد السوفياتي سنة ١٩٨٥ وسورية عام ١٩٨٩ كما زار فلسطين والأراضي المحتلة.

- الصحافة

وللصحافة درو بارز في تأثير تجربة نصر الله الروائية. لقد عمل نصر الله صحافيا ثمانية عشر عاما في شتى الصحائف العربية بما فيها صحيفة "الأخبار" وجريدة "الدستور" وصحيفة "صوت الشعب" الأردنية كما عمل في صحيفة "الأسواق" لفترة قصيرة، حيث يقول إبراهيم نصر الله عن تجربته الصحافية: "عملت في الصحافة عام ١٩٧٨ حينما كنا نستخدم الحروف الرصاصية التي تجمع حرفا حرفا بالملقط لتكوين الكلمة بشكل معاكس، إلى أن دخلت الصحافة عالم الكمبيوتر. دخلتها حين كان الرقيب يداوم، بشكل مباشر، في الصحيفة كل يوم، وعملت في كل أقسامها تقريبا، كما عايشت عشرات الشخصيات، ولم يكن بالإمكان إغماض العين عن كل تلك الخبرة، أو ذلك الجانب من الحياة"[١].

ويتجلى تعبيره عن تجربته الصحافية في رواية "حارس المدينة الضائعة" و"عو" و"شرفة رجل الثلج"، هذه الروايات الثلاث، تتناول الطبقات الثلاث في عالم الصحافة، فرواية حارس المدينة الضائعة تتناول شخصية مدقق، وتتناول رواية "عو" شخصية كاتب ومدير تحرير ورئيس تحرير. أما رواية شرفة رجل الثلج فتناولت شخصية مندوب صحفي، ولذلك تعد الصحافة من ملامح التأثير في تجربته الروائية.

[١]. إبراهيم نصر الله، *كتاب الكتابة تلك هي الحياة ذلك هو اللون*، ص ١٩٤.

- الأدباء

تأثر إبراهيم نصر الله في رواياته من شخصيات أدبية مثل نجيب محفوظ وغسان كنفاني ويقول نفسه: "تأثرت بأسلوب حياة كاتبين هما نجيب محفوظ الذي علّمني الإخلاص للكتابة، وعلّمني أنه مهما كبر فإنه واحد من الناس، أما الكاتب الثاني فهو غسان كنفاني الذي علّمني كيف يمكن أن تعيش الحياة بكثافة مبدعة"[١].

يتجلى تأثير الأدباء ما بعد الحداثة في روايته كما يقول الدكتور جهاد عطا نعيسة في كتابه المسمى ب"في مشكلات السرد الروائي قراءة خلافية": إن نصر الله تأثر في حكاية "طيور الحذر" برواية "مائة عام من العزلة" لغربييل غارسيا ماركيز.[٢] وفي روايته "طفل المحاة" تأثّرَ بوضوح في اضطرابات ووهميات "عريف فؤاد" في ساحة الحرب برواية "دون كيشوت" لسرفانتس. وكذلك تبدو ملامح تأثير الأفلام العالمية والشعر والفنون المسرحية في رواياته. إن عوامل تأثير الشعراء الإيطاليين أمثال "أورنيلا موتي" و"كلوديا كاردينالي" و"صوفيا لورين" والأفلام العالمية كالفيلم الفرنسي "المنقذ" جلية في روايتيه "طيور الحذر" و"شرفة الهذيان"، كما يظهر تأثير مسرحية "في انتظار جودو" لصموئيل بيكيت في روايته شرفة الهذيان.

[١]. سامية عيسى، "حوار مع إبراهيم نصر الله حول مشروعه الكبير الملهاة الفلسطينية"، *مجلة كل الأسرة* (٢٠٠٣).

[٢]. الدكتور جهاد عطا نعيسة، *في مشكلات السرد الروائي قراءة خلافية في عدد من النصوص والتجارب الروائية العربية، والعربية السورية المعاصرة* (دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠١)، ص ٩٥.

المبحث الرابع: موهبته في الفنون الأخرى

لقد ألّف إبراهيم نصر الله كثيرا من الكتب القيمة دون الروايات والأشعار، ومن الكتب للأطفال "صباح الخير يا أطفال صباح الخير يا ثورة"، صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٣. و "أشياء طيبة نسميها الوطن" (١٩٨٤).

وكتب كثيرا من الكتب في مجال الأدب، ومنها "موسوعة الأدب الفلسطيني" (١٩٩٧)، و"أفق التحولات في الرواية العربية (ثلاثة أجزاء) -دراسات وشهادات لثلاثين روائيا وناقدا عربيا" (٢٠٠٣)، و"أفق التحولات في الشعر العربي"(٢٠٠٠)، و "أفق التحولات في القصة القصيرة" (٢٠٠٠)، و"الفن والفنان -مختارات من كتابات جبرا إبراهيم جبرا حول الفنون التشكيلية" (٢٠٠٠)، و"ديوان الشاعر الفلسطيني أحمد حلمي عبد الباقي"، و"هزائم المنتصرين. السينما بين حرية الإبداع ومنطق السوق" (٢٠٠٠)، و"صور الوجود السينما تتأمل"(٢٠٠٨).

ومن كتب سيره الذاتية "السيرة الطائرة أقل من عدو أكثر من صديق"(٢٠٠٦)، و"كتاب الكتابة- تلك هي الحياة، ذاك هو اللون" (٢٠٠٨)، و"ليل المحو.. نهار الذاكرة"(٢٠٠٠).

وقد برع نصر الله في موهبة الرسم كما كان مبدعا في الكتابة. إنه شارك عديدا من المعارض، منها: "كتاب يرسمون – شارك فيه نصر الله مع فاروق وادي وجمال ناجي- الذي عقد في عمّان عام ١٩٩٣. شارك في معرضين فوتوغرافيين عقدت دارة الفنون في عمّان، وهو "مشاهد من سير عين" عام ١٩٩٥و"صور وكلمات" عام ٢٠٠٤. وفي سنة ٢٠٠٤ شارك في معرض فوتوغرافي "حياة البحر الميت" في كوريا، كما شارك في معرض "تحت شمسين" عقدته دار الأندى في عمّان عام٢٠١١.

شارك وقدّم الورقات القيّمة، وألقى الخطب في كثير من الندوات الأدبية والمهرجانات الشعرية والفنية التي عقدت في مصر، الإمارات العربية المتحدة، الأردن، العراق، الولايات المتحدة الأمريكية، سورية، ليبيا، إيطاليا، لبنان، فرنسا، المغرب، كوريا، تونس، ألمانيا، اليمن، كولومبيا، السعودية، السويد، قطر، إسبانيا، البحرين، كولومبيا، الدنمارك، سويسرا وبريطانيا.

المبحث الخامس: الجوائز التي حصل عليها

منحه كثير من الهيئات الدولية والوطنية والمنظمات عدة جوائز تقديرا لأعماله الشعرية والروائية. وقد نال الجائزة العالمية للرواية العربية (بوكر) ٢٠١٨ عن روايته حرب الكلب الثانية سنة ٢٠١٨. وحاز جائزة "كتارا" للرواية العربية مرتين، الأولى عن روايته "أرواح كليمنجارو" عام ٢٠١٦، والثانية عن رواية "دبابة تحت شجرة عيد الميلاد" عام ٢٠٢٠. وحصل على "جائزة القدس للثقافة والإبداع" سنة ٢٠١٢. ونال "جائزة رابطة الكتاب الأردنيين" ثلاث مرات (أفضل ديوان) عن ثلاث من مجموعاته الشعرية، كما حصل على جائزة سلطان العويس للشعر العربي سنة ١٩٩٧، وجائزة تيسير سبول للرواية سنة ١٩٩٤، وجائزة عرار للشعر عام ١٩٩١. واختارت صحيفة الغارديان البريطانية روايته الأولى "براري الحُمّى" كواحدة من أهم عشر روايات كتبها العرب أو الأجانب عن العالم العربي.

الباب الثالث

جماليات روايات الشرفات الفنية

الفصل الأوّل: مشروع الشرفات

الفصل الثاني: الرواية *شرفة الهنديان*

الفصل الثالث: الرواية *شرفة رجل الثلج*

الفصل الرابع: الرواية *شرفة العار*

الفصل الخامس: الرواية *شرفة الهاوية*

الباب الثالث

جماليات رو ايات الشرفات الفنية

الفصل الأوّل: مشروع الشرفات

لقد كتب إبراهيم نصر الله مشروعا موازيا للملهاة الفلسطينية باسم "الشرفات" منذ عام ٢٠٠٥، و"استفاد نصر الله من لفظة "الشرفات" في مجموعته الشعرية "شرفات الخريف" التي صدرت سنة ١٩٩٦ "واستعادها في مجموعته الروائية الشرفات"[١]، وقد ضم هذا المشروع سبع روايات.

يقول إبراهيم نصر الله "إنّ مشروع الشرفات هو الوجه الآخر لمشروع الملهاة الفلسطينية، إذ وجدت أنّ مشروع الملهاة سيكون ناقصا إن لم أكتب مشروعا موازيا له هو مشروع الشرفات، لتأمل وقراءة واقع عربي مستبد إنسانيا وسياسيا ولا ينتج سوى ضياع مزيد من الأوطان بمن عليها. هذا هو هاجس الشرفات أن أتأمل ما يحدث للإنسان العربي من سحق يومي سياسيا واجتماعيا؛ حيث يتحول الفرد في الإطار الاجتماعي إلى جلاد لنفسه أيضا"[٢]. وهو يضيف كذلك "قد تبيّن لي أنّ من المستحيل أن نفهم ما حدث لفلسطين وقضيتها بمعزل عن معرفتنا بما حدث وما زال يحدث لهذا الإنسان العربي الملقى بين ماءين وأكثر من صحراء، بل إنّنا لن نستطيع أن نفهم ما سيحدث لفلسطين بعيدا عن فهمنا لما يحدث في العالم العربي الآن؛ ولذا، فإنّ مشروع الشرفات بالنسبة لي هو الوجه الآخر للملهاة

[١]. الدكتور حسن سرباز، "إبراهيم نصر الله وتجربته الروائية"، *فصلية النقد والأدب المقارن (بحوث في اللغة العربية وآدابها)*، العدد ٦ (٢٠١٢): ٦٤.

[٢]. "إبراهيم نصر الله، الرواية تحمي كاتبها من خطر الأنظمة المستبدة"، *جريدة القدس العربي*، ١٤مايو ٢٠١٣.

الفلسطينية، أو بمعنى آخر هو الضفةُ الأخرى للملهاة الفلسطينية، حيث لا يمكن أن يكون نهرُها بضفة واحدة أبدًا"[١].

لفظة شرفات جمع ومفردها شرفة، "والشُّرْفةُ: أَعلى الشيء. والشَّرَفُ: كالشُّرْفةِ، والجمع أَشْرافٌ. والجبل مشرف: عال، والشرف: العلوّ والمكان العالي، ومشارف الأرض، أعاليها، وأشرف الشيء: علا وارتفع، والشرفة ما توضع على أعالي القصور والجمع شرف، ويقال: أشرفت الشيء، علوته وأشرفت عليه: اطلعت عليه من فوق"[٢]، وهي الموضع العالي يشرف على ما حوله ويراقب عبرها ما يجري في الساحة. كأنّ إبراهيم نصر الله أشرف على مواضيع مرتفعة فأبصر الموضوعة جملة وتفصيلا ثمّ سجّلها في رواياته الشرفات، كما حاول الكاتب استحضار القارئ إلى هذه المنصة ليكشّف له حقيقة المشاهد بطريقة فنية، حيث انطلق الروائي من فكرة أنّ "لكل منا شرفته في هذا العالم العربي، ومن ليس له شرفة في منزله فهي بالتأكيد في داخله"[٣].

وقد كتب إبراهيم نصر الله هذه الروايات بغية كشف الواقع الذي تعيشه المجتمعات العربية من كل الجوانب من الاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية، ومن الروايات التي تنتمي إلى مشروع الشرفات "*شرفة الهنديان*" (٢٠٠٥)، و"*شرفة رجل الثلج*"(٢٠٠٩)، و"*شرفة العار*" (٢٠١٠)، و"*شرفة الهاوية*" (٢٠١٣)، و"*شرفة الفردوس*" (٢٠١٥)، و"*حرب الكلب الثانية*" (٢٠١٦)، و"*مأساة كاتب القصة القصيرة*"(٢٠٢٠).

---

١. إبراهيم نصر الله، *كتاب الكتابة تلك هي الحياة ذلك هو اللون*، ص ١٤٤.

٢. ابن منظور، *لسان العرب*، ج ٩ (بيروت: دار صادر، ١٩٦٨)، ص ١٧٠.

٣. بسام موسى قطوس، "مقاربة العتبات النصية في نماذج من المنجز الروائي لإبراهيم نصر الله"، *مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب*، العدد ١ (٢٠١٨): ٨٩.

المبحث الأوّل: استراتيجية العنوان *الشرفات*

لقد اهتمّ الروائيون العرب بعنوان الرواية اهتماما بالغا حيث شهدت الرواية العربية تغيّرات ملحوظة في صناعة العنوان، إذ تنازل العنوان عن دوره التوجيهي للقارئ كما هو الحال في الروايات الكلاسيكية وتعدّى ذلك إلى وضع القارئ في حيّز من التساؤل والشكّ والتشويق، فإنّ العنوان في حد ذاته عمل فني إبداعي، لذلك "إنّ المبدعين المعاصرين شعراء وساردين ورسامين معا، يتجانبون بعناوينهم عن أن تكون أكلة جاهزة للمتلقي فيحتالوا عليه بالدسّ كيما يحملوه على التفكير والتساؤل وهو يتناول العمل المطروح بين يديه"[١]. فالعنوان في الروايات المعاصرة يدلّ على خبرة الروائيين المعاصرين الذين أدركوا أن توجيه القارئ في أوّل مرة هو تبطيل عملية التفاعل بين المتلقي والنصوص الروائية، لذلك صار عنوان الرواية على صورته الجديدة مكلّفا بإثارة القارئ وتشويقه نحو قراءة النص.

أما عن الروايات التي تنتمي إلى مجموعة الشرفات "فالكاتب عمد إلى تتبع استراتيجيات مختلفة، فكل رواية كانت تختلف عن الأخرى غير أنّ الثابت فيها تمثل في مراوغة القارئ ومفاجئته بعناوين رئيسية غريبة يغلب على ظاهرها طابع السخرية، أما جوهرها يحمل دلالة عميقة يلمح من خلالها الكاتب إلى الانتقال بالقارئ من عالم النص السردي إلى العالم الواقعي، وأنّ هذه العناوين تفتح ألغازا متعددة على القارئ، ألغاز مقصودة يدفع من خلالها الكاتب القارئ إلى المتن. وقد باتت مثل هذه العناوين صفة تتميز بها أعمال إبراهيم نصر الله، فعلى غرار الشرفات توجد روايته الأمواج البرية والحب شرير"[٢].

---

[١] . عبد المالك مرتاض، *السرد والسردانية: عرض لنظريات السردانية العربية المعاصرة وتحليلات لبعض نصوصها* (وهران: دار القدس العربي، ٢٠١٩)، ص ٣١٨.

[٢] . فرحات ناجي، وعبد العالي بشير، "صناعة العنوان الروائي في الرواية العربية الشرفات –عينة"، *مجلة التعليمية*، العدد ٢ (٢٠٢١): ٨٧.

إنّ المستوى الدلالي لعنوان روايات الشرفات "يقوم على النقيض تماما من المعنى اللغوي لمفردة الشرفة، وإضافة الشرفة الدالة على المنزلة العليا والمكانة الرفيعة إلى أوصاف كالهذيان والعار ورجل الثلج تعد من قبيل المناقضة التامة، ذلك أنّ هذه الأوصاف تشير إلى الخذلان والإهانة والرضوخ والاستسلام، ومن ثمّ فإنّ مثل هذه الأوصاف لا ترتبط إلا بالمستوى الدوني، وهو ما تؤكّده إشارات نصر الله الدائمة على أنّ النصّ الروائي الذي يكتبه ويشتغل عليه إنما يثير قضية مأساوية قائمة على الرؤية الفجائية والسخرية والاستهزاء ومحاولة التقليل من شأن الإنسان، وهي نقطة أساسية طرحها نصر الله في رواياته جميعا ومن دون استثناء"[١].

شرفة الهذيان: يدل مدلول كلمة الهذيان في اللغة العربية "إلى كلام غير معقول مثل كلام المعتوه في مرض أو غيره، وإذا هذر بكلام لا يفهم".[٢] أما في علم النفس فتدلّ المصادر على أن الهذيان "هو اضطراب المريض في عملية الإدراك والتفكير والذاكرة وفي إدراك المكان والأشخاص والزمن، وهو اضطراب البناء الفكري السليم وفقا للمنطق السوي"[٣].

فالشرفة تجعل الناظر يشاهد المشهد على اتساعه خلال زاوية بصرية يحققها العلوّ، ويجد من يهذي في الهذيان حريته التي لا يجدها العاقل في النقد والبوح حيث إن من يهذي يمتلك شجاعة. وأن الخائف ليس بحاجة إلى الشرفة يبوح فيها عما يرى من القضايا المختلفة، بل إلى مكان يحجبه عن المنظر.

---

[١] . د. محمد صابر عبيد، ود. سوسن البياتي، *رواية ما بعد الحداثة قراءة في شرفات إبراهيم نصر الله* (الجزائر العاصمة: منشورات ضفاف، ٢٠١٣)، ص ١٧-١٨.

[٢] . ابن منظور، *لسان العرب*، ج ٨، ص ٧٨٠.

[٣] . فرج عبد القادر طه، وآخرون، *معجم علم النفس والتحليل النفسي* (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٨٠)، ص ٤٧٤.

قد "جاء خطاب الهذيان في هذه الرواية خطابا ناقدا، عبر روح سخرية مريرة أحيانا، وقدّم مداخلته الثقافية النقدية ليعكس إدانته لما يجري في الواقع. إنّ خطاب الهذيان هو خطاب المضطهدين في العالم العربي، وأنّ شرفة الهذيان منبر الحرية وخطاب العقل ورسالة المثقف، ارتدى رداءَ الهذيان عبر البوح الناقد"[١]. وبالجملة، أنّ رواية شرفة الهذيان هي زاوية نظر الكاتب إلى الواقع العربي، وأنّ "ما في الرواية من هذيان إنما هو بسبب ما في العصر الجديد من جنون وما فيه من جفاف روح"[٢].

شرفة رجل الثلج: تشير التركيبة اللغوية لشرفة رجل الثلج في تلميحاتها التصويرية إلى تمثال الثلج الذي يقف جامدا وسط ركام الثلج بلا حراك، تدلّ كلمة "الثلج" في معناها البسيط على كل ما هو ناصع البياض، لا يخالطه سواد، كما تشير على شدّة البرودة لفصل الشتاء حيث تصبح الطرق مغلقة تماما بسبب تراكم الثلوج وتخفّ الحركات.

أما عنوان "شرفة رجل الثلج" فيبرز بمحمولاته اللفظية في الرواية، حيث يدل على التحول الفكري في مشاعر الانسان وحساسيته نحو القضايا الفكرية، يقول الراوي: "عند ذلك عاد الدم يجري في جسده، فاندفع نحوها، وقبل أن يصلها لاح له فجأة طيف رويتر واهنا وصغيرا يرتجف وحيدا تحت الثلج، فتجمد في مكانه دقائق، بحيث لو قدّر لامرأته أن تراه، لحسبته رجل الثلج ليس إلا..."[٣]

ويقول الراوي أيضا: "أتذكّر الكثير من الليالي القاسية لهذا السبب، لكن ليلة الصقيع تلك كانت هي الأقسى، تقلبت كما تتقلب قطرة ماء في مقلاة ممتلئة بزيت يغلي، تبعثرت، وكلما لامس جزء مني

---

١. زهير محمود عبيدات، وعدنان محمود عبيدات، "قراءة في رواية شرفة الهذيان لإبراهيم نصر الله"، *مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب*، العدد ١ (٢٠١٠): ٥.

٢. المرجع نفسه، ص ٢١.

٣. إبراهيم نصر الله، *شرفة رجل الثلج* (الجزائر العاصمة: الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠٠٩)، ص ١٢٥.

الزيت ثانية تبعثرت ثانية قطرات أصغر، ولعلّي حين نهضت من السرير، لم أنهض فعلا، لعلّ السرير الذي تحوّل إلى مقلاة، هو الذي قذفني أمام باب الغرفة، فوقفت هناك متصلّبا كرجل ثلج فعلا"[١].

شرفة العار: يجمع الكاتب في هذا العنوان بين متناقضين، فالشرفة في معناها المذكور لا يمتّ بأي صلة للعار، فهما تسيران في اتجاهين مختلفين لبعضهما، أما كلمة العار فهي بمثابة الدونية والضعف والخزي بالإضافة إلى الشعور بالخيبة والعيب ومحاولة الهروب من المجتمع. لقد صوّر الكاتب في هذه الرواية موقع المرأة وصورتها في المجتمع العربي حيث يؤمن بأنّ العار مرتبط كل الارتباط بالمرأة، فاهتمّ الروائي إبراهيم نصر الله "بالجوهر الإنساني المخادع للآخر أمام ضعف المرأة والاستهانة بها، بدافع الحفاظ عليها وعدم المس بها وبالشرف المصان الذي تستحق - من أجله - أن تقتل المرأة بكل بساطة إن فرّطت فيه بغض النظر عمن كان السبب في هذا التفريط، فالبطولة المطلقة هي للنساء اللواتي دفعن حياتهن ثمنا لنزوات الرجل ورغباته الدنيئة ابتداء من تغريد التي قتلت على يد شقيقها الذي اعتدى عليها ولكي لا يفتضح أمره قتلها غسلا للعار الذي كان السبب فيه، وصولا إلى منار التي وقفت عاجزة أمام وجود حلّ لمشكلة تغريد فوجدت نفسها أمام المشكلة نفسها لتموت هي الأخرى الميتة التي ماتتها تغريد على يد شقيقها أيضا وبدافع الغسل للعار وبتحريض من العم"[٢].

فالهدف من وراء هذه الرواية هو تصوير الواقع الذي عايشته المرأة العربية من الألم والمعاناة حتى أصبحت عرضة لجريمة الشرف، وخير دليل على ذلك تزايد عدد جرائم الشرف في المجتمع العربي. إنّ استعمال الروائي لمثل هذه العناوين المحتفظة بالمفارقة تدلّ على رفضه التام للواقع العربي وطمحه إلى واقع أفضل.

---

[١]. إبراهيم نصر الله، *شرفة رجل الثلج*، ص ٢٤٠.

[٢]. د. محمد صابر عبيد، ود. سوسن البياتي، *رواية ما بعد الحداثة قراءة في شرفات إبراهيم نصر الله*، ص ١٦.

شرفة الهاوية: إن كلمة "الهاوية" توحي إلى نقطة سفلى، "والهاوية من الفعل هوى، يهوي. والهاوية اسم من أسماء جهنم، أمّه هاوية، أي مسكنه جهنم ومستقرّه النّار، وهي كل مهواة لا يدرك قعرها، وسميت النار بالهاوية، لأنّه يهوي فيها مع بعد قعرها"[١].

فيستدعي عنوان الرواية "شرفة الهاوية" إلى نقطتين متضادين: الأولى مستوى أعلى والأخرى منطقة سفلى، لا يمكن إدراكها بالبصر. فالتعاكس "في هذه الوضعية جاء بغرض التلميح وتوعية المواطن العربي سياسيا واجتماعية حول ما يجري من انتهاك للأوطان واحتقار للإنسان العربي والإنسانية جمعاء فالخبايا والنوايا الخبيثة في السلطة العربية تعمل تحت غطاء ظاهرة مزيفة فالشكل فيها يخالف المضمون. وبهذا تسير نحو الهاوية، وهو ما حاول الكاتب كشفه على مدى ثلاثمئة وستة وثلاثون صفحة"[٢].

ومن جانب آخر، أنّ الروائي إبراهيم نصر الله قدّم العتبات النصية الأربعة كدعامة أساسية للعنوان الرئيسي، حيث بالغ الروائي في هذا حينما ضمّن عناوين ثانوية أخرى تحت العناوين الفرعية (ذلك الأحمر الذي اختطف قلب أبي- شُرْ، السعادة السرية- فَةُ، الخروج إلى الداخل- الهَا، السلحفاة التي فقدت درعها- وِيَة)، و"تكمل هذه العتبات بعضها البعض لتشكل في الأخير كتلة واحدة بالإضافة إلى أنّ كل عتبة من هذه العتبات تعد جزءا هاما للرواية يمنح القارئ مجموعة من المؤشرات التي يتمكن بواسطتها من فك شفرة العنوان الرئيسي والرواية ككل، فالخطة التي اعتمدها إبراهيم نصر الله ربطت بين وحدات الرواية وحققت الوحدة الموضوعية والعضوية للنص السردي"[٣].

---

[١] . ابن منظور، *لسان العرب*، ج ١٣، ص ٣٧٣.

[٢] . ناجي وبشير، "صناعة العنوان الروائي في الرواية العربية"، ص ٩٠-٩١.

[٣] . المرجع نفسه، ص ٨٨.

مما يؤكد أنّ الروائي استخدم عناوين ذات الدلالات والإيحاءات التي تحمل معنى المتن النصوص ولا يلجأ إلى العناوين المباشرة ذات الأهداف الظاهرة.

الفصل الثاني: الرواية *شرفة الهنديان*

المبحث الأول: تعريف بالرواية

المبحث الثاني: ملخص الرواية

المبحث الثالث: الشخصيات في الرواية

المبحث الرابع: تقنيات السرد في الرواية

الفصل الثاني: الرواية *شرفة الهذيان*

المبحث الأول: تعريف بالرواية

لقد أصدر الروائي إبراهيم نصر الله رواية شرفة الهذيان عام ٢٠٠٥، وهي الرواية الأولى من سلسلة روايات الشرفات. إنّ الكاتب ينظر خلال هذه الرواية إلى الواقع العربي منذ احتلال الكويت مرورا بأحداث ١١ سبتمبر، إلى ما بعد سقوط العراق. وقد صوّر الروائي صورة النظام العربي من خلال صورة "الشرطي"، وصورة المواطن العربي من خلال شخصية "العصفور"، وصورة النظام العالمي من خلال شخصية "الصقر". وتكشف هذه الرواية عن معاناة يواجهها المواطن العربي.

المبحث الثاني: ملخص الرواية

تدور هذه الرواية حول تحوّل بطلها رشيد النمر من شخص متفائل إلى شخص خائف ومعقد يعاني العزلة والإقصاء حتى بين زوجته وأولاده، ومن شخص رومانسي يعشق ممثلات السينما ويحبّ الشعر والمعرفة وصحبة العصافير إلى شخص عملي متجرد عن الأهواء والنزعات، إلى أن صار يتربص بالعصافير في شرفة بيته مسددا سكينة لقتلها واحدا تلو الآخر لسرور السلطة القمعية، ويقصد إليها كمخرج وحيد من وضعه المأزوم في مجتمع يخضع لقرارات السلطة الجائرة.

تبدأ أحداث الرواية برحلة رشيد النمر إلى مركز عمله الجديد في المركز الإعلامي الصحافي، لتسلّم عمله من المدير القديم الذي انتهت خدمته، أثناء رحلته إلى المركز الإعلامي، سمع فرقعة صغيرة في الأعلى متزامنا مع سقوط قطرات دم على حلته الجديدة. ثم تبيّن له أنّ الفرقعة هي صوت اغتيال عصفور تعرّض للصيد فتفرّق دمه. ثم يأتي المدير القديم والذي استلم منه رشيد النمر عمله الجديد، ببعض الممنوعات والمحاذير التي كان أهمّها ألا يأذن لأيّ صحافي بالتسلق أعلى سطح المبنى

لمركز الإعلامي لالتقاط الصور. ولا بدّ عليه أن يأتي له بطاولة إلى وسط ساحة المركز الإعلامي كي يصعد عليها الصحافي لالتقاط الصور التي يريد قائما على الطاولة. وحذّره أيضا ألا يسمح لأي صحافي أن يوجه كاميراته جهة الغرب، فهذا ممنوع، يسمح له أن يلتقط الصور من كل الجهات سوى الغرب. ثم اكتشف رشيد النمر أنه ليس في المركز الإعلامي أيّ شيء يمكن تصويره لا غربا أو شرقا. ولكن، وكان عليه أن ينفّذ التعليمات حرفيا. لما قرّر أن يصلح شقا في أحد جدران المركز الإعلامي، فوجئ في اليوم القادم بأن هذا الشق قد جري إصلاحه ليلا. وكان قد أعدّ المواد والأدوات اللازمة لذلك، وعجب الشرطي وحذّره بألا يفكّر في الإقدام بأي عمل من هذا القبيل من تلقاء نفسه. ثم تستمر الرواية في تجليات أعمال السلطة مع البشر ومعاملة رشيد النمر مع أفراد أسرته وجاره أستاذ الجامعة وبائع العصافير. أصدرت الحكومة أمرا بعدم اقتناء العصفور وبأنّها ستدفع عشرين قرشا لكل عصفور حيّ أو ميت يأتي به أي شخص إلى أي مركز أمن في قريته أو حارته أو مدينته. ويقرّر رشيد النمر شراء عصفور مع قفص كي يستمع إلى غنائه، لكنّ زوجته وأبناءه طلبوا منه أن يشتري لهم كلبا، غير أنّه أصر على رأيه، وقد فوجئ أنّه كلما يشتري عصفورا، كان يأكله صقر.

تستمر فصول الرواية في أحداث مخيفة بالنسبة إلى رشيد النمر الذي أتى الشرطي إليه ذات يوم ببعض الأشلاء وهو يطلب منه أن يدفنها عميقا، ولما سأله رشيد النمر: "وما علاقتي بهذا؟"، ردّ له الشرطي: "أتريد أن تقول إنك تعرف أكثر مني؟ وهل أنت واثق من أن أبناءك أو زوجتك لم يحلموا في غفلة منك؟" قال: بالتأكيد، ولما سأله ذلك الشرطي بسخط لماذا؟ أجاب رشيد النمر: "لأنني قتلتهم"، "وهل دفنتم كما ينبغي؟" تلكأ في الكلام: غير متأكد، فقال له الشرطي: "عد للأسرّتهم وتأكد". منذ هذه اللحظة يتعامل رشيد النمر مع زوجته وأبنائه على أنهم ميتون وعلى أنه هو الذي قتلهم. لكن تستمر أحداث الرواية كما لو كانوا على قيد الحياة. كلما أرادت زوجته أن تدخن سيجارة تطلب منه

أن يغادر الغرفة ويذهب إلى الشرفة وكذلك يطلب منه الأبناء كلما أرادوا أن يشاهدوا توم وجيري في التليفزيون. هو يصرّ على امتلاك عصفور وأفراد أسرته يصرون على امتلاك كلب.

يجادل رشيد النمر دائما مع ولده الكبير الذي يجبره على إحضار الفيلم السينمائي "البرجين المخترقين"، وهو يحاول أن يقنعه أنه ليس فيلما سينمائيا بل مشهد ارتطام الطائرتين ببرجي مركز التجارة العالمي. وهكذا يدخل رشيد النمر في جدل دائم مع زوجته التي تطعنه بلسانها كل الأوقات على تركه وظيفته السابقة في الخليج: "انظر إلى نفسك. تسير جنب الحائط كما لو أنها ستسقط عليك، وتغلق باب الشرفة وشبابيك المنزل كلما أردت أن تتنفس". وتلومه في مكان آخر: "أكان عليك أن تحلم؟ أكان عليك أن تصل إلى ذلك الحد من الرعونة بحيث تفكر في اقتناء العصافير؟ ولكن ما فائدة هذا الكلام الآن؟".

وفي نهاية المطاف، تنتصر العصافير، وتملأ الشرفات، وتغنّي غناء صافيا جميلا لم يصغ أحد إليه من قبل، على الرغم من الحملة العنيفة من الحكومة على العصافير واشتراك رشيد النمر على أنه واحد من قادتها. إن البطل رشيد النمر يستخلص فكرة هامة لمّا هوى بالنصل سريعا كي يقتل العصفور الذي حط على شرفة بيته، لكن العصفور كان أسرع وطار وكانت محاولته باءت بالفشل، وتلك الفكرة هي "أن زمن السكاكين قد ولّي، ما دامت العصافير باتت تتجرأ فتهبط على حواف الشرفات وتغني!".

وفي هذه الرواية إشارة إلى أحداث معاصرة كأحداث ١١سبتمبر وانهيار برجي مركز التجارة العالمي والنظام العالمي الجديد والعصر الجديد.

المبحث الثالث: الشخصيات في الرواية

رشيد النمر: هو البطل والأكثر حضورا في الرواية، جاءت الشخصيات كلها في هذه الرواية بلا أسماء، عدا رشيد النمر، مع ما يحمله هذا الاسم من المفارقة، فالمسمّى ليس رشيدا ولا شجاعا، وهو يمثل ملايين العرب المسكونين بالفزع والإحباط. هو السجين والسجان في وقت واحد. يتحول رشيد النمر من شخص متفائل إلى شخص خائف ومعقد، ومن شخص رومانسي إلى شخص عملي متجرد عن الأهواء. وقد استلم عمله الجديد من الرجل العجوز الذي أنهى خدمته في المركز الإعلامي الصحافي واستمرّ في الوظيفة الجديدة مستفسرا وباحثا عن "الممنوعات" و"جهة الغرب" و"الصعود إلى السطح". وكان أبا معارضا الذي يصرّ على اقتناء العصفور في شرفة بيته بدلا من الكلب. "منذ طفولته كان رشيد النمر يفكّر بوجود عصفور في البيت. عصفور له، وحين لم يستطع، راح ينتظر اللحظة المناسبة ليكون له واحد بعد أن أصبح أبا، وها قد حصل على وظيفة لا تجعل العصفور يغيب عن باله"[١].

الرجل العجوز: هو الذي أنهى خدمته في المركز الإعلامي وخلّف بعده رشيد النمر، حيث يحذّره ببعض التحذيرات المهمّة، وهي أنّه "سيزورك الصحفيون لتصوير المكان، وها أنا أحذّرك، لا تسمح لأي منهم أن يصعد إلى سطح المبنى ليلتقط الصور. اجلب له تلك الطاولة، ضعها في وسط الساحة، ثم دعه يعتليها ويلتقط الصور التي يريد من فوقها"[٢].

"ما نسيت قوله: باستطاعة الذي يجيئك لالتقاط الصور، أن يوجّه الكاميرا إلى الشمال ويصوِّر، إلى الجنوب ويصوّر، إلى الشرق ويصوّر، إلى السماء ويصوّر! أما إلى الغرب فإيّاك ثم إيّاك أن تسمح له

---

[١]. إبراهيم نصر الله، *شرفة الهنديان*، ط٣ (الجزائر العاصمة: الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٠)، ص٣٠-٣١.

[٢]. المرجع نفسه، ص ١٠.

بذلك. فهذا ممنوع.. ممنوع تماما، أعني تماما تماما"[١]. يحاول رشيد النمر أن يستفسر منه عن هذه التحذيرات كلما يلتقي هذا الرجلَ العجوز. ولما سأله رشيد النمر عن سرّ جهة الغرب أغلق الرجل العجوز فم رشيد النمر بكفه غاضبا، ثم قال: "كنت أعتقد أنك صديق!!"[٢].

زوجة رشيد النمر: هي الزوجة المعارضة لزوجها المؤيّدة لأولادها، حيث طلبت من أولادها أن يزجروه عن مشاهدة بعض الأفلام. وكانت تلومه دائما في كل المشكلات تحدث معهم: "وستثبت الأيّام أنّك كنت تخطط منذ البداية لما نحن عليه الآن: موتنا"[٣]، كما تلومه في تركه عمله السابق في الخليج: "انظر إلى نفسك. تسير جنب الحائط كما لو أنها ستسقط عليك، وتغلق باب الشرفة وشبابيك المنزل كلما أردت أن تتنفس"[٤]. وقد صوّر الروائي جسد زوجة رشيد النمر في شخيره ونومه وصحوه تحولات مرّ بها هذا العالم العربي. لمّا وصل العصر الجديد كانت زوجته غارقة في نومها وشخيرها يعلو. وفي موضع آخر، يوقظ رشيد النمر زوجته من نومها بصعوبة، فظهرت غائبة عما يجري من حولها، فلم تستطع أن ترى ما يرتكب في شأن الأمة من خلال إخزاء أجساد الرجال في سجن "أبو غريب".

ابنة رشيد النمر: هي صاحبة الرؤية البصيرة والبنت المساندة والمساعدة لوالدها رشيد النمر، حيث يقول الروائي: "بحث عن ابنته، تلك التي لا تتأخر عن مدّ يد العون له، بصمتها الغريب، كلّما احتاج لذلك، لم تكن بينهم"[٥]. وبكت لما رأت الصقر على كتف والدها. وهي تعبر عن اعتراضها على رأي والدها في اقتناء عصفور بدل كلب، إذ كانت تعبّر حركاتها ونظرتها ومشيتها عن رؤيتها البصيرة بمعرفة

---

١. المرجع نفسه، ص ٢٠.

٢. المرجع نفسه، ص ١٠١.

٣. المرجع نفسه، ص ٣٧.

٤. المرجع نفسه، ص ١٤٦.

٥. المرجع نفسه، ص ١٨.

العواقب، رغم أنّ والدها يظنّ أنها قصيرة النظر. كلّما يأكل الصقر عصفور أبيها "تحدّق في عينيه مباشرة، عاقدة يديها، زامّة شفتيها"[١] و"مخترقة روحه بعينها القوية تلك"[٢].

أستاذ العلوم الاجتماعية: هو جار رشيد النمر والرجل المتدين والشخصية المحترمة المثقفة، يحرص على نظافة المكان. اتّهمه ولد رشيد الأكبر بسرقة الماء ورائحة الكريهة. وقد أوغل هذا الأستاذ الجامعي الذي تمثّل شخصية المثقف في تشرب ثقافة الخوف والهزيمة، وأصبح واحدا من مسوغيها ومنظريها. فأعلن عن "تجارة الأقفاص الجديدة" التي لا تدخلها الشمس.

الشرطي: يتمثل الشرطي في هذه الرواية صورة النظام العربي. كلما يرى بطل الرواية مشكلة أمامه يأتي هذا الشرطي في الوقت المناسب ويحرّضه على عدم إعادة ذلك الخطأ. وقد حذّره مثلما فعل رجل العجوز من الصعود إلى سطح مبنى المركز الإعلامي لالتقاط الصور ومنع المصورَ من تصوير جهة الغرب. وتكرر صياحه طوال الرواية: "من هناك؟" و"أنا أستطيع أن أمنعك" و"إني أحذرك" وأصبح الشرطي سبب خوف الشخصيات حيث يبدو حارسا للديموقراطية والحرية، يقوم في الوقت ذاته، بالقمع والتخويف على معظم الشخصيات.

الابن الأكبر: هو شاب في مقتبل العمر، وقد لزم غرفته منذ سقوطه للمرّة الثانية في امتحانات الثانوية العامة. وقال عنه أستاذ العلوم الاجتماعية إنّه يعاني من مرض ما وأنّه بحاجة لعلاج ما. وكان "يذهب لبيع بعض الأشياء الصغيرة كبائع متجول"[٣] و"أحيانا يبيع جوارب نسائية وحمالات صدور وغيارات داخلية"[٤]. لما وقعت أحداث ١١ سبتمبر، اختفى في غرفته أياما طويلة. وفي النهاية، يترك

---

١. المرجع نفسه، ص ٣٩.

٢. المرجع نفسه، ص ١٨٨.

٣. المرجع نفسه، ص ٧١.

٤. المرجع نفسه، ص ٧٢.

غرفته ولحيته طالت بما فيه الكفاية. حينما "يرى صور المتّهمين بتنفيذ هذه العملية الكبرى معروضة في نشرة الأخبار"[١]، يظنّ أنّ صورته نشرت بين صور المطلوبين والمتّهمين بما أنّ لحيته طويلة كما لو أنه ليس هو، وهكذا اتّهم نفسه بالإرهاب ويذهب بنفسه لتسليم نفسه.

الابن الأصغر: هو الذي يطلب من أبيه أن يشتري كلبا بدل العصفور لأنّ "الكلب ينبح، أما العصفور فلا ينبح"[٢] ومهدّدا إياه بالصقر الذي يتجول في السماء. ويهدّد أباه رشيد النمر ويحمّله مسؤولية كاملة في عدم شراء "همبورغر" الذي يريدها، ويحاول أن يقدم شكاية ضدّ أبيه إلى حاملة الطائرات الأمريكية.

صاحب رشيد النمر: هو صديق بطل الرواية رشيد النمر، لما رأى صاحبةَ رشيد النمر البيضاء وذات عينين خضراوين خطر له أن يقتل رشيد النمر ويتزوج تلك الفتاة، لكن باءت هذه الخطة بالفشل بسبب دخول مجموعة كبيرة من زملاء الدراسة عليه. حينما تزوج رشيد النمر الفتاة الأخرى قويت علاقة هذا الصاحب به أكثر ولم يعرف رشيد النمر أن هذا الصاحب "كان ينتظر عودة الفتاة البيضاء لحبيبها القديم في أي لحظة ليمدّ لها يد العون، حين تكتشف أنّ حبيبها خانها وتزوج؛ فيتزوجها هو؛ لأنها ستجد فيه دائما بعض رائحة تذكرها برشيد"[٣].

[١]. المرجع نفسه، ص ١١٦.

[٢]. المرجع نفسه، ص ٣١.

[٣]. المرجع نفسه، ص ١٦١.

الشخصيات الثانوية:

المصوّرة الصحفية: هي التي أتت أوّلا إلى المركز الإعلامي بعد أن استلم رشيد النمر الوظيفة هناك، وكانت تحمل كاميرا ضخمة معدة بإتقان لالتقاط الصور. طلبت منه بأنوثة وهدوء السماح لها بالتقاط الصور، فقال لها: "ممنوع التصوير في هذا الاتجاه"[١].

المصور الصحفي: جاء هذا المصور الصحفي إلى المركز الإعلامي حاملا الكاميرا الضخمة لالتقاط صور كل الجهات، لكنه لم يستطع تصوير جهة الغرب بعد أن صوّر الجهات الأخرى. وقد أصرّ على تصوير جهة الغرب حتى أتاه الشرطي ومنعه من تلك المحاولة.

بائع العصافير: يتعامل بائع العصافير مع رشيد النمر معاملة خاصة حيث إنه أصبح واحدا من زبائنه، وهو يعرف ما يحدث في الشرفة ولذلك يجبره بائع العصافير على شراء مجموعة من العصافير، حينما يريد أن يشتري عصفورا واحدا، في الوقت الذي فيه "أعلنت الحكومة أنها ستدفع عشرين قرشا مقابل كل عصفور حيّ أو ميّت يحضره أي شخص لأي مركز أمن في حارته أو مدينته أو قريته، دخل بائع العصافير سرا في منافسة مع الحكومة فدفع قرشين أكثر"[٢].

صاحبة رشيد النمر: وهي جميلة بيضاء وذات عينين خضراوين، وقعت هذه الفتاة البيضاء في حب رشيد النمر ووقع في حبها. كانت مهتمة بما يقول لها رشيد النمر. لما رآها صاحب رشيد النمر خطر بباله أن يتزوجها وكذلك "خطر لأكثر من واحدة من الصبايا الزميلات فكرة قتل هذه البيضاء التي سرقت أجمل الشباب!"[٣].

---

١. المرجع نفسه، ص ٨٢.

٢. المرجع نفسه، ص ٤٤.

٣. المرجع نفسه، ص ١٦٠.

أبو العبد: هو الرجل المؤمن يسكن في مدينة كما قال أستاذ العلوم الاجتماع، اتصل به الأستاذ راجيا منه أن يعالج مشكلة الابن الأكبر لرشيد النمر.

المبحث الرابع: تقنيات السرد في الرواية

لقد تمّ تقسيم هذه الرواية إلى عناوين فرعية كثيرة تصل إلى ٣٧ عنوانا، تتخذ كل واحدة منها تراكيب مختلفة لعناوين فصولها، كما وردت بعض منها بعبارات تصنيفية في ثنائيات ضدّية، ويمكن إحصاؤها كما في الآتي:

"الأمر الغريب"- "الأمر الأغرب"، "الأمر المهم"- "الأمر الأهم"، "يوميات١" - "يوميات٢"، "عصفور في الشرفة"- "عصفور على الشرفة"، "ما بعد البداية"- "خط النهاية"، "أغنية الأولى"- "أغنية النهاية"، "ذكريات ١"- "ذكريات ٢".

إنّ "الراوي العليم" يتّضح جليا في هذه الرواية حيث يبدأ الاستهلال الروائي بقول الراوي: "في طريقه لاستلام عمله الجديد، كان متفائلا إلى حدّ لم يخطر له ببال، السماء مضاءة بزرقة تذكّر بمحيط، والأشجار أكثر خضرة مما رآها في أي يوم مضى. لكن الشيء الوحيد الذي لم يكن يتلاءم أبدا مع جلال المشهد كان فرط الصمت"[١].

يصوّر الراوي هنا صورة الواقع الذي يسير عليه بطل الرواية وهو في طريقه لتسلم عمله الجديد مع الإشارة إلى الأجواء الفضائية التي تم فيها الحدث. فهذا الراوي له معرفة كاملة بخلفيات المشهد الروائي كلها من حيث الأجواء الفضائية والشخصيات إلا أنّه لا يشارك في أحداث الرواية.

وفي مواقع أخرى، يؤدي هذا الراوي العليم دوره في التدخل القسري في أحداث الرواية، ومن هذه التداخلات:

---

[١]. المرجع نفسه، ص ٧.

"فردّ الصغير: تريد غناء إذن؟!! (أوكي)! هكذا نطقها بالإنجليزية، فبدت أشبه بتهديد. في حين كان ابنه الكبير ساهما كعادته"[١].

فقوله: "هكذا نطقها بالإنجليزية، فبدت أشبه بتهديد"، تدخل جلي من الراوي يدل على وجوده في الرواية. فقول الصغير قول مختصر وموجز، لا يحتمل أن تأتي الجملة بعده تعليقا من الصغير على كلمة "أوكي" ولا يعتبر تعليقا من الأب أو الأخ الموجودين في الحدث. يوجد أثر هذه التداخلات واضحا طوال الرواية، كما في قوله:

"سنأتي على ذكرها لاحقا!"[٢]

"ونهضوا للطعام شامتين"[٣]

"هو يعرف أكثر من سواه أنّه كان دائما عرضة لنوبات، (هكذا يدعوها)، من الاستغراق في التفكير بأشياء ضبابية لا وجود لها كي لا يفكّر في شيء!"[٤]

"(لم يفعل ذلك منذ زمن طويل). استدارت نحوه (لم يسبق لها أيضا أن فعلت ذلك منذ زمن طويل)".[٥]

"أو هكذا خُيّل إليهم"[٦]

وكذلك يبدو أثر "الراوي محدود العلم" واضحا في هذه الرواية، وهذا النمط من الرواة يعتمد على استخدام ضمير المتكلم، لذا يعدّ التركيز على الأنوية والذاتية من أبرز سمات هذا النمط من الرواة.

---

١. المرجع نفسه، ص ٣٠.

٢. المرجع نفسه، ص ٢٧.

٣. المرجع نفسه، ص ٤٣.

٤. المرجع نفسه، ص ٩٢.

٥. المرجع نفسه، ص ١٦٣.

٦. المرجع نفسه، ص ١٨٨.

بل أحيانا يوجد هؤلاء الرواة يعتمدون على صيغة ضمير المخاطب في المشهد الروائي خاصة إذا كانت الغاية من السرد التقريع والتوبيخ، كما هو الحال في الرواية:

"باستطاعتك أن تغمض عينيك وأن تدير ظهرك؛ باستطاعتك أن تفقد صبرك وأنت تبحث عن الريموت كنترول باحثا عن محطّة أخرى تطفئ بها النار التي أشعلتها فجأة قطرة العرق التي راحت تنحدر من أعلى رقبتك حتى آخر نقطة من عمودك الفقري....

ولكن حين يأتون.. تذكّر: لن تكون أكثر من كتلة العري تلك، فوق كتلة العري التي تحتها فوق كتلة العري التي تحتها، ولعلهم سيتمتمون بخشوع وهم يرون قطرة العرق تلك التي تنساب من عنقك نحو آخر نقطة خفيّة من عمودك الفقريّ إذ يشرعون حماستهم، وهم يتضاحكون.. متطلّعين لعتمة كهفك الصغير"[١].

إن "صيغة الخطاب في هذا المقطع بارزة وواضحة، والراوي يوجه إرساليته الحكائية إلى مروي له ممسرح من خلال ضمير المخاطب/ أنت الذي يعلن عن نفسه تلقائيا في الأسماء والأفعال، فالراوي هنا معني بتوجيه السرد إلى ذاته، بمعنى أننا أمام راو يخاطب ذاته، وبالتالي يقف مواجها المروي له، بمعنى آخر أننا أمام راو ومروي له يمثلان شخصية حكائية واحدة"[٢].

يتجسد "المروي له غير الممسرح" و"المروي له الممسرح" في هذه الرواية. فالمروي له غير الممسرح الذي يظهر في صيغ الخطاب غير مباشرة. ولكن، يحس القارئ بأنّ هناك مخاطبا يتلقى الخطاب بعيدا عن أي تعليق يشير إلى وجوده، كما هو الحال في قول الراوي: "صمت عميق لا يليق بصباح يذهب فيه المرء لاستلام عمل جديد مرتديا أفضل ملابسه؛ صمت يتدحرج حوله كرات بيضاء تتجاوزه وتعود

[١]. المرجع نفسه، ص ٥-٦.

[٢]. د. محمد صابر عبيد، ود. سوسن البياتي، *رواية ما بعد الحداثة قراءة في شرفات إبراهيم نصر الله*، ص ٧٣.

من جديد صاعدة باتجاهه، تتجاوزه، يلتفت إليها، تصعد ارتفاعات لا تراها العين إلى أن تغدو أكثر علوا من جبال المدينة كلها، ثم تتدحرج من جديد، ببطء، كما لو أنّها لا تريد أن تجرح النور"[1].

يتبيّن من هذا النص أنّ الخطاب موجه إلى شخص غير مشارك بالحدث الروائي وأنه يتلقى الخطاب لكنه غير معلن رغم أنه يقع داخل الخطاب السردي.

أما "المروي له الممسرح" فهو الذي يدخل داخل النص الروائي ويشارك في الأحداث. يأتي غالبا هذا النمط من المروي له في صيغة ضمير المخاطب "أنت"، كما في قول الرواي :"نعم، باستطاعتك أن تغمض عينيك وأن تدير ظهرك؛ باستطاعتك أن تفقد صبرك وأنت تبحث عن الريموت كنترول باحثا عن محطة أخرى تطفئ بها النار التي أشعلتها فجأة قطرة العرق التي راحت تنحدر من أعلى رقبتك حتى آخر نقطة من عمودك الفقري. نعم.. باستطاعتك أن تلعن اللغة، تلك اللغة التي لم تسعفك بأكثر من كلمتين هما: الرعب والجحيم".

فالراوي هنا يوجه الخطاب إلى مروي له الممسرح/ مشارك في الحدث، من خلال الألفاظ التي تشير إليه: باستطاعتك/ تفقد/ ظهرك/ صبرك/تطفئ/ وأنت تبحث/ باستطاعتك أن تلعن....

وقد اعتمد الراوي في هذه الرواية على أسلوب السرد المتعدد الوسائط، فالسرد الروائي يحتضن الشعر والسيناريو السينمائي والمشهد المسرحي والصور الفوتوغرافية ولوحات فنية والخبر الصحفي الصادم.

يتخلل السرد الروائي مقاطع الشعرية ذات علاقة في المضمون الكلي للبنية الروائية، كما ينظم الراوي عما يدور في خواطر الشخصية من الهواجس في نسيج نصي شعري:

"من قديم ألقت المدينة قدميها على حافة السّيل

[1]. إبراهيم نصر الله، *شرفة الهذيان*، ص ٧.

والتهمت أشجارها أمام الشمس

كي لا تنهض الخضرة في الليل

وتفاجئهم نائمين بما تبقى فيها من ماء"[١]

يحاول الكاتب خلال تضمين المشهد الشعري لفت انتباه القارئ إلى إجراءات الكتابة السردية وهويتها وبنيتها. وهذه المشاهد الشعرية حاضرة جدا في رواية شرفة الهذيان، ومنها على سبيل المثال المشهاهد الشعرية في هذه الصفحات للرواية: ٩، ١٢، ١٤، ١٠١، ٢٢، ١٣٠.

وتبرز العلاقة بين الرواية والمسرح على جوانب شتى بحسب حاجة السرد إلى المسرح، كما هو الحال في هذا المقطع:

"اعتدل وهو غير مصدق أنه بات على هذه الدرجة من الاحتراف! شد قامته كعسكري يمنح وساما؛ وفي الشرفات المقابلة أبصر عددا لا يحصى من الرجال المشدودي القامات.

وحين تراجع خطوتين نحو عتمة الداخل. تراجعوا أيضا.

أقفل باب الشرفة.

أقفلوا باب الشرفات!

أسدل الستارة

أسدلوا الستائر!

اشرع الستارة وقد تذكر شيئا لا يجوز تركه في الشرفة.

اشرعوا الستائر وقد تذكروا أشياء لا يجوز تركها في الشرفة!

.....

[١]. المرجع نفسه، ص ٢٢.

وفجأة..

هبطت العتمة..

فلم يعد هناك سوى وقع الخطى العمياء التي تتحسس الأدراج صاعدة!"[١].

فيتضح أثر العلاقات المسرحية في المشهد الروائي "سواء على مستوى الظهور الدرامي للشخصية التي بدت وكأنها تستعرض تفاصيلها على خشبة المسرح، أو على صعيد الحراك الدرامي الذي تنهض به الأفعال المتداخلة دراميا مع بعضها (وحين تراجع خطوتين نحو عتمة الداخل. تراجعوا أيضا. /أقفل باب الشرفة. /أقفلوا باب الشرفات! /أسدل الستارة/أسدلوا الستائر!) إذ تتمظهر الطاقة الدرامية في حساسية التناوب الحركي الممسرح للأفعال في المكان، بحيث بدا المكان بقربه من متناول المتلقي وكأنه مكان مسرحي متمظهر على خشبة المسرح. فضلا عن أنّ هذا المقطع السردي الروائي ينتهي نهاية تكاد تكون مسرحية في إغلاق الستارة التي كانت تعرض حركة الشخصيات على المسرح"[٢].

وتشير هذه الرواية إلى تأثير السينما فيها على مستوى المشهد واللقطة والحوار وتقريب الوجوه، وتفيد من تقانات السينما -خاصة المونتاج- إفادة واسعة. كما يتجلى في هذا المقطع الروائي: "هكذا واصلت العربة تقدمها

وهكذا كانت تزداد قامة الرجل الملوح بعلامة النصر ارتفاعا

والكاميرا تتقدم نحوه في لقطة مقربة، أو بتلك الحركة التي يطيب للعاملين في مجال السينما أن يدعوها: (زووم إن) وعلى مهل تروح ملامحه تملأ الشاشة بهدوء.....

تراجعت الكاميرا للوراء أو بتلك الحركة التي يطيب للعاملين في مجال السينما أن يدعوها: (زووم آت)

....

[١]. المرجع نفسه، ص ١٧٣-١٧٦.

[٢]. د. محمد صابر عبيد، ود. سوسن البياتي، *رواية ما بعد الحداثة قراءة في شرفات إبراهيم نصر الله*، ص ١١٠.

تراجعت الكاميرا أكثر، فبدا المشهد لائقا بحلم يدخره المرء لاستقبال قائد عائد من الحرب"[١].

أما الراوي هنا فهو مخرج في الفيلم داخل فضاء السرد وراو في السرد. إنّ المصطلحين (زووم إن/زووم آت) اللذين وردا في هذا المقطع الروائي دلالة واضحة على عالم السينما.

تبرز قدرة الروائي على تضمين أخبار صحفية في مواضيع مختلفة في هذه الرواية. إنّه يقتطع الخبر من الصحف اليومية ويدمجها في النص الروائي، وكأنّ القارئ يقرأ خبرا في الصحيفة اليومية وليس نصا مدمجا بنص الروائي، يقول الراوي:

"- أتصور ذلك. لقد أدركت الحكومة الأمر، فمنذ أيام منع أي شاب أن يقترب من فتاته في الأماكن العامة دون أن تكون بينهما مسافة أمان: (ستون سنتمترا على الأقل)! هل تعتقد أنّ الحكومة تقوم بذلك رأفة بحال الحب ومستقبل العشاق؟!"[٢].

ويقول كذلك: "- لقد قرأ في الجريدة عن رجل صيني درّب طائره على شتم جاره، ما دفع الجار لمقاضاة صاحب الطائر!

- وما نوع ذلك الطائر؟!

- إنّه من فصيلة (المينة)، نوع من الببغاوات ربما؟ وها هو الخبر معي. أنظر"[٣].

ففي هذه الرواية، قد برزت العلاقة وثيقة بين الحدث الروائي والخبر الصحفي المدمج وإلا فوجود الخبر الصحفي المدمج غير مبرر.

اعتمد الكاتب في الرواية على المشهد البصري لهدف السردي إضافة إلى الكلمات. ومن الصور التي حلت في الأرض السردية لهذه الرواية وفعلت فعلها التقاني فيها ما يلي: "توم وجيري"[٤]، و"الرئيس

---

١. إبراهيم نصر الله، *شرفة الهذيان*، ص ٥٨-٥٩.

٢. المرجع نفسه، ص ١١٤.

٣. المرجع نفسه، ص ١٤١.

٤. المرجع نفسه، ص ١٣.

الأمريكي جورج بوش"[١]، و"خارطة لصورة المركز الإعلامي"[٢]، و"صورة عصفور"[٣]، و"لوحة موديلياني (الصغيرة بالثوب الأزرق)"[٤]، و"صورة الصقر"[٥]، و"صورة أشلى جود"[٦]، و"صوة إعلان وزير الصحة"[٧]، و"صورة ناجي العلي"[٨]، و"صورة القفص"[٩]، و"صورة حذاء فورست غامب (الفيلم الأمريكي الشهير)"[١٠]، و"صورة تفجيرات ١١أيلول مركز التجارة العالمي"[١١]، و"صورة الطاووس"[١٢]، و"صورة تعذيب الأسرى العراقيين في أبي غريب"[١٣]، و"صورة أسرى غوانتينامو"[١٤]، و"صور جثث وقتلى"[١٥].

ويتبين مما تقدم، أن الراوي كسر جميع أشكال السرد التقليدية وعمد إلى الفنون التعبيرية بأشكالها المتنوعة حيث يمكن أن يطلق عليه أسلوب السرد المتعدد الوسائط.

أما أمكنة هذه الرواية فجاءت بدون أسماء فلأنّ ذلك يمثل فضاء روائيا أوسع، كما يشمل المنطقة العربية جميعها. لا يقوم الروائي بتقديم أوصاف دقيقة للأمكنة الموجودة في واقعة الرواية إلا للمركز الإعلامي. ومن الأماكن التي تدور فيها أحداث الرواية:

---

١. المرجع نفسه، ص ١٥.
٢. المرجع نفسه، ص ٢٠.
٣. المرجع نفسه، ص ٣١.
٤. المرجع نفسه، ص ٣٩.
٥. المرجع نفسه، ص ٤٢.
٦. المرجع نفسه، ص ٥٦.
٧. المرجع نفسه، ص ٦٧.
٨. المرجع نفسه، ص ٧٥.
٩. المرجع نفسه، ص ٧٦.
١٠. المرجع نفسه، ص ٨٨.
١١. المرجع نفسه، ص ٩٠.
١٢. المرجع نفسه، ص ١٠٢.
١٣. المرجع نفسه، ص ١٣٢.
١٤. المرجع نفسه، ص ١٤٣.
١٥. المرجع نفسه، ص ١٧٨.

البيت: يعتبر البيت المكان الذي يسكن فيه بطل الرواية رشيد النمر وزوجته وابنه الصغير وابنه الكبير والبنت. يعاني العزلة والإقصاء في هذا البيت. وقد جرى الحوار كلّه بين بطل الرواية وأفراد أسرته في هذا البيت فقط. يوجد في هذا البيت المطبخ والحمام والشرفة كما يتبين من الرواية: "العصفور في الحمام وهو على الشرفة"[١] وورد في قول زوجة بطل الرواية: "باستطاعتك أن تذهب إلى المطبخ وتنتظر هناك انتهاء سيجارتي"[٢].

الشرفة: إن الشرفة في هذه الرواية المكان الذي يغني فيه العصفور دائما ويختطفه الصقر منه. تأمره زوجته أن يغادر الغرفة ويذهب إلى الشرفة كلما أرادت زوجته أن تدخن سيجارة وقد "خُيّل إليه أن الشرفة كانت أوسع مما هي الآن، فقالت له زوجته: الشرفة غير مسؤولة عن هذا، بل المسؤول نظرتك إليّ!"[٣].

المركز الإعلامي: يعدّ هذا المكان نقطة مهمة في رواية شرفة الهذيان، وهو موضع عمل جديد لبطل الرواية. وقد ألصق الروائي خريطة هذا المركز الإعلامي في هذه الرواية. تقع حوله دكاكين، عيادة، أربع صيدليات، مخفر شرطة، مدرسة للذكور وأخرى للإناث، سوق خضار، مركز دفاع مدني، موقف سيارات عمومية، خمسة مطاعم متلاصقة، مخبز، ناد رياضي، وشقق فارغة للإيجار. حذّره الرجل العجوز الذي أنهى خدمته في ذلك المركز ببعض الممنوعات والتحذيرات. وأدّى رشيد النمر التعليمات حرفيا كلما يأتي الصحفيون إلى المركز الإعلامي لالتقاط الصور.

الشارع: هذا مكان مفتوح تجري فيه أحداث هذه الرواية، وفي رصيفي الشارع الذي ذُكر في الرواية أشجار الحور وتتخللها بعض أشجار الصنوبر وأشجار النخيل. لما وضع بطل الرواية قدمه على حافة

---

[١]. المرجع نفسه، ص ١٠٤.

[٢]. المرجع نفسه، ص ١٧.

[٣]. المرجع نفسه، ص ٣٦.

الشارع سمع فرقعة مكتومة، وحين استدار نحو جهة الصوت، تلطخ وجهه بقطرات ساخنة كما حدث له من قبلُ، حينما كان في طريقه لاستلام عمله الجديد.

ومن بنية الزمان في هذه الرواية:

الاسترجاع: بدأت تظهر تقنية الاسترجاع في هذه الرواية من العنوان "آه يا أمي" بحيث يسترجع فيه رشيد النمر علاقته بأمه وعلاقته بمحبوبته ذات العيون الخضر وما أحاط بتلك العلاقات. وهذا ما يظهر في هذا المقطع: "كان يومها في طريقه للعمل بعيدا، حين وصلت صاحبته، فجأة، وأربكت المشهد في قاعة المطار الصغيرة. جاءت باكية، بعينين منتفختين، كما لو أنها كانت تبكي منذ ثلاث ليال على الأقل؛ لكنّ خضرتهما ظلت واضحة رغم الاحمرار الذي شابها! أمّه رأت خضرة عيني صاحبته، بياضها، قامتها الطويلة وامتلاءها...."[١].

ويعود الراوي إلى تقنية الاسترجاع في المشاهد المعنونة بذكريات ١ وذكريات ٢ وهواجس دفينة.

الاستباق: يتخلل الاستباق بعض الاسترجاع في الرواية وذلك لحث القارئ على المتابعة وتشويقه، حيث يقول الراوي في هذا الصدد: "المكان الذي التقى فيه ذات يوم صديقته البيضاء ذات العينين الخضراوين... المكان الذي لم يتنازلا عن اللقاء فيه لصالح أي مكان سواه. سنأتي على ذكر السبب لاحقا"[٢].

أما فصل الرواية المعنون بـ "آه يا أمي" ففيه استباق تلخيصي لحكاية المحبوبة تأتي منفصلة في سرد لاحق.

[١]. المرجع نفسه، ص ٨٤.

[٢]. المرجع نفسه، ص ١٣٣.

المشهد: وللمشهد مكان متميز ضمن الحركة الزمنية للرواية. يعتمد بعض أجزاء هذه الرواية على مشهد حواري مستقل بما أن له عنوانه الخاص. ففي "عصفور في الشرفة"[١]، و"الخطة"[٢]، و"تجوال"[٣]، و"حفلة صيد"[٤] وكذلك في "الزائر الأول"[٥]، و"فيلم طويل"[٦]، و"الفيلم ثانية"[٧]، و"ومقابلة مع الرجل العجوز"[٨]، و"النصيحة"[٩]، و"يوميات"[١٠]، و"سين مخففة"[١١]، و"باب الفضول"[١٢] ، و"ذكريات ١"[١٣]، و"ذكريات ٢"[١٤]، و"لقاء في الممر"[١٥]، و"السطح"[١٦]، و"خط النهاية"[١٧] مشاهد حوارية التي تعبّر عن فكر الشخصية وتحدد علاقتها بغيرها من الشخصيات.

الوقفة: إن الوقفات الوصفية تبطئ زمن السرد، والوصف امتداد وتواصل بالنسبة للخطاب ووقوف بالنسبة للسرد. ومن وظائف الوصف تقديم الأشياء والشخصيات والمدار المكاني والزماني، حيث وردت هذه الوقفة الوصفية في استهلال هذه الرواية: "في طريقه لاستلام عمله الجديد، كان متفائلا

---

١. المرجع نفسه، ص ٤٥-٤٨.

٢. المرجع نفسه، ص ٥١-٥٣.

٣. المرجع نفسه، ص ٦٤-٧٣.

٤. المرجع نفسه، ص ٧٤-٧٩.

٥. المرجع نفسه، ص ٨١-٨٢.

٦. المرجع نفسه، ص ٨٧.

٧. المرجع نفسه، ص ٩٦-٩٨.

٨. المرجع نفسه، ص ٩٩-١٠١.

٩. المرجع نفسه، ص ١١٣-١٢٣.

١٠. المرجع نفسه، ص ١٢٤- ١٢٩.

١١. المرجع نفسه، ص ١٤٠- ١٤٤.

١٢. المرجع نفسه، ص ١٤٥- ١٤٦.

١٣. المرجع نفسه، ص ١٤٩- ١٥٣.

١٤. المرجع نفسه، ص ١٥٦.

١٥. المرجع نفسه، ص ١٧٠-١٧١.

١٦. المرجع نفسه، ص ١٨٠-١٨٣.

١٧. المرجع نفسه، ص ١٩١، ١٩٥-١٩٨.

إلى حد لم يخطر له ببال، السماء مضاءة بزرقة تذكّر بمحيط، والأشجار أكثر خضرة مما رآها في أي يوم مضى، لكن الشيء الوحيد الذي لم يكن يتلاءم أبدا مع جلال المشهد كان فرط الصمت"[1].

وبالجملة، لقد استخدم الكاتب إبراهيم نصر الله في روايته شرفة الهذيان تقنية الاسترجاع والاستباق والوقفة والمشهد، وتبدأ تقنية الاسترجاع من العنوان "يا أمي"، ويتخلل الاستباق بعض الاسترجاع لحث القارئ على المتابعة. أما تقنية المشهد فقد وردت في الرواية كثيرا، فصار هذا النوع الأدبي إلى المسرحية أقرب منه إلى الرواية.

[1]. المرجع نفسه، ص ٧.

الفصل الثالث: الرواية *شرفة رجل الثلج*

المبحث الأول: تعريف بالرواية

المبحث الثاني: ملخص الرواية

المبحث الثالث: الشخصيات في الرواية

المبحث الرابع: تقنيات السرد في الرواية

الفصل الثالث: الرواية *شرفة رجل الثلج*

المبحث الأول: تعريف بالرواية

إنّ الروائي إبراهيم نصر الله أصدر رواية شرفة رجل الثلج عام ٢٠٠٩، وهي الرواية الثانية من سلسلة روايات الشرفات. يستعرض الروائي في هذه الرواية معاناة الانسان العربي المعاصر وما يكتنفه من آلام وهموم يومية وهو في خضمها كائن عاجز لا يدري كيف يدبّر أموره. وهذا الإنسان العربي المقهور يواجه الويلات من حكومته، فتكون الحكومة عليه وبالا بدل أن تكون مساندا على المواطن العادي. تتبع الحكومة السياسة المخابراتية التي ترصد كل حركة يخطوها المواطن، وتفتح له الملفات الضخمة منذ قبل الولادة، حتى صار الخوف من الحكومة كابوسا يخطف الاطمئنان والأمان.

المبحث الثاني: ملخص الرواية

تحكي هذه الرواية جوانب مختلفة من سيرة بطلها بهجت حبيب العامل في مجال الصحافة. درس علوم المحاسبة في الدورة المكثفة التي استمرت ستة أشهر، لأنّه اعتقد في تلك الأيام أنّ أفضل وسيلة للحصول على وظيفة، هي تعلّم مبادئ علوم المحاسبة بما أنّ عدد الشركات يزيد يوميا. طاف بالبنوك والشركات أياما كثيرة للحصول على وظيفة. أخيرا، وصل إلى وكالة إعلانات وكان ذلك بداية الطريق الذي أوصله إلى الصحيفة. والحقيقة أنّه لم يكن يعرف عدد الصحف اليومية التي تصدر في البلد. فقد أمضى أسبوعا كاملا قبل أن يدخل إلى عالم الصحافة في قراءة الصحف المحلية كلها وأدرك الكيفية التي تدبج فيها الأخبار وتصاغ العناوين. وقد أصبح السيد عبد اللطيف محرّرا في الصحيفة فجأة حيث رفعه السيد عارف غنّام رئيس التحرير من عامل في مقهى الجريدة إلى محرّر دفعة واحدة.

وكانت نباهة عبد اللطيف تظهر في معرفة الفرق الدقيق بين التاء المفتوحة والتاء المربوطة بينما التاء المربوطة نقطة ضعف بهجت.

لم يعد "بهجت" راضيا بالأخبار التي يحملها للجريدة، وكانت تلك الأخبار تستخدم لملء بعض الفراغات في أسفل الصفحات وغالبا ما كان المحرر يحذف عدة أسطر من أسطرها القليلة. كان بهجت يحلم دائما بخبر حقيقي يستحق أن ينشر في الصفحة الأولى كي يثبت أنه كان يعمل في جريدة محترمة.

إنّ مجلس نقابة الصحفيين أخبر بهجت بأنّ دوره قد حان ليسافر إلى الصين مع الزميلين الآخرين في الوفد. وسلّم بهجت جواز سفره في غاية الفرح إلى مدير النقابة لأغراض الحصول على التأشيرة. وطلبت منه امرأته مجموعة من الثياب الحريرية الخارجية والداخلية من صنع الصين.

لما رنّ جرس الهاتف ذات يوم، كان بهجت يتوقع أن يكون مدير النقابة في الطرف الآخر حيث يطلب منه أن يستلم جواز سفره ممهورا بتأشيرة جمهورية الصين، إلا أنّ الصوت كان مختلفا تماما "عليك أن تأتي غدا للمراجعة في مبنى المخابرات"، انهار حلم بهجت للسفر إلى الصين دفعة واحدة. وبعد المراجعات في مبنى المخابرات، حدّق المحقق في وجه بهجت طويلا ثم قال له بحزم: "لن تستطيع مغادرة البلد أبدا"، حينما سمع ذلك، استدار بهجت كما لو أن إعصارا ضربه. وقد مشى في الرصيف حائرا بعد خروجه من مبنى المخابرات. لقد قامت الحكومة نفسها بإغلاق الطريق إلى الصين، ولذا كان بهجت يؤكد على أن أي قوة في الدنيا لن تستطيع فتحه من جديد.

"كبرت يا بهجت، شخت، وقد تموت دون أن تتمكن، حتى، من الوصول إلى الصفحة الأولى" همس لنفسه، ووقف أمام باب الصحيفة مفكرا في السنوات التي أمضاها في عالم الصحافة والتغيرات التي

طرأت عليه، فقد بدأ حياته الصحفية مندوبا وسيعيش ما تبقى له مندوبا وسيموت مندوبا إذا لم يطلع نجم سعده، بينما زملاؤه الذين عملوا معه في الفترة نفسها وما بعدها وصلوا إلى الدرجة العليا، كما أصبح السيد عبد اللطيف رئيس التحرير للصحيفة.

فقد تعامل المحرر الذي احتل مكان السيد عبد اللطيف مع بهجت كجزء من الموجودات التاريخية في الجريدة. لم يهتم أحد بما إذا كان في الصحيفة إنتاج حقيقي أم لا. كانت تلك الجريدة في أحسن حالاتها مع طفرة الإعلانات، حيث أصبحت الإعلانات صناعة ثقيلة.

الشيء الوحيد الذي كان يزعج بهجت دائما، أنّه لم يستطع أن ينقش اسمه على الصفحة الأولى للجريدة بعد كل هذه السنوات.

ذات يوم، في الساعة الثانية وتسع دقائق من بعد الظهر، رنّ جرس الهاتف فوق طاولة بهجت، جاءه صوت مدير العلاقات العامة في مديرية الأمن: "هناك مفاجأة معدة لك، لك وحدك. المهم ألا تتأخر"، ووصل إلى مديرية الأمن سرعة وناوله مدير العلاقات العامة ورقة وقال: "اذهب بها الآن إلى السجن، فيها المفاجأة التي تستحقها".

استقبله مدير السجن وشرح له كل شيء، بحيث أحس بهجت أنّ مدير السجن يبوح له بسرّ لا يريد لأحد أن يعرفه، أخذ يرتجف جسد بهجت لمّا سمع تلك الكلمات: "تنفيذ حكم الإعدام"، حكم الإعدام ينفّذ فجرا، هذا ما يعرفه بهجت، وكتب هذا الخبر محاذرا أن يعرف زملاؤه أي شيء عن الغنيمة التي حصل عليها، ثم سلّم الخبر رئيس القسم، بعد أن قرأ العنوان قال لبهجت "ها أنت تقفز أخيرا إلى صدر الصفحة الأولى! مبروك!"، بعد أن سلّم الخبر وغادر مبنى الصحيفة، ثم رجع من البيت من

جديد إلى مبنى الجريدة في الوقت المتأخر من الليل. فقال له المحرر المناوب: "نشرنا الخبر كما تسلمناه منك. لم نغير شيئا حتى العنوان، وظل اسمك في مكانه أيضا".

جملة واحدة التي قالها المحرر عن غير قصد، قلبت الأمور رأسا على عقب "كل ما أخشاه أنهم لن يستطيعوا تنفيذ حكم الإعدام في ليلة كهذه! حيث بدأ يتساقط الثلج، من يستطيع الوصول إلى السجن غير الذين فيه أصلا، حكم الاعدام يتطلب وجود طبيب شرعي ومندوبين عن مديرية الأمن وربما عن القضاء ووجود شيخ أيضا".

"ذلك يعني، إن حصل، أن خبرنا كاذب وأن المحكوم عليه بالإعدام سيقرأه في الصباح ولعله سيضحك كثيرا فقد عاش حتى رأى اسمه على صدر الصفحة الأولى، سيكون ذلك إجراحا كبيرا للصحيفة، لك، ولمدير السجن وللأمن العام ولكل شيء".

فجأة، وصل بهجت إلى السجن، لما رأى مدير السجن الجريدة في يد بهجت اقترب منه وتناولها بعنف وقال له: "كيف يمكن أن نفسر أمرا كهذا؟!، خبر يقول إنه أعدم، وحقيقة تقول إنّه لم يزل على قيد الحياة؟".

سأل بهجت: "ما المشكلة؟"، فردّ مدير السجن: "المشكلة يا أخ بهجت، أن الشيخ- مندوب قاضي القضاة-، الذي كان من المفترض أن يحضر، لم يحضر. إنّه مريض ومن الصعب أن يخرج في جوّ كهذا، وإلا فسيموت بدوره، قبل ذلك المحكوم بالإعدام!".

"وهل تنتهي المشكلة إذا حضر شيخ آخر، أم ليس هناك سوى شيخ واحد يمكن أن يقوم بهذا؟ سأحضر شيخا!" قال بهجت، ثم سافر مع سائق سيارة دفع رباعي باحثا أضواء الخضراء التي تزيّن مآذن المساجد للعثور على شيخ، دخل بهجت ثلاثة مساجد باحثا عن الشيخ، أخيرا عثر على شيخ،

وأقرّ ذلك الشيخ بالخروج مع بهجت حينما رأى تلك السيارة الدفع الرباعي العسكرية وأضاف: "نحن كلنا في خدمة القانون بإذن الله".

فرح مدير السجن بمجرد أن رأى بهجت مع الشيخ وهمس في أذنه: "لن أنسى موقفك هذا، سأتذكرك في كل مناسبة قادمة من هذا النوع. وتأكد أنّه لن يظفر أحد، مستقبلا، بمثل هذه الأخبار المهمة سواك".

لم يعرف بهجت كم من الوقت مضى قبل أن يعودوا من تنفيذ حكم الإعدام. أخيرا وصل بهجت إلى بيته في الصباح، كانت نسخة الجريدة التي جاء بها ليريها امرأته في يده، ونشرها أمامها ثم أشار إلى الخبر بسبابته، لما رأت اسمه بخط صغير تحت ذلك العنوان "تنفيذ حكم الإعدام بقاتل ..." التفتت إليه دون تعليق وانسلت نحو غرفة نومها. بعد أربعين دقيقة، أشعل التلفزيون، تقدمت مذيعة وشرحت حالة الطقس محذرة من استخدام الطرق الخارجية والداخلية التي باتت مغلقة تماما بسبب تراكم الثلوج، أفزع بهجت هذا الأمر بما أن الصحف لن توزع. نهض بغضب ألقى الصحيفة أرضا وظل يدوسها بقدميه حتى تمزقت تماما.

المبحث الثالث: الشخصيات في الرواية

استخدم الروائي إبراهيم نصر الله تقنية "الصورة المقربة" في رسم الشخصيات، بحيث إنّ الكاتب يبالغ في الأوصاف التي تشير إلى نمط الشخصية في اتجاهاتها ومواقفها وعلاقاتها بالواقع وبالآخرين. ومن الشخصيات الرئيسية في هذه الرواية:

بهجت حبيب: هو بطل الرواية، وكان يعتقد أنّ من يراه لا يمكن أن يستذكره، فيعرّف نفسه للشخص الواحد كثيرا من المرّات "هل تتذكرني؟! أنا بهجت حبيب"[١] بحيث أصبح ذلك مصدر إزعاج لكثير من زملائه. وقد رأى بهجت أنّ تعلّم مبادئ المحاسبة أفضل وسيلة للحصول على وظيفة لأنّ عدد الشركات يزداد يوما فيوما. ولكن، لم يحصل على وظيفة ما في أيّ شركة وهكذا وصل أخيرا في عالم الصحافة. والأجدر بالذكر أنه لم يكن يعرف معلومات أوّلية عن الصحيفة. وممّا أزعجه دائما أنّه لم يستطع أن ينقش اسمه على الصفحة الأولى للجريدة كي يثبت أنّه قد عمل في صحيفة محترمة. ولم يصل إلى الدرجة العليا في عالم الصحافة، "فقد بدأ حياته الصحفية مندوبا، وأمضاها مندوبا، وسيعيش ما تبقّى له مندوبا وسيموت مندوبا"[٢].

إنّ هذه الشخصية من منطلق علم النفس التحليلي، "يمثّل حالة اختلط فيها الوعي باللاوعي، وزالت الحواجز بين المستويين فغدا مزيجا من "الوعي المختلط" أو "اللاوعي المختلط. ومرد ذلك إلى الحالات المتقلبة التي تنتاب الإنسان المضطهد والمقهور، فيصبح نهبا لحالات انفعالية متضاربة تخل بتوازنه النفسي واتزانه الذهني، فتفقد شخصيته رؤاها واتجاهاتها وتظل -رغم كل محاولات ترميم الذات- شخصية هلامية هشة"[٣].

عبد اللطيف: أصبح عبد اللطيف محررا في الجريدة فجأة. رفعه السيد عارف غنام -رئيس التحرير- من عامل مقهى الجريدة إلى محرر الصحيفة، لأنّ السيّد عارف غنام يعتمد عليه في الأشياء التي لا يكتمل وجود الويسكي والفودكا إلا بها. وكان يُحضر كل مرة واحدة من الفتيات الجميلات كي يستفيد

---

[١] . إبراهيم نصر الله، *شرفة رجل الثلج*، ص ١١.

[٢] . المرجع نفسه، ص ٩٧.

[٣] . د. محمد عبد القادر، "عدالة السرد... قراءة في رواية "شرفة رجل الثلج"، *الرأي*، ٢ أبريل ٢٠١٠، تاريخ الاطلاع ٣٠ أبريل ٢٠٢٤، https://alrai.com/article/387118/.

منها السيد عارف غنام. "وكانت نباهته تتجلى في معرفة الفرق الدقيق بين التاء المربوطة والتاء المفتوحة"[١] فقط، ولا يستطيع كتابة أي مقال حينما أصبح رئيسا للتحرير فأوكل هذه المهمة إلى من يكتب المقالات باسم رؤساء التحرير. يجد بهجت حبيب نفسه وجها لوجه مع عبد اللطيف كلما حضر بهجت في دائرة المخابرات للمراجعة، فيقول له عبد اللطيف مبتسما إنّه جاء "لتناول فنجان قهوة لا غير!"[٢].

جميلة: هي زوجة بهجت حبيب، رأت في زوجها "قمر الدنيا ومحطم قلوب العذارى"[٣] وواقع الأمر مغاير تماما. وكانت تلتقي مع بهجت في المكتب ويتمتعان باللمس قبل الزواج. لمّا رأت اسمَ بهجت بخط صغير تحت العنوان في الصفحة الأولى بعد أن بذل قصارى جهده لذلك، التفتت إليه دون أيّ تعليق وانسلت غاضبة نحو غرفة نومهما بما أنّه تأخّر في ليلة عاصفة ثلجية إلى هذا الحدّ. وهي تحبه حبا خالصا وعرفت هيامه مع الآنسة ليلى حيث قالت: "الآنسة ليلى التي لا تكفّ عن ترديد اسمها طوال الليل منذ سنوات"[٤]، وعند ذلك تطلب منه ألا يتركها وأولاده.

أم بهجت: هي والدة بطل الرواية بهجت حبيب. وكان لقبها "رويتر"، لأنّ "كل أخبار الحارة كانت مكشوفة ل "رويتر": من أحبّ، ومن تزوج، ومن تشاجرت مع من، ومن على وشك الطلاق، ومن استيقظت راضية صبيحة يوم الجمعة، ومن لم تستيقظ راضية؛ من تجاوزت حدودها مع زوجها"[٥] وغيرها من الأخبار. ستكون الأخبار على كل لسان إذا علمت بعضا منها أم بهجت. وتمارضت أم بهجت

---

[١]. إبراهيم نصر الله، *شرفة رجل الثلج*، ص ٢٥.

[٢]. المرجع نفسه، ص ٢١٢.

[٣]. المرجع نفسه، ص ١١.

[٤]. المرجع نفسه، ص ٢٠٨.

[٥]. المرجع نفسه، ص ٣٩.

كي تصل إلى أخبار الجارة رشيدة التي أشبهت بكرة مصمتة، لم تتمكن رويتر من معرفة ما فيها قط، حتى تقلصت رويتر كطفلة مصابة بالجوع في بلاد الصومال ثم ماتت في المستشفى.

رشيدة: هي جارة أم بهجت، وصلت إلى منصب مديرة مديرية في وزارة التنمية، لكنها لم تتزوج رغم جمالها الواضح. وقد حاولت أم بهجت استدراج رشيدة للبوح بشيء من أخبارها، فأصبحت مصمتة أكثر. وقد استعدت لرعاية أم بهجت في المستشفى حينما تمارضت للوصول إلى أخبار رشيدة. وفي لحظة "فكرت في أن تقتل 'رويتر' حين أحسّت بأنها توشك أن تصل إلى ذلك السرّ، لكنها تراجعت وقد أبصرت 'رويتر' تموت أمامها ببطء"[١]. لم تأت رشيدة إلى بيت العزاء، ولم تفتح الباب لبهجت وزوجته جميلة لمّا أتيا ذات يوم ليعلم أحوالها مخافة أن تصيبها مصيبة بعد موت أمه.

السيد عارف غنام: وكان السيد عارف غنام رئيس التحرير للصحيفة، هو الذي رفع عبد اللطيف من عامل في مقهى الجريدة إلى محرر، بعد أن اكتشف أنّ منزلته السابقة لا تليق به وأخذه السيد عارف غنام معه في سفرات كثيرة كخبير في الخدمات اللوجستية ويعتمد عليه في إحضار الويسكي والفودكا والفتيات الجميلات. وبسبب كرم السيد عارف غنام وبقدراته تحضر الفتيات باسمات ويخرجن ضاحكات، حيث قال السيد عارف غنام: "إنّ خدماته أنقذت حياته الجنسية العائلية حقا، فقد وصل به الأمر إلى طريق مسدود مع أم العيال، أمّا الآن فقد نالها نصيب، إذ أصبح يعود إليها بعد كل سفر كعريس جديد!"[٢].

[١]. المرجع نفسه، ص ٧٨.

[٢]. المرجع نفسه، ص ٣٤.

زوجة عبد اللطيف: فتاة مثقفة يتيمة وخالها واحد من أهم رجال الأعمال، "خرجت يائسة من علاقة حب من طرف واحد مع شاعر يعمل في صحيفة أخرى"[١]. وطلب منها أوّلا عبد اللطيف بعد الزواج الاستقالةَ من وظيفتها. وقد قدّمها جريدة التي تحمل صورته أوّلَ هدية لها بعد انتظار طويل، وتحت الصورة كُتب بخط أسود "السيد عبد اللطيف يستقبل الضيوف"[٢]. وقد كان في قلبها دائما "ذلك الحب التعس لشاعر كان يعمل في صحيفة وكانت على استعداد أن تدخل بيته ولو على ضرّة ولم يقبل بها"[٣].

مدير السجن: هو الذي باح لبهجت حبيب عن الخبر الذي يستحق أن ينشر في الصفحة الأولى للجريدة، حيث يقول: "الحقيقة أنّ مدير العلاقات العامّة في المديرية هو الذي شجّعني على أن أخصّك وحدك بهذا الخبر، وهو- كما تعرف- خبر صفحة أولى. صحيح أن بقيّة الصحف ستزعل، لكن لا بأس، سنرضيهم في مرّات قادمة"[٤]. حينما لم يحضر الشيخ لتنفيذ حكم الإعدام، تولّى بهجت حبيب مهمة إحضار الشيخ في الليلة التي تستمرّ فيها العاصفة الثلجية، فهمس مدير السجن في أذنه: "لن أنسى موقفك هذا. سأتذكّرك في كل مناسبة قادمة من هذا النوع. وتأكد أنه لن يظفر أحد، مستقبلا، بمثل هذه الأخبار المهمّة سواك!"[٥].

---

١. المرجع نفسه، ص ٦٢.

٢. المرجع نفسه، ص ٦٥.

٣. المرجع نفسه، ص ٦٦.

٤. المرجع نفسه، ص ١١١.

٥. المرجع نفسه، ص ١٤١.

الشخصيات الثانوية:

الشيخ: هو رجل ملتح في العقد السادس من عمره، وقد حضر لتنفيذ حكم الإعدام بعد أن ألحّ عليه بهجت حبيب فقال الشيخ: "نحن في خدمة القانون، نحن كلّنا في خدمة القانون بإذن الله"[١].

السائق: هو الذي ساعد بهجت حبيب لإحضار الشيخ لتنفيذ حكم الإعدام بأحد المجرمين. لما أدرك بهجت حبيب "أنّ أفضل طريقة للعثور على شيخ هي الذهاب إلى المسجد"[٢] فقال السائق: "فالمساجد، والحمد لله ليس هناك ما هو أكثر منها"[٣].

مدير العلاقات العامة: هو الذي اتصل ببهجت عبر الهاتف وطلب منه أن يأتي فورا وهناك مفاجأة معدة له، ولما أتى إليه بهجت ناوله ورقة، ثم قال: "اذهب بها الآن، وفورا، إلى السجن!، فيها المفاجأة التي تستحقها!"[٤].

أستاذ علي: سرق بهجت حبيب قصيدة للأستاذ علي ليُثبت مهارته أمام صاحب المكتب لإقناعه بالتوسط له للعمل في الصحيفة. لما علم الأستاذ علي أن بهجت اشترى كل النسخ لهذه القصيدة الموجودة في مكتبات العاصمة مخافة أن يقع في يد مدير مكتب الإعلانات مصادفة ذات يوم، فقال لبهجت: "إذن أنت السبب في نفاد الديوان من الأسواق؟! أنت السبب!!"[٥].

---

١. المرجع نفسه، ص ١٤٠.

٢. المرجع نفسه، ص ١٣٤.

٣. المرجع نفسه، ص ١٣٦.

٤. المرجع نفسه، ص ١٠٧.

٥. المرجع نفسه، ص ٢٢٠.

صاحب المكتب: هو انسان طيب، أدرك حاجة بهجت للعمل، وسهّل لبهجت الطريق إلى الصحافة. وفي نظرية صاحب مكتب الإعلانات أنّ "الصحافة مقبرة المواهب"[١] وكان صاحب مقال أسبوعي في صحيفة أسبوعية ودخل الصحافة شاعرا مشهورا وانتهى كاتب عمود أسبوعي.

ليلى: هي امرأة فاتنة ومديرة مكتب وزير التربية والتعليم، وقد حاول بهجت لمشاهدتها دائما حيث قال عنها: "ولو خُيّرت بينها وبين "جميلة" ما قبل أيام الخطوبة وأيام الحب، لاخترتها هي لا سواها"[٢]، وكان يردّد اسمها طوال الليل منذ سنوات.

ماجدة: هي صديقة بهجت في الجريدة وكان لقبها "ذات المؤخرة العظيمة". كتبت رسالة ذات يوم ثم وضعتها مطويّة بعناية فوق جريدة بهجت، بحيث كتبت فيها: "لا عليك، كن قويّا. ستنتصر في النهاية"[٣]، وطلبت منه أن يمزّق الرسالة بعد القراءة.

الوزير: إنّ معظم اهتمامه يتركّز في تغيير صورته التي ترافق الأخبار في الجريدة حيث قال: "بس غيرولنا هالصورة القديمة إللي بتنشروها مع أخباري! أي ما في غيرها عندكم؟!"[٤].

المحقق: وقد جاء في هذه الرواية المحقق القديم والمحقق الجديد. إنّ المحقق القديم صاحب الصلعة الصغيرة يظهر دائما مخيفا جدّا إلى حدّ ما، ويسأل ذلك المحقق القديم لبهجت عن أمور كثيرة حتى تلقّى منه بهجت صفعة قوية. أما المحقق الجديد فيظهر في المرّة الأخيرة للمراجعة ويلاطف مع بهجت ويرحب ترحيبا حارّا كما أنّه يلقى صديقه.

---

١. المرجع نفسه، ص ١٦٩.

٢. المرجع نفسه، ص ١٨٤.

٣. المرجع نفسه، ص ٢٤٣.

٤. المرجع نفسه، ص ١٨٩.

المبحث الرابع: تقنيات السرد في الرواية

تتشكل رواية شرفة رجل الثلج من ثلاث روايات، في رواية واحدة - كتاب واحد، تكمل الواحدة منها الأخرى وتتوغل في خفاياها وتنقدها، تكملها حينا وتنفيها حينا آخر. إن هذا النص الروائي قائم على سرديات ثلاث، الأولى سردية الكاتب، والثانية سردية الشخصية الرئيسية التي جاءت تحت عنوان "ما لم أقل" (مذكرات بهجت حبيب) بحيث يحق لهذه الشخصية الرئيسية أن تكتب ذاتها كما تريد وأن تدافع عن نفسها وأن تختلف أحيانا مع سردية الكاتب وأن تضيف المزيد من التفاصيل في ملامح الشخصية ذاتها. أما السردية الثالثة فقد جاءت تحت عنوان "ما ظل خفيا"، ولم تحتو إلا الصفحات القليلة الخالية تماما من أية كتابة بحيث يدعو هذا القسم الأخير للقارئ أن يقترح تصوراته لما ظل خفيا خلف السرديتين الأوليين في الرواية فيكون القارئ كاتبا ثالثا للسردية.

وقد تميّز كل سردية بخصائص فنية جميلة، فالسردية الأولى تتشكل من ثلاثة أقسام ويتضمن قسمها الأول واحدا وثلاثين فصلا ولجأ فيها الروائي إلى الأرقام المتسلسلة في عنونة الفصول، باستثناء ستة فصول التي صوّر فيها الكاتب وصفا ساخرا للشخصيات تحت عنوان "صورة مقربة". والقسم الثاني جاء في اثني عشر فصلا، بينما يتكوّن القسم الأخير من خمسة وعشرين فصلا معنونا بالساعات والدقائق المبالغ في دقتها مثل ١١:٤٣ ليلا و٢:٣٥ صباحا. أما السردية الثانية فهي رواية بهجت حبيب عن ذاته وقد احتوت على خمسة وأربعين فصلا قصيرا. والسردية الثالثة (ما ظل خفيا) - كما ذكر أعلاه- جاءت خالية تماما من أية كلمة.

إنّ "الراوي العليم" يظهر في القسم الأول (سردية الكاتب) في هذه الرواية بحيث هذا الراوي العليم لا يشارك في الحدث ولا يتدخل فيه وينظر إلى الحدث من جانبه بوصفه راويا عليما، بل هو راو ناقل فقط، يقول الراوي:

"كانوا هناك،

مدير السجن، مساعد النائب العام، الطبيب الشرعي، مدير إدارة السجون، ومساعد متصرف العاصمة. لكن الوضع لم يكن طبيعيا، إذ كانت الجملة التي التقطتها أذنا بهجت كفيلة بأن توضح كل شيء.

هذا الأمر يحدث للمرة الأولى! - قال مدير السجن.

وحين رأى الجريدة في يد بهجت، اقترب منه وتناولها بعنف كما لو أنّه يصفعه، فارتد بهجت إلى الوراء، وقد أدرك أن العاصفة التي في الخارج تعصف بكل من في الداخل بصورة أعتى.

لم يستطع أن يعرف سبب المشكلة، لكن حجمها كان أكبر من أن يتوقعه"[1].

إنّ هذا الراوي العليم يسرد هنا الأحداث ويصوّر ردود أفعال الشخصيات كما لاحظها هو، ويدخل إلى وعي الشخصيات وينقلها بحيث يعلم هذا الراوي أكثر مما تعلمه الشخصيات.

ويتم سرد القسم الثاني (سردية الشخصية الرئيسة) في الرواية على لسان "الراوي المشارك". وهذا النوع من الراوي يعتمد في سرديته على صيغة المتكلم (أنا)، لأنّ هذه الصيغة هي صيغة ذاتية. وميزة هذا الراوي أنّه راو مشارك في الأحداث التي يتم سردها، يقول الراوي:

"تعلمت دائما أن أخاف، أخاف أن أورّط أمي في شيء، أي شيء، كأن أجرّها إلى مخفر أو إلى مدير مدرسة أو إلى... لأنّ أوّل إنسان كانوا سيطلبونه هو وليّ أمري. كنت أحس أن ذلك سيحيل أمي إلى مصدر للسخرية والكلام الثقيل الذي لا يجوز أن يوجه لامرأة، أيّ امرأة، في مخفر أو في غرفة مدير مدرسة حوّل مدرسته إلى مخفر!

[1]. المرجع نفسه، ص ٧.

كنت أعرف إنني بلا أخوال يقفون إلى جانبي أو أعمام، أو أقارب"[1].

إن بطلة الرواية بهجت حبيب يروي أحداثه في القسم الثاني من الرواية، فهو هنا الراوي/ الشخصية الذي يسرد جانبا مهما من ماضيه معتمدا على ضمائر المتكلم منفصلة ومتصلة كما في هذا المقطع المذكور أعلاه.

أما القسم الأخير (ما ظل خفيا) في الرواية فقد جعله الراوي مفتوحا ومن دون أية إشارة سردية إلى محتواه.

إنّ الحدث الروائي (المروي) يسير على نسق التتابع والتضمين اعتمادا على العلاقات السردية التي يقيمها حدث مع آخر. أما نسق التتابع فيسير عليه حدث تنفيذ حكم الإعدام على أحد المحكومين، إذ ينفذ الحكم بالإعدام فجرا في حضور مدير السجن ومساعد النائب العام والطبيب الشرعي وأحد الشيوخ وقد حضر بهجت حبيب الحادثة كي يغطي الخبر، ولكن الظروف الجوية سيئة إلى أبعد حد، ويقع الجميع في مشكلة لأنّ مرض الشيخ منعه من الخروج من بيته، وخاصة أنّ هذا الموضوع قد نشر في الصحيفة، وهذا ما أوقع الجميع في مشكلة أخرى، إذ كيف تنشر الجرائد عن تنفيذ حكم الإعدام بأحد المحكومين كهذا؟!، "خبر يقول إنه أعدم، وحقيقة تقول إنه لم يزل على قيد الحياة"[2].

إنّ الحدث الروائي يسير "على وفق هذا النسق متتاليا ومتتابعا بعد أن يستطيع بهجت حبيب حلّ المشكلة ويتم تنفيذ الحكم فجرا. لقد كان الراوي واعيا ودقيقا في عرض الحدث ولاسيما أننا أمام خطاطة سردية تفصيلية للتوقيت الزمني الذي يتم فيه الحدث ابتداء من الساعة الثانية وتسع دقائق، وهو الزمن الذي يتم استدعاء بهجت فيه إلى مديرية الأمن العامة وذهابه فيما بعد إلى

[1]. المرجع نفسه، ص ٢٤٠.

[2]. المرجع نفسه، ص ٧.

السجن، وانتهاء بالساعة الرابعة وأربعين دقيقة وهو الزمن المحدد لبزوغ الفجر وفيه يتم تنفيذ حكم الإعدام، وينتهي النسق تحديدا مع انتهاء المشكلة التي تمت معالجتها بحذق وذكاء"[١].

وقد لجأ الراوي في هذه الرواية في إيراد النصوص إلى نسق التضمين، فيتم تضمين حكاية الشاعر العربي طرفة بن العبد مع والي بحرين، يقول الراوي:

"بابتسامته الواسعة استقبله مدير العلاقات العامة في مديرية الأمن وناوله ورقة، وقال: اذهب بها الآن، وفورا إلى السجن!

.....

في حالة أخرى، ربما كان بهجت سيصرّ على معرفة ما يحمله، فقط لدواعي الاطمئنان، لكنّه في هذه الحالة لم يكن يستطيع أن يشكّ في مصدر الأمان نفسه، ولذا، استبعد حكاية الشاعر العربي القديم (طرفة بن العبد) الذي حمل رسالة، قالوا له إنّ فيها مكافأة سيسلّمها إليه والي البحرين، وحين وصل قطعوا رأسه، إذ لم يكن في تلك الرسالة سوى جملة واحدة، إذا وصلك حامل كتابي هذا فاقطع رأسه!"[٢].

فهذه الحكاية "هي حكاية غريبة عن المتن الأصلي وقد تم استدعاؤها من مكمنها بفعل خيط رابط - وإن كان واهيا- مع الحدث الذي تم سرده آنيا، والذي يشير إلى تسلّم بهجت ورقة من مدير العلاقات العامة في مديرية الأمن وفيها توصية لمدير السجن، وقد تم إيرادها في مسار سردي يتحدد بوجود علاقة ارتباط- وإن لم تكن قوية- بين النص الذي يتم سرده في اللحظة الراهنة والنص الذي تم استعادته من مكمنه الماضوي"[٣].

---

[١] . د. محمد صابر عبيد، ود. سوسن البياتي، *رواية ما بعد الحداثة قراءة في شرفات إبراهيم نصر الله*، ص ٧٦.

[٢] . إبراهيم نصر الله، *شرفة رجل الثلج*، ص ١٠٧.

[٣] . د. محمد صابر عبيد، ود. سوسن البياتي، *رواية ما بعد الحداثة قراءة في شرفات إبراهيم نصر الله*، ص ٨٤.

ففي هذه الرواية كذلك، يتم تضمين الأخبار الصحفية في النص السردي مع علاقة بين النص المركب والحدث الروائي، يقول الراوي:

"راح يقرأ بتمعن الكيفية التي تدبج فيها الأخبار، وتصاغ العناوين. أكثر ما راقه عناوين الأخبار الرياضية التي كانت مثيرة على نحو غير عادي:

"رياح (الأهلي) تعصف بحقول (الزمالك)"

"الأسود غير المروضة تستعيد مخالبها وتفتك بـ (زامبيا)"

"ساعة الحقيقة تدق أمام (تونس)"

"أسود الأطلسي تتخلى عن أنيابها"

"نسور قرطاج تكشّر عن أنيابها"

لاحظ الخطأ الذي وقع فيه محرر الرياضة! فالنسور لا أنياب لها"[1].

وقد تم تضمين الأخبار في النص السردي لهذه الرواية في مواضع مختلفة كما يظهر في الصفحات الآتية: ٢١، ٢٢، ٧٢-٧٤، ١١٧، ٢٦١، ٢٧٩.

إن "المروي له الممسرح" و"المروي له غير الممسرح" يتجسدان في هذه الرواية. أما المروي له غير الممسرح الذي لا يوجد أثره ظاهرا وبارزا في الرواية، وأنه يتلقى هذا الخطاب بعيدا عن أي تدخل يشير إلى وجوده، وهو غير مشارك في الحدث الروائي رغم أنّه يقع داخل الخطاب السردي، كما في قول الراوي:

"لا أحد يعرف أبدا كيف انشقت النوافذ والحيطان، ووصل لقب أم بهجت الجديد إلى بقية الجارات، لأن رشيدة نفسها لا تجالسهنّ إلاّ صامتة، وتكاد لا تشرب كأس الشاي أو فنجان القهوة قبل أن

[1]. إبراهيم نصر الله، *شرفة رجل الثلج*، ص ١٥.

تنتفض واقفة كما لو أنها "تأخرت عن موعد مع الملكة إليزابيث!" - كما تعلق "رويتر " فور خروج رشيدة"[1].

أما المروي له الممسرح فهو الذي يتحرك داخل النص الروائي ويشارك في الأحداث الروائية كما في قول الراوي:

"قالت له: يا بهجت يا حبيب، أنا أحفظ اسمك جيدا، وأظن أن الجميع باتوا يحفظونه!"[٢].

يظهر اسم بهجت حبيب جليّا في هذا النص الروائي حينما تتم الإشارة إليه من خلال محاوراته مع زوجته جميلة، فالخطاب هنا وُجّه إلى بهجت حبيب وهو يمثّل مرويا له ممسرحا كما يشارك في الحدث الروائي.

تبرز في هذه الرواية السخرية الحادة ومشاهد سوريالية، أما السخرية الحادة فهي تمثل موقف الروائي من واقع عربي بشع تجسّده شخصيات من عالم الصحافة والثقافة.

إن "المشهد السوريالي الأشد إثارة فيتبدى في ذلك الموقف بين رجل الأمن وبهجت حبيب (الصحفي الذي كان يستعد لرحلة مهنية إلى الصين). يبصر بهجت ملفه الشخصي الضخم الذي يوحي لمن يراه وكأنه قد ارتكب جرائم الكون، لكن رجل الأمن يبدد استغرابه حين أبلغه أنه يحتفظ أيضا بملف لطفل بهجت الأول (فريد)، كما أنه عازم على فتح ملف لابنه الجنين القادم (عبد الحليم): سنفتح له ملفا وننناديه عبد، والسوريالية في هذه الشرفة تجيء مبطنة بالرمز، ومثالها الغرابان اللذان فقآ عيني بهجت ذات ظهيرة ثلجية شديدة البياض في أثناء وقوفه على شرفة المنزل، والغربان هنا ليست من فصيلة الطيور، والتلفاز لا يعرض سوى صور الغربان ونشرات الأخبار "تعج بآلاف الغربان". الغرابان

[1]. المرجع نفسه، ص ٤٠.

[٢]. المرجع نفسه، ص ١٢.

اللذان أوديا ببصر بهجت هما - على مستوى الواقع ليسا سوى غراب الداخل (الرعب الذي يسكن بهجت) وغراب الخارج (قوى القمع والقهر) التي تعمي البصيرة والأبصار"[١].

ومن بنية المكان في هذه الرواية:

مبنى الصحيفة: يجري معظم أحداث هذه الرواية في مبنى الصحيفة، فقد أمضى "بهجت حبيب" سنوات كثيرة في مبنى الصحيفة حيث بدأ حياته الصحفية مندوبا وأمضاها مندوبا بينما زملاؤه الذين عملوا معه في تلك الفترة وما بعدها وصلوا إلى المراتب العليا. تعدّ مشاهدة أحد موظّفي صحيفة في مبنى أيّ صحيفة منافسة كالتعامل مع العدوّ.

البيت: يسكن فيه بهجت وزوجته جميلة مع ثلاثة أولاد وبنت ذكية. تشهد بيت بهجت حبيب لمشاهد فرحه وحزنه وآلامه. يقول الراوي: "أنهى اليوم الأوّل لعمله في الصحيفة بابتهاج شديد، عاد إلى البيت بسرعة، وما إن أشرعت أمه الباب حتى انحنى مقبلا يديها"[٢]، بينما في نهاية هذه الرواية يقوم بهجت في بيته ساخطا لأنّ الصحائف التي نُقش اسمه في صفحتها الأولى تحت عنوان الخبر المهم -وهذا ما يحلم طوال أيامه في الصحيفة- لن توزّع اليوم لأن "الطرق الخارجية والداخلية التي مغلقة تماما بسبب تراكم الثلوج"[٣].

مديرية الأمن: يصوّر الراوي مديرية الأمن شيئا مخوفا حيث يقول الراوي: "عند اقترابهما من بوّابة مديرية الأمن، راحت دقات قلب بهجت تتسارع شيئا فشيئا"[٤].

---

[١] . د. محمد. عبد القادر، "عدالة السرد... قراءة في رواية شرفة رجل الثلج".

[٢] . إبراهيم نصر الله، *شرفة رجل الثلج*، ص ٢١.

[٣] . المرجع نفسه، ص ١٤٧.

[٤] . المرجع نفسه، ص ١٩.

مكتب الإعلانات: كان بهجت يعمل في مكتب الإعلانات الذي أسّسه عبد اللطيف، بعد يومين من بدء عمله، دعا زميلته الى المكتب وتزوره فيه يوما فيوما إلى أن "وصل الأمر ببهجت أن يضع يده على كتفها ويضّمها إليه، وفي مرّة تالية وضع يده على فخذها بطريقة بدت غير مقصودة"[١]، سلّمه عبد اللطيف مكافأة قليلة في نهاية الشهر، فقال له: "فهناك تكاليف دائما لأي عشّ غرام! وقد أصبح هذا المكتب عشّك وعشّ عصفورتك، أليس كذلك؟!"[٢].

مبنى المخابرات: وقد دُعي بهجت عديدا من المرّات إلى مبنى المخابرات للمراجعة، وكانت كلمة "مخابرات" مصدر قلق بالنسبة إلى بهجت حبيب حيث يقول: "حين رأيت مبنى المخابرات عبر شبّاك سيّارة الأجرة التي أستقلّها، تمنيت أن أكون في مكان آخر من هذا العالم، وحين أيقنت أنّ ذلك مستحيل، تمنّيت أن أكون في الكرسيّ الخلفيّ من السيارة، لأكون على مسافة متر واحد على الأقل، أبعد من ذلك المبنى!"[٣].

السجن: المكان الذي وصل إليه بهجت لتغطية خبر تنفيذ حكم الإعدام بأحد المجرمين "كانوا هناك، مدير السجن، مساعد النائب العام، الطبيب الشرعي، مدير إدارة السجون، ومساعد متصرّف العاصمة. لكن الوضع لم يكن طبيعيّا"[٤] و"أنّ الشيخ- مندوب قاضي القضاة- لم يحضر. إنّه مريض ومن الصعب أن يخرج في جوّ كهذا"[٥]، فأحضر بهجت أحدا من الشيوخ إلى السجن في تلك الليلة.

---

١. المرجع نفسه، ص ٢٩.

٢. المرجع نفسه، ص ٢٩.

٣. المرجع نفسه، ص ٢١٠.

٤. المرجع نفسه، ص ١٢٩.

٥. المرجع نفسه، ص ١٣١.

شرفة: المكان الذي يختلي فيه بهجت مع زوجته جميلة، "الشرفة الصغيرة المطلّة على الشارع، شارعهم ذي النهاية المغلقة"[١]، يرى بهجت مع زوجته في الشرفة سهاما نارية تنطلق في السماء بمناسبة الاحتفال.

ومن بنية الزمان في هذه الرواية:

الاسترجاع: لقد استخدم الراوي تقنية الاسترجاع حينما بيّن أوضاع السجن قبل تنفيذ حكم الإعدام، حيث قال الراوي في هذا الصدد:

"كانوا هناك،

مدير السجن، مساعد النائب العام، الطبيب الشرعي، مدير إدارة السجون، ومساعد متصرّف العاصمة. لكن الوضع لم يكن طبيعيّا"[٢].

الاستباق: إن الراوي استخدم تقنية الاستباق في بنية السرد لهذه الرواية كما يتجلى في هذا المقطع: "لماذا لا أغيّر اسم طفلي القادم قبل مولده؟" كان هذا هو السؤال الذي قضّ مضجعه وأرّقه، وفكّر في أسماء كثيرة: خالد، سالم، نبيل، أو شوكت (على وزن اسمه)، وحاول أن ينطق الاسم بصوت عال: "شوكت بهجت حبيب"، فأحسّ بأنّ الموسيقا تتفجر من كل حرف فيه كما الينابيع العذبة. سأسمّيه شوكت وليكن ما يكون!"[٣] وقد جاءت هذه التقنية حينما ذكر بهجت عن تسمية لطفله القادم.

ولمّا لم يحضر الشيخ إلى السجن لتنفيذ حكم الإعدام بأحد المجرمين، فقال بهجت: "سأحضر شيخا، ولم يصدّقوا آذانهم.

التفتوا إليه فأعاد: سأحضر شيخا، يعني سأحضر شيخا!"[٤].

---

[١]. المرجع نفسه، ص ٣١.

[٢]. المرجع نفسه، ص ١٢٩.

[٣]. المرجع نفسه، ص ٧٠.

[٤]. المرجع نفسه، ص ١٣٢.

وهنا أنّ بهجت يقول إنّه يُحضر الشيخ إلى السجن ثم سيتحقق تنفيذ حكم الإعدام بأحد المجرم، وبذلك يدلّ هذا المقطع على حدث مستقبلي.

الحذف: إنّ الراوي قام بإسقاط مدّة من زمن القصة وعدم التناول بما حدث في تلك المدّة من وقائع وأحداث، يوجد الحذف في هذا القول: "بعد ثلاثة أيام، رنّ جرس الهاتف في منزل بهجت"[1]، وقد أعلن الراوي عن مدّة ثلاثة أيام ولكن أهمل ذكر تفاصيل الأحداث التي وقعت في تلك المدّة.

المشهد: إنّ للمشهد الحواري دورا بارزا في الرواية خصوصا على مستوى تعطيل حركة السرد، ومن المشهد الحواري الذي ورد في هذه الرواية الحوار الذي دار بين بهجت والمحقق:

- "ما بك؟ سأله المحقق.
- لا شيء يا سيدي.
- امرأتك حامل كما علمت؟!
- نعم سيدي.
- ولد أم بنت؟
- الطبيبة قالت إنّه ولد.
- وماذا ستسميه؟
- حليم. سيدي.
- حليم؟ تقصد عبد الحليم؟ تريد أن تجمع في عائلتك المطربين اللذين كانا متناحرين على الدّوام، فريد الأطرش وعبد الحليم حافظ إذن؟!
- نعم سيدي، ولكننا سندلعه وننادیه "حليم".

[1] . المرجع نفسه، ص ٧٧.

- هكذا إذن، ونحن سندلعه وننناديه عبد!!"[1].

إن السارد يقدم هذا المشهد ويصوّر هذا الحوار حول تسمية طفل بهجت القادم.

الوقفة: إنّ الوقفة الوصفية تقنية زمنية يعتمد عليها الراوي من أجل تعطيل السرد وإبطائه، وتحدث الوقفة نتيجة للقيام بالتعليقات الهامشية أو الوصف. إنّ الراوي يبالغ في رسم الأوصاف للشخصيات بحيث استخدم الراوي تقنية "الصورة المقربة" في تصوير ملامح الخارجية والداخلية للشخصيات. وهذا ما يتجلى في قول السارد عن شخصية بهجت حبيب:

"وجهه مستدير أقرب للاستطالة، نضر، لولا بعض آثار حبّ الشباب التي لا تكاد تلحظ على جانبي جبينه وخديه، لكن وجودها ظل يزعجه، ولم ينس الأمر، إلا بعد أن قبلت به "جميلة" زوجا لها ورزق بولده الأول، وتأكد بذلك من أنّ امرأته لن تتركه لسبب هامشي كهذا.

عيناه جميلتان كعيني أمه، ولسبب ما، كان يُخجله جمالهما، مثله مثل كثيرين اعتادوا ألا تكون الأشياء الجميلة لهم، لفرط تعاستهم...."[2].

[1]. المرجع نفسه، ص ٥٩-٦٠.

[2]. المرجع نفسه، ص ١٣.

الفصل الرابع: الرواية *شرفة العار*

المبحث الأول: تعريف بالرواية

المبحث الثاني: ملخص الرواية

المبحث الثالث: الشخصيات في الرواية

المبحث الرابع: تقنيات السرد في الرواية

الفصل الرابع: الرواية *شرفة العار*

المبحث الأول: تعريف بالرواية

لقد أصدر الروائي إبراهيم نصر الله روايته "شرفة العار" الرواية الثالثة من مشروع الشرفات سنة ٢٠١٠ تزامنا مع اليوم العالمي للمرأة، تدور الرواية حول قتل المرأة ببواعث تطهير الشرف الملطخ، كما تبرز هذه القضية من خلال شخصية "منار"، بطلة رواية "شرفة العار" التي يفتتحها الروائي بتقرير التنمية البشرية للأمم المتحدة عام ٢٠٠٩ والذي يشير إلى: "أنّ عدد ضحايا جرائم الشرف في العالم هو ٥٠٠٠ امرأة، حيث تشير الأرقام إلى وقوع ١٥الى٢٠ جريمة قتل سنويا في الأردن، وفي مصر عام ٢٠٠٩ كان عدد جرائم الشرف ٥٢ جريمة، وفي العراق ٣٤ جريمة في العام ٢٠٠٧، وفي الأردن ٢٨ جريمة في العام ٢٠٠٥، وفي لبنان ١٢ جريمة في العام ١٩٩٨"[١]. وقد دافع إبراهيم نصر الله في هذه الرواية عن المرأة ببيان العذاب والظلم المنصّب عليها من الأهل والأقارب والجيران.

المبحث الثاني: ملخص الرواية

تتمحور هذه الرواية حول قصة فتاة اسمها "منار" من الطبقة المتوسطة، وهي ابنة وحيدة بين ثلاثة شبان لأب كان عاملا في مصنع الإسمنت قبل أن يختار مهنة جديدة وهي سائق تاكسي. حيث أصرّ "أبو أمين" والد منار على تدريسها رغم إصرار باقي الأسرة على أن تترك تعليمها، خصوصا عمّها "سالم" الذي يمثل همجية المجتمع. فبطلة الرواية "منار" تعرضت لاغتصاب بأبشع طريقة من طرف "يونس" كان يعمل كسائق التاكسي على سيارة والدها الذي هو مصاب بمرض في عموده الفقري، وتحوّل الوالد إلى شبه مقعد إثر عمله السابق في مصنع الإسمنت.

[١]. إبراهيم نصر الله، *شرفة العار*، ط٧ (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٨) ص، ٥.

لقد كان "أمين" أخوها الأكبر استدان مبلغا من المال من السائق "يونس" الذي هو زميله في الخمّارات وممارسة الدعارة مع المومسات، ثم بعد عشرة أيّام اتصل يونس بأمين ليطلب المال فلم يجد ردّا، ولم يردّ أمين المبلغ المطلوب إليه.

وهذا ما جعل "يونس" يأخذ بثأر "أمين" باغتصاب أخته الوحيدة "منار" التي أكملت دراستها الجامعية في علم الاجتماع وعملت كمساعدة اجتماعية في إحدى المدارس، فتتعرف "منار" إلى ضحية أخرى في تلك المدرسة، إنّها "تغريد" الطفلة اليتيمة الأب وهي تتعلم في الصف التاسع، لقد تعرضت هذه الطفلة لاغتصاب كثير من قبل أخيها الشقيق وحملت منه. وقتل أختَها بطعنات متتالية لما هدّدته بأنّها ستخبر والدتهما.

وقد تزوج "أمين" إحدى مطلقات الحيّ بوصفها زوجة ثانية له، إثر فضيحة أصابت أمين مع تلك المطلقة. وفي يوم ذلك الزفاف، تعرضت "منار" لاغتصاب من طرف "يونس" حيث إنّه أرسلها كهدية زفاف لأخيها "أمين". وقد أخفت "منار" عن عائلتها ما حدث لها، وساء وضعها أكثر عندما أدركت أنّها أصبحت حاملا. وقد جرت المحاولات الكثيرة من طرفها ومن طرف أمها وأخيها لإجهاض الجنين إلا أنّ كل تلك المحاولات باءت بالفشل.

وأما عمّها "سالم" الذي كان يقف ضدّها منذ البداية، لأنّ أباها رفض تزويجها لأحد أبناء عمّها فأتى بالراية السوداء راية العار عند سماعه للخبر، عيناه ممتلئتان بالدم، ووضعها فوق باب أخيه ثم قال: "أرجو الله أن يكون في هذا البيت رجال يقومون بحماية شرفهم، سأنتظر للمساء وإن لم تتحركوا فبيتي مليء بأبناء عمها الرجال!"، ولمّا لم تنجح محاولة أخيها أمين لقتلها، تدخلت الشرطة كي تأخذ "منار" إلى قسم الشرطة لتسجيل أقوالها حول هذه القضية، وتم حجز منار في قسم الشرطة مع باقي النساء اللواتي تختلف عنها جرائمهن.

وفي السجن، واجهت منار معاملات قبيحة حيث تعرّضت لاغتصاب سحاقي من قبل إحدى النساء الشاذات، ولكن تحميها "شما" من تلك الفضيحة في السجن، قضية "شما" تختلف عما كانت عليه "منار" إلا أنّها تدور حول الموضوع وهي قتلت طفل ابنتها من الزنى يوم الولادة خوفا من العار. وكذلك تعرفت منار "لبنى" واستمعت إلى قصتها، "لبنى" التي وعدها شخص بالزواج لكنه اختفى عن أعين الناس بعدما فقدت شرفها برضاها فتبقى هي المذنبة الوحيدة حيث تحاول عائلتها قتلها، ورغم أنّها نجت من الموت لكنّها لم تنج من ملاحقة أهلها.

وبعد أن تنجب "منار" وليدها في السجن، رتّب أهل منار أمر إخراجها من السجن عن طريق إبعادها إلى دبي مع أخيها الأكبر عبد الرؤوف الذي كان يعمل هناك، ثم قام أخوها بالإجراءات القانونية حول الوثائق وتعهّد كفيلها للشرطة بحمايتها. ولما آن أوان سفر منار إلى دبي مع أخيها، طلب أخوها الثاني من أخيها الأكبر ليرجع مع "منار" من طريقهم إلى المطار بعد إصرار والدتها على توديع ابنتها الوحيدة قبل سفرها. لما وصلت إلى الحي تتفاجأ بعمها سالم الذي كان مصرّا منذ البداية على قتلها، لكن شقيقها أمين- بسببه اغتصبت منار ببشاعة- قام بإطلاق النار عليها وسط الشارع واغتصب منها حياتها كما اغتصب شرفها قبل ذلك. لكنها تترك رسالة لأهلها ولأقربائها مع كفيلها تظهر حبّها لأبويها ولإخوتها ولأسرتها، وكذلك بأنها لم تسئ لهم قط، وقد ألصق الروائي هذه الرسالة بخط أناملها في آخر الرواية، وهذا ما يجعل الرواية موجعة ومؤلمة أكثر. تقتل منار بخمس طلقات متتالية، لتحلّ راية بيضاء مكان الراية السوداء.

المبحث الثالث: الشخصيات في الرواية

جاءت شخصيات الذكور جميعها في الرواية بصورة سلبية، حتى وقف أبو الأمين كأنّه على الحياد، عاجزا عن القول أو الفعل من قرار العائلة للتخلص من "منار" وقتلها، وهذا ما سهّل عملة قتلها على إخوتها. أما الشخصيات النسائية فمعظمها جاءت بصورة ضحية سوى صورة السجانات، فهذه الرواية رواية نسائية وتنحاز للمرأة. ومن الشخصيات الرئيسية في هذه الرواية:

أمين: كان "أمين" الابن الأكبر للعائلة، اسمه مضاد لصفاته، وأنّه طرد من المدرسة ولم يكمل تعليمه وقد اشتغل في محطات الوقود، لكنه أيضا عُزل لسرقته الزبائن. تزوج "أمين" من "نبيلة" ابنة خالته، ثم يتعرف على "تمام" إحدى مطلقات ذلك الحي، التي كان يمارس الرذيلة معها، يقرّر أن يتزوجها ويضع أمام العائلة أمرين: "لديكم حلان: الأول أن أطلق نبيلة، أو أن تذهبوا لخطبة تمام الآن"[١] ويفرض أمره على العائلة ويتزوجها، حيث إنّ زوجته الأولى "نبيلة" تشير إلى أمر غير عادي: "سأخطبها لك!" " قال نبيلة"[٢]، هذه المبادرة من قِبل "نبيلة" تحافظ على أسرتها من الضياع. لكن حال "أمين" السيء لا يتوقف عند هذا الحد، وكان كثيرا ما يذهب مع "يونس" إلى الحانات والمومسات: "معا، ذهبا إلى حانات، وإلى ملاه ليلية، ...تقاسما مومسا في الكرسي الخلفي للسيارة، أكثر من مرة...اشترى يونس زجاجة ويسكي أجنبية... وشربها فوق مرتفع يطل على المدينة"[٣]، وهذا الرجل السيئ الفاسق يدافع عن شرف أختها ويقتلها على الرغم من أنّه هو السبب الوحيد في اغتصاب "منار".

---

[١]. المرجع نفسه، ص ٨٠.

[٢]. المرجع نفسه، ص ٨٠.

[٣]. المرجع نفسه، ص ٨٦.

أبو الأمين: كان "أبو الأمين" رب أسرة، عمل في معمل الإسمنت ليؤمن حاجيات أسرته قبل أن يختار مهنة جديدة كسائق تاكسي. وقد أصرّ على تدريس ابنته الوحيدة "منار" رغم اعتراض باقي الأسرة. لكن أقعده مرض في عموده الفقري فأصبح يتحرك بواسطة كرسي متحرك. كانت منار تساعده على التحرك بصورة عادية. أدرك شحَّ ابنه "عبد الرؤوف" وعلم سرقةَ "أمين" لدَخل السيارة وتقاسمه.

يونس: يعمل يونس سائق أجرة على سيارة "أبي الأمين" بعد أن أصبح عاجزا عن قيادة السيارة. وكان يأخذ الزائد من حساب السيارة دون علم "أبي الأمين" ويعطيه أقلّ مما هو. هذا ما اكتشفه "أمين" بعد أن عمل حينما حصل على رخصة قيادة عمومية. ثم يحاول "أمين" أن يستردّ ما سلبه "يونس" من أجرة السيارة بشكل ملتوية، لكن الأخير لم يردّ المبلغ إلى "يونس" وينكره ذلك، أنّه لم يأخذ من "يونس" أيّ مبلغ، مما يجعل "يونس" الانتقام من "أمين" بأن اغتصب أخته "منار"، بعد هذه الحادثة القبيحة يتم تغيّب "يونس" من أحداث الرواية.

منار: كانت "منار" بنت وحيدة لأبي الأمين الذي رفض أن يزوّجها لابن عمّها سالم. واصلت دراستها حتى تخرجت في علم الاجتماع من الجامعة ثم عملت كمساعدة اجتماعية في إحدى المدارس. كانت العلاقة بين "أبي الأمين" و"منار" علاقة روحية حبية أبوية: "هو أبو الأمين كان يتصرف أمام كل واحد من أفراد العائلة بصورة مختلفة، دون أن يكون مضطرا للمكابرة في مسألة ألمه، لكن، ما أن تصل منار حتى يتغير كل شيء ويبدو متماسكا بصورة يمكن معها أن يغادر الكرسي ليسير كأي واحد من أفراد الأسرة"[1]، فالعلاقة التي كانت بينهما لم تكن عادية. كذلك أخذت علاقتها بزميلها "عصام" تأخذ بشكل أكثر حرّية. تعرضت لاغتصاب من قبل "يونس" انتقاما من أخيها "أمين".

[1] . المرجع نفسه، ص ٤٨.

عصام: كان عصام من عائلة متوسطة، لم يبذل جهدا كثيرا لالتحاق إلى الجامعة. والده تاجر أقمشة، وأمه ربة بيت، وله خمسة إخوان، هو أكبرهم، وكان يخفي في قلبه كثيرا من مشاعر الصداقة والمحبة للفتاة "منار" التي تعرّف عليها في الجامعة. وكان يريد أن يمضي كل أوقاته معها: "كان يريد أن يمضي مع منار كل أوقاته".

الشخصيات الثانوية

تغريد: فتاة عمرها خمسة عشر عاما، وهي تتعلم في المدرسة. شقيقها يجبرها على الخضوع له لرغباته الجنسية ثم تحمل منه. حينما استقصت "منار" الباحثة الاجتماعية في المدرسة عن سبب تراجعها في دروسها قالت: "لا أستطيع أن أقول لك أو لأيّ أحد في العالم ما يحدث لي، أرجوك مس، اتركيني أذهب أرجوك"[١]. وفي اليوم التالي ترجع "تغريد" إلى "منار" وتبيّنها بشكل مفصّل ما يجري لها. لا يعرف هذا الأخ المتوحش إلا البحث عن اشباع غريزته. ويقوم بقتل "تغريد" ثم ينكر على القتل ويخدع العدالة من خلال ادعاءه أنه: "قام بقتلها بسبب تفريطها بشرفها، حين تبيّن له أنها أسلمت نفسها لأحد الشباب"[٢]. لكن يتبيّن بعد اجراء الفحوصات اللازمة على المظلومة "تغريد" وجنينها "أنّ القاتل هو والد الجنين، وبمواجهته بالحقائق اعترف بأنّه قتلها لأنها هدته بإخبار أمها وأخويها إذا ما واصل الاعتداء عليها"[٣].

تمام: كانت "تمام" إحدى المطلقات وواحدة من أكبر مشاكل ذلك الحي، وقامتها الطويلة وجمالها وجرأتها وفيض دلالها مما جعلها محط أنظار الجميع. اتخذت علاقة مع أمين وأجبرته على الزواج بها على الرغم من أنّه متزوج ووالد طفلة، وحققت "تمام" بزواجها من أمين غايتها التي تريد أن تصل إليها.

---

١. المرجع نفسه، ص ٩٧.

٢. المرجع نفسه، ص ١٢١.

٣. المرجع نفسه، ص ١٢١.

أنور: شقيق "منار" وكانت العلاقة بينهما حميمة جدا. تحبه "منار" حبا خالصا وتنصحه دائما على دراسته والحصول على الشهادة. وهذا ما يتجلى في قولها: "إذا قالت منار أنها لن تتخلى عنك فهي تعني ذلك تماما المهم ألّا تتخلى عن نفسك" ولكن قرّر "أنور" الانفصال عن الدراسة بسبب ظروف قاسية التي تواجهها العائلة والتفرغ لمساعدة والده "أبي الأمين" الذي أصابه مرض في عموده الفقري.

سالم: أخ أبي الأمين، يفكّر بشكل متزمتة، يقيم العادات والمفاهيم التقليدية على أي حال ويرفض لما هو جديد بدون النظر عن المضمون أو المنفعة التي يمكن أن يحصل عليها. يحتكم سالم إلى الفكر الديني المتشدد في نظرته للحياة، للناس، للأشياء كما هو يتجلى في حلّه الوحيد لمشكلة حصلت مع منار: "أرجو الله أن يكون هناك رجال في هذا البيت ليقوموا بما عليهم القيام به حماية لشرفهم، سأنتظر حتى المساء، وإذا لم تتحركوا فإنني أعلمكم أن بيتي ممتلئ بأبناء عمها الرجال"[1]، ولا يفكّر سالم عن العار الذي يلحق بالعائلة في تصرف أمين حينما مارس الزنى مع المومسات ومع "تمام" قبل أن يتزوجها، بينما الأمر الذي جرى مع "منار" هو اغتصاب انتقاما من "أمين".

نبيلة: كانت زوجة أمين وابنة خالته، واجهت كثيرا من المشقات في العيش رغم ما في زوجها من الانحطاط الأخلاقي. يذهب زوجها إلى "تمام" ويبيت معها ولا يدرك أي عار أو عيب في هذا الأمر. لما ذهبت "نبيلة" إلى بيت "تمام" وجدته هناك معها، واعتدى عليها: "أمسك نبيلة من شعرها وجرّها للداخل: أتريدين أن تسببي لي فضيحة؟! وفي اللحظة التي همّ بأن يصفعها فيها، أخذت وجهها بيديه تحميه"[2]، بعد أن يجبر العائلة بخياره بين تطليق "نبيلة" أو زواجه من "تمام"، تعامل نبيلة معاملة على طريق غير عادي لئلا تضيع الأسرة وتقول: "سأخطبها لك، قالت نبيلة، سأخطبها لك، قاطعة

[1]. المرجع نفسه، ص ١٠٩.

[2]. المرجع نفسه، ص ٨٠.

الطرق على أي كلام يمكن أن يقال، وطالبة من أمه أن تذهب معها"[١]، هذا هو حال نبيلة، تُضرب، تهان، وعليها أن تصبر.

عبد الرؤوف: كان عبد الرؤوف أخ "منار"، أكمل تعليمه الجامعي ثم اشتغل في أحد البنوك. لكنه شحيح: "أبو الأمين كان فخورا بابنه وهو يراه يحقق هذا النجاح، غير معتمد على أحد، لكن فرحته بولده طارت حين اكتشف أنه أكبر بخيل رآه في حياته، إذ عمل المستحيل دائما، ليجد كل الذرائع التي لا تجعله يخرج فلسا واحدا من جيبه"[٢]. وهذا الشخص لا يهتم بوالده، يتصرف أباه كخادم، بهذا الشكل الغليظ يخاطب عبد الرؤوف أباه. رحل إلى دبي مع زوجته للعمل فيها، لما استدعاه من دبي، بعد ما حدث مع "منار" يقول: "أرجو أن يكون سبب قدومي خيرا، أتعلمون كم دفعت ثمنا لتذاكر السفر حتى نصل هنا"[٣]، إذن هو شخص غير عادي، بخيل، يتكلم بما يفكر فيه دون اعتبار مشاعر الآخرين.

المبحث الرابع: تقنيات السرد في الرواية

تتألّف هذه الرواية من أربعة أبواب، لكل منها عنوان فرعي، ويشتمل كل قسم على مجموعة وحدات سردية طويلة. وقد جاءت هذه الرواية بلغة سلسة حية، تبيّن بالفكرة والصورة وتفضل الجمل القصيرة التي تشتمل على كلمة واحدة أحيانا وتعتمد إلى الإطناب أحيانا أخرى خاصة حينما تعبّر بواسطة التصوير كما يتجلى في هذا الأسلوب عن لحظة الغروب: "لم يبق سوى حفنة ضوء في أعلى

[١]. المرجع نفسه، ص ٨٠.

[٢]. المرجع نفسه، ص ٥٢.

[٣]. المرجع نفسه، ص ٢١٦.

شجرة التين... صعدت حفنة الضوء، راقبها وهي تتسلّق حائط البيت المجاور لبيته، إلى أن وصلت حافّة السطح، بهتت قليلا، ثمّ انزلقت بعيدا"[١].

وقد استخدم الروائي تقنية التناصّ في شكلها المباشر، فأتى بمادة لغوية في شرح لفظة "شقيق"[٢] ونكات مختلفة. وأردف الرواية برسالة مكتوبة بخط اليد مرسلة من البطلة إلى عائلتها.

يتجسد "الراوي العليم" في هذه الرواية بما أنّه يعرف بالملامح الخارجية والداخلية للشخصيات، حيث يقول الراوي: "في ذلك اليوم رقص أمامها كصبي صغير غير مصدق أي هبة تلك التي منحه الله إياها بعد هذا العمر الطويل؛ غير مصدق جسده، جسده الذي استجاب له بصورة لم يكن يتخيلها. وكلما همّ بأن يتوقف استجابة لإلحاح زوجته أمّ الأمين وزوجة ابنه نبيلة، اندفع في الرّقص أكثر وهو يرى ذلك الكرسي المتحرك يحدّق فيه وينتظره باسطا ذراعيه المعدنيّتين الباردتين أمام الباب"[٣].

إنّ هذا الراوي العليم يصف المشهد الروائي وصفا دقيقا في بداية هذه الرواية معتمدا في صوغ محكيه على ضمير الغائب فهو راو وشاهد غير مشارك في الحدث.

تعتمد هذه الرواية في بنائها السردية على نسق التتابع والتداخل والتوازي والتضمين والتكرار. أما نسق التتابع فتسير عليه رواية شرفة العار في حادثة اغتصاب منار ومقتلها. وجاء نسق التداخل في الوقت الذي يقوم الراوي فيه بسرد الأحداث المتعلقة بأبي الأمين وما تسبب المرض فيه من الآلام، حيث اضطرّ أبو الأمين إلى الخيار الأخير وذلك الاتصال بعبد الرؤوف المقيم في دبي منذ أربعة أعوام.

---

١. المرجع نفسه، ص ٨٤.

٢. المرجع نفسه، ص ٤٢.

٣. المرجع نفسه، ص ٩.

فإنّ الراوي يسرد هنا أحداثا تتعلق بعبد الرؤوف قبل تخرجه من معهد للكمبيوتر والتحاقه بأحد البنوك، يقول الراوي:

"بعد أسابيع طويلة أمضاها أبو الأمين في الفراش، كان لا بد له من أن يلجأ للخيار الأخير.

ذات ليلة، قال لمنار: أطلبي لي أخاك في دبي.

ترددت منار قليلا، فهي تعرف أنّ أخاها الذي سافر قبل شهر واحد من دخولها الجامعة، لم يعد لزيارتهم أبدا، وأن آخر شيء يمكن أن يفكر فيه هو أهله"[1].

***

"من معهد للكمبيوتر تخرج عبد الرؤوف، بعد التحاقه بأحد البنوك، وبعد عامين، أرسله البنك ليعمل في فرعه في مدينة دبي".

"أبو الأمين كان فخورا بابنه وهو يراه يحقق هذا النجاح، غير معتمد على أحد، لكن فرحته بولده طارت حين اكتشف أنه أكبر بخيل رآه في حياته، إذ عمل المستحيل، دائما، ليجد كل الذرائع التي لا تجعله يخرج فلسا واحدا من جيبه".[2]

***

"أطلبيه، حاولي مرة أخرى"

[1]. المرجع نفسه، ص ٥٢.

[2]. المرجع نفسه، ص ٥٢.

"حاولت ثلاث مرات دون جدوى؛ أكيد مشغول، وسيتصل بنا في وقت لاحق، فرقم هاتفنا سيظهر لديه".

"لكنه لم يتصل"[١]

هنا يتم التداخل بين هذين الحدثين المختلفين اللذين تمت الإشارة إليهما. فالحدث الأول يتعلق بمنار ووالدها أبي الأمين والوضع الحالي الصعب الذي تواجه هذه الأسرة بعد مرض أبي الأمين. قد تم سرده في الزمن الحاضر. أما الحدث الثاني فيتم استحضاره من الماضي ويتعلق بشؤون عبد الرؤوف مثل تخرجه من معهد الكمبيوتر وزواجه وسفره إلى دبي والعودة بعد ذلك إلى سرد الحدث الراهن بمنار وأبي الأمين.

يظهر أثر نسق التوازي في رواية شرفة العار كما يتجلى في قول الراوي:

"وفي البعيد هناك".

"كان أبو الأمين ينظر إلى ساعته بين صعقة ألم وأخرى، ثم يأخذ رأسه بين كفيه ويعتصره".

"أين ذهب زوجك؟! سأل نبيلة، التي نجحت أخيرا في التخلص من آلام مرارتها، بعد عملية جراحية دفع أبو الأمين تكاليفها"[٢].

***

"انسحبت السماء من فوق رأس منار تاركة رمادا جافا بحلكة ثقيلة.

[١]. المرجع نفسه، ص ٥٥.

[٢]. المرجع نفسه، ص ٣١.

تقدم عصام نحوها غير عابئ بشيء.

عليك أن تعودي الآن للبيت لن تتأخري أكثر مما تأخرت

ولكن أبي يمكن أن يأتي في أي لحظة

لو كان سيأتي لكان أتى، وبالطبع، ما كان يمكن أن ينسى

لم تكن منار بحاجة إلى أكثر من هذه الجملة. نظرت إلى الشارع الكبير الذي تعبره العربات، خاطفة بين حين وحين روح طالب أو طالبة وتقدمت بيأس كما لو أنها ستلقي بنفسها أمام أول عربة مسرعة"[١].

***

"وفي البعيد هناك،

سألته امرأته: وهل لديها ما يكفي من نقود لتستقل حافلة أو سيارة أجرة؟".

"وسيارة تاكسي لو أرادت؛ ولكنني أوصيتها: تحت كل الظروف لا تصعدي إلى سيارة تاكسي! فقد بت أعرفهم تماما هؤلاء السائقين الذي لا يتوانى بعضهم عن فعل أي شيء ما إن تُغلق فتاة باب السيارة وينطلقون بها!"[٢].

[١]. المرجع نفسه، ص ٣٢.

[٢]. المرجع نفسه، ص ٣٢-٣٣.

يتم سرد هذين الحدثين في آن واحد، ولكن يختلف مكان وقوعهما، ففي الوقت الذي يجري فيه الحدث الأول في البيت وشخصياته هم الأمّ والأب وزوجة الابن. أما الحدث الآخر فيجري في الجامعة حيث تتوقع "منار" والدها مع "عصام".

وقد اعتمد نصر الله في هذه الرواية على تضمين عنوان الصحفية مع علاقة بين الحدث الروائي والنص المركب، حيث يقول السارد:

"الصحف كلها نشرت الخبر! ألم تقرئيه؟!"

أي خبر ؟! سألت بفزع.

"خبر مقتل تغريد !، وناولتها الجريدة، وهي تضيف: كنا نعرف أن وقع مقتلها سيكون قاسيا عليك"

"تغريد الصغيرة تلقت تسع طعنات على عتبة الباب وهي تستغيث"[١]

وقد لجأ الروائي إلى تكرار وحدة سردية بأجمعها في موضعين مختلفين في الرواية، كما يبدو في الصفحات: ٩ و٧٥، ٢٢ - ٢٣ و٢٣٣ – ٢٣٤، ٣٩ و١٥٩، ٨٣ و١٠٦، ١٠٩ و١٦٧، ١٧١ و٢٢٨. يهدف هذا التكرار إلى استعادة لحظة روائية ويذكّر ذكرى والتأكيد على واقعة وهذا ما يدل على مهارة جليلة لدى الروائي.

يتجسد "المرويّ له غير الممسرح" و"المرويّ له الممسرح" في هذه الرواية. فالمروي له غير الممسرح لا يوجد له أثر ظاهر بارز في النص إلا أنه يظهر من سياق فعل الخطاب الذي يقوم به السارد أن هذا الخطاب يجب أن يكون موجها نحو شخص، كما هو الحال في قول الراوي: "في الغرفة الصغيرة

[١]. المرجع نفسه، ص ١٢٠-١٢١.

الضيقة، راح يحدّق في السقف، كان يدرك أنّ الدمعة مستقرة هناك في عينه اليمنى، وأنّها على وشك الانفجار، حبس أنفاسه، حاول أن يفكر في أي شيء، إلا أنه لم يستطع أن يبعد وجه منار عن مخيلته، كانت أمامه، بقميصها الأبيض وبنطالها الجينز، قابضة على رزمة من دفاترها وكتبها، تنتظر قدومه أمام تلك البوابة الواسعة"[١].

أما المروي له الممسرح فيظهر في صورة المروي له المشارك في الأحداث، كما يقول الراوي: "قال له المدير: أعرف أنّك تريدني أن أطردك، وسأفعل ما تريد، ولكني أعدك بأنك لن تعود ثانية إلى هذه المدرسة أو إلى سواها"[٢].

"ثم صاحت: نبيلة، نبيلة"[٣]

"سنرى آخرة الدلال هذا، يا أبو أمين...يا متعلم"[٤]

"يا أخي، أنت كبيرنا وأنا أحترمك، ولكن ألم تلاحظ بعد..."[٥]

إن الخطاب هنا موجه إلى نبيلة، وأمين، وأبي الأمين، والأخ، والمتعلم. وهؤلاء جميعا يمثلون مرويا لهم ممسرحا كما يشاركون كلهم في الحدث الروائي.

إنّ المكان في هذه الرواية يبدو على رتبة عالية من الأهمية الدلالية، حيث يقوم الروائي في بعض أجزاء الرواية بتقديم أوصاف للأمكنة الموجودة في نص الحكائي كما هو يصف في بداية الرواية وصفا دقيقا

---

١. المرجع نفسه، ص ١٧.

٢. المرجع نفسه، ص ١٤-١٥.

٣. المرجع نفسه، ص ١٧.

٤. المرجع نفسه، ص ٢٥.

٥. المرجع نفسه، ص ٢٦.

للجامعة التي هي مكان الدراسة للفتاة "منار"، المكان الذي كثيرا ما حلمت بالوصول إليه منذ أن كانت صغيرة، ذلك المكان يختلف تماما عن الحي الذي تعيش فيه، هذا ما يتجلى في هذه السطور: "شيئا فشيئا اختفت ملامح البؤس التي تجلل ذلك الحي الذي يسكنونه، ليحلّ مكانها بذخ لا يصدّق لعمارات شاهقة، وأبنية تجارية، وقصور صغيرة وفنادق. اختفت القنوات الصغيرة التي تتسلل من تحت أبواب البيوت، لتحلّ مكانها نوافير وجسور وأنفاق"[١]. قام الروائي في موضع آخر بتقديم وصف لتلك الغرفة التي جلست فيها "منار" وهي تتعرض للاستجواب، ذلك المكان هو الذي جعل "منار" تزداد ارتباكا وخوفا على حالتها، وهذا ما يبيّنه هذا المقطع: "في الغرفة الصغيرة الضيقة جلست منار أمام تلك الطاولة التي كُدّست فوقها عشرات الملفات، جلست ورأسها يوشك أن يلامس قدميها إحساس طاغ بالمذلة يطبق عليها"[٢].

جاءت الأمكنة في هذه الرواية كالآتي:

البيت: إنّ البيت في هذه الرواية يرتبط ارتباطا وثيقا بشخصية من شخصيات الرواية لا ينفرد بوصف أو تصوير مجمل، حيث شهد المكان الذي تسكن فيه عائلة "أبي الأمين" لسعادة كبيرة وفرحة والألفة، لكن بعد أن تم اغتصاب "منار" تحوّل ذلك البيت إلى قبر ضيّق يغمره الحزن والخوف الكبير، الذي انكسر فيه جميع الآمال والطموحات حيث يقول الروائي: "البيت الذي كان ضيقا، منذ أول يوم سكنوه فيه، ضاق أكثر، نظر أبو أمين حوله، فبدا مظلما كبئر"[٣].

الغرفة: تكتسب الغرفة في هذه الرواية أهميتها من خلال علاقتها بالإنسان، ويصوّر الراوي خصوصية الغرفة الموجودة في بيت "أبي الأمين" وذلك من خلال عرضه لأحداث عائلة "أبي الأمين"

---

[١]. المرجع نفسه، ص ٢٧.

[٢]. المرجع نفسه، ص ١٨٠.

[٣]. المرجع نفسه، ص ٤٤.

التي مرت بحياتهم في تلك الغرف. افتتح الراوي حديثه في الغرفة بفرحة عائلة بقدوم الفتاة الصغيرة "منار" ولحظة وقوفها على قدميها، وهذا ما يظهر في هذا النصّ: "حين استطاعت منار الوقوف على قدميها لأول مرة وكانت في وسط الغرفة الضيقة انحبست أنفاس الجميع"[١]، وكذلك يصوّر الراوي تصوير حالة شعور أسرة "أبي أمين" بمناسبة نجاحها وتفوّقها في دراستها، كانت تعم تلك الفرحة جميع أنحاء الغرفة والجميع مسرورون وخاصة أم أمين "كانت أم منار تتطاير في الغرفة كالفراشة فرحة بمناسبة نجاح منار"[٢].

غرفة أبي الأمين: لقد صوّر الروائي الحوار الذي دار بين أبي الأمين و"أمين" في هذه الغرفة حيث يوصي أبو الأمين بأخته لأمين كما يظهر في قول الراوي: "جلس أبو أمين في غرفته وأسند ظهره إلى الحائط ونظر إلى ابنه الذي كان قد تجاوز الثانية عشرة من عمره، وقال له: عليك أن تتذكر جيدا في المستقبل أن هذه الصغيرة اختارتك لتكون سندها وأنا فرح بهذا، إياك أن تنسى ذلك"[٣].

غرفة منار: يصف الراوي شخصية "منار" البريئة وهي تستقر في غرفتها وتحزن حزنا شديدا على والدها وتخاف عليه بما أنّه مقعد على كرسيه لا يتحرك، ولا تستطيع أن تقدم يد العون له، يقول الراوي: "استيقظت منار، تقدمت نحو باب غرفتها الصغيرة، الغرفة التي لا يتعدى حجمها حجم مطبخهم البائس، ووضعت أذنها على الباب، ترددت كثيرا قبل أن تشق الباب وتنظر للخارج، لكنها فعلتها أخيرا وبعين واحدة ممتلئة بالدمع، رأته هناك في العتمة يدور بجنون"[٤].

---

١. المرجع نفسه، ص ٣٩.

٢. المرجع نفسه، ص ٩.

٣. المرجع نفسه، ص ٤٠.

٤. المرجع نفسه، ص ٥٨.

يظهر من خلال المقاطع المقدمة، أن الراوي قد منح الهوية والكيان لجميع الغرف المذكورة سابقا، فمرة تشير إلى المكان الضيق الذي يمتلأ فيه الحزن ومرة تشير إلى المكان الواسع المليء بالسعادة، إنّ الغرفة مرآة تعكس صورة الشخصية.

الشرفة: إنّ الشرفة في هذه الرواية لم تكن بمثابة الراحة والاطمئنان ولكن على العكس فهي مصدر التوتر والقلق والحقد. يصوّر الراوي مدى الطعنات والإهانات التي واجهتها "منار" حتى من الشبابيك والشرفات، وهذا ما يظهر في قول الراوي: "نظرت منار في تلك الشبابيك والشرفات رأتها أفواها ضخمة دارت حول نفسها، وفي اللحظة التي أحست فيها بأنها ستسقط مغشيا عليها، اندفعت صوب البيت تجري كمجنونة"[١]، كذلك يقوم الراوي بتصوير الألم والحزن الذي يعاني منه " أنور " عند رجوعه وهو يرى راية العار التي نصبت ترفرف فوق باب بيتهم، حيث يقول الراوي: "من بعيد أبصر أنور الراية السوداء ترفرف فوق باب بيتهم تسمّر في مكانه، استدار، يريد أن يبتعد، خذلته قدماه، نظر حوله، أطلّت تلك الظلال، على الجانب الآخر للشارع، تملأ الشبابيك والشرفات"[٢]. إنّ الراوي لم يقم بتصوير دقيق للشرفات إلا أنّه قدم صورة جلية عن مدى الحزن والحسرة التي يواجهها "أنور" وهو يلاحظ تلك الشرفات والشبابيك مملوءة بالعار والكلام الفاحش على أخته "منار" وعائلته.

السجن: إنّ السجن يحمل كثيرا من الدلالات السلبية، هو مكان مغلق يعيش فيه مجرمون، مكان ضيق مكتظ، فيه الحياة مملّة ورتيبة، فقد احتلّ السجن مكانة مهمة في هذه الرواية، حيث ظهرت كمكان ضغط نفسي يؤجج إحساس الفتاة "منار" كما يقول الراوي: "بمجرد أن أشرع مرزوق الباب، وألقت منار نظرة قريبة على الموجودات في الزنزانة، أدركت أنّ الجحيم في انتظارها، تراجعت

[١]. المرجع نفسه، ص ١٦٦.

[٢]. المرجع نفسه، ص ١٧٤.

خطوتين، وبصعوبة وجدت صوتها..."[١]، ولما دخلت "منار" الزنزانة أحست أن كل شيء يبدو لها مظلما ومختلفا تماما عما كانت تعيشه من قبل، وقد تعرضت فيه للسخرية والإهانات من جهة السجينات.

المدرسة: هي معهد للتربية والتعليم، كانت "منار" تريد أن تعمل وتساعد العائلة حينما كانت عائلتها تواجه ظروفا قاسية وأوقات صعبة، بعد أن حصلت على الشهادة الجامعية تمكنت من الدخول إلى المدرسة كمشرفة اجتماعية، فأحست بالفرحة والسعادة وهي في وسط تلك المدرسة وتذكرت أيام طفولتها التي مرت بها، وشعرت أنّ أبواب الأمل قد فتحت أمامها، حيث يقول الراوي: "عملت منار في تلك المدرسة الإعدادية كمشرفة اجتماعية، فتح لها الكثير من أبواب الأمل وبدا العالم بالنسبة لها كما لو أنه اتسع فجأة"[٢]. وبعد أن حدث الاعتداء على شرفها، واجهت نظرة استهزاء من الناس وتغيرت حياتها ونظرتها نحو المدرسة، بعد ما كانت المدرسة موقع السرور والأمل الكبير، يقول الروائي: "وصلت منار المدرسة عبرت بابها، لم يكن هناك أي أثر للحياة، نظرت إلى ساعتها فوجئت بعقرب الثواني يدور، راقبته دارت معه، إلى ذلك الحد الذي أحست فيه بالدوار"[٣].

غرفة منارفي المدرسة: خصصت لمنار في المدرسة غرفة صغيرة باعتبارها مشرفة اجتماعية، يأتي إليها التلاميذ لمناقشة مشاكلهم النفسية وبصفتها مشرفة، فهي تساعد التلاميذ وتقدّم لهم التوجيهات اللازمة التي يحتاجون إليها. وقد أتت "تغريد" كثيرا من المرات إلى مكتب منار لأنّها تواجه كثيرا من المشاكل إثر الحادثة التي وقعت لها، يقول الراوي: "حضرت تغريد لغرفة منار وجلست بعينين جافيتين وبعد نصف دقيقة بدأت تتكلم دون توقف، شرحت لها كل شيء دفعة واحدة، كما لو أنّها تخشى أن تتراجع، كما لو أنّها تريد أن تتخلّص من ذلك السمّ الذي تجرّعته على مدى زمن طويل"[٤].

---

[١]. المرجع نفسه، ص ١٨٤.

[٢]. المرجع نفسه، ص ٩٤.

[٣]. المرجع نفسه، ص ١٢٠.

[٤]. المرجع نفسه، ص ٩٨.

المدينة: إنّ الوقائع التي حدثت في المدينة قليلة في هذه الرواية، ومعظمها وقع في بيت العائلة. وقد صوّر الروائي مدى السرور الذي يمتلأ في قلب "أمين" بمناسبة زواجه من "تمام" فهو يطوف في المدينة بسيارته، حيث يقول الراوي في هذا الصدد: "طاف أمين في المدينة طويلا في ذلك الموكب دون أن يفارقه خوفه من أن تتعطل السيارة"[١]، إلا أنّ سروره لم يدم طويلا، وذلك بسبب الحادثة التي وقعت لأخته "منار" يوم زفافه من يونس، منذ تلك اللحظة أصبح "أمين" يبحث عنه في كل أرجاء المدينة ولم يترك مكانا في المدينة إلا ويبحثه كالمجنون، وهذا ما يتجلى في قول الراوي: "دار ثانية، تعب، أوقف السيارة بجانب رصيف، ترجّل منها، لفحه هواء آخر الليل، نظر إلى المدينة، رآها ساكنة"[٢]. إنّ المدينة في هذه الرواية جاءت مرة تحمل مشاعر مليئة بالفرحة ومرة أخرى تغمرها الحزن والقلق الشديد.

الشارع: لقد ظهرت جمالية الشارع في هذه الرواية من خلال ارتباطه بمنظر جلي، وهذا ما يظهر في قول الروائي عن الفتاة "تمام" التي تخرج من طرف الشارع في ثوب جديد بمناسبة زواجها من "أمين" والسرور يغمر قلبها، فالشارع الذي يسكن فيه "أمين" يشهد للحظات جميلة: "من طرف الشارع خرجت تمام بثوبها الأبيض غناء النساء يحف بها ونظرات الجارات والأطفال الذين يطلون من النوافذ والشرفات المقابلة"[٣]. وكذلك يسلّط الروائي الضوء على شخصية "أمين" حين يسير في الشارع والناس يتكلمون عنه ويستهزئون به حيث إنّه تزوج من "تمام" وترك زوجته الأولى "نبيلة"، يقول الراوي: "بمجرد أن أصبح أمين في الشارع، وألقى نظرة على شبابيك وشرفات البيوت المقابلة، أدرك

[١]. المرجع نفسه، ص ٨٣.

[٢]. المرجع نفسه، ص ١٥٧.

[٣]. المرجع نفسه، ص ٧٩.

أن سرّه الذي لم يكن، تماما، في قاع بئر، قد غدا راية فوق سارية"[1]. ويبدو ممّا سبق أنّ الراوي لم يصوّر تصويرا دقيقا لشوارع المدينة في هذه الرواية.

الحوش: يتميز الحوش بالانفتاح والاتساع، ويقوم فيه الإنسان بقصد الترويح عن نفسه، إلا أنه فضاء يشعر بعض الشخصيات في مواقف معينة بالضيق والقلق والحزن والتوتر الكبير. وقد ورد "الحوش" في هذه الرواية في موقفي الفرحة والحزن.

ومن موقف الحزن في ذلك الحوش أوقات عصيبة التي مرت بزوجة أمين، أنّها خرجت إلى الحوش الصغير والحيرة تمزق قلبها حينما سمعت من "منار" عن الحادثة التي وقعت لها وقد بدت "تمام" منكسرة العواطف ومشوشة الذهن وهي ترى صورة منار والخوف والحزن يسيطر عليها، حيث يقول الراوي: "اختفت الغيوم، سطعت الشمس حارة بما يذكّر بشهري تموز وآب، خرجت تمام للحوش، نظرت إلى السماء، النجوم ساطعة، وقريبة على نحو لم تره من قبل، لكن الشيء الذي لم يغب عن بالها أبدا صورة منار وهي تعبر أمامها، خوفها الذي أطلّ من عينيها، ويداها المرتبكتان اللتان كانتا تشيران إلى الفضيحة وهما تحاولان إخفاءها"[2].

أما موقف الفرحة في ذلك الحوش فقد حدث حينما نال "أمين" على رخصة قيادة، عاد "أمين" إلى البيت فرحا جدا، خرجت عائلته إلى الحوش الصغير مسرورين بهذه المناسبة السعيدة، يقول الراوي: "دخل أمين بيت أهله، وقف في منتصف الحوش، نادي أعلى صوته: يا أهل الدار، وحينما أطلّوا كلهم في ذلك اليوم من شهر أيّار، قال لهم: مبروك عليكم، ها هي الرخصة العمومية أخيرا"[3].

---

[1]. المرجع نفسه، ص ٨٠.

[2]. المرجع نفسه، ص ١٥٠.

[3]. المرجع نفسه، ص ٧٣.

السوق: لم يظهر السوق في هذه الرواية بشكل مفصل، لأنّ الراوي لم يتناول بالوصف الدقيق له، إلا أنّه أتى ببعض الصفات التي تشير إليه وجعله على لسان شخصية "أم أمين " وهي تذهب إلى السوق البعيد من مكان سكنها حيث أسعاره منخفضة، فتقول أم أمين: "اهتديت لسوق شعبية، طالما سمعت عنها، صحيح أنها بعيدة بعض الشيء، لكن الفرق بين أسعار السوق حيّنا وبين أسعارها هو الضّعف على الأقلّ"[١].

الجامعة: إنّ الراوي يصف الجامعة بأنها المكان الذي تدرس فيه "منار"، حيث تلتقي فيها زميلها "عصام" الذي كان يتبادل معها مشاعر الصداقة والمحبة ويريد دائما أن يقضي معها لحظات، وهما في الجامعة يتسللان الممرات الطويلة والمباني، حيث يقول الراوي في هذا الصدد: "جلس عصام ومنار في تلك المساحة الشاسعة التي توفّرها لهما الجامعة، بأسوارها وأشجارها ومبانيها والممرات الطويلة بين القاعات، والظلال الملقاة على الأرصفة في انتظار من يُبدد وحدتها والعصافير التي تتقافز قرب قدميهما كما لو أنها عصافيرهما الخاصة"[٢].

كانت منار ترى "عصام" في كل أرجاء الجامعة، وتحزن إذا مرّ يوم ولم تره، تبحث عنه، كانت تترقبه وتنتظره دائما في الجامعة، يقول الراوي: "ظهيرة الثلاثاء، وقفت منار أمام بوابة الجامعة تنتظر، وحين التفتت وجدته هناك، عصام، ينظر إليها بعينين خجولتين"[٣]. وقد حصلت "منار" على الشهادة الجامعية بدرجة عالية وحققت حلم والدها الذي كان يطمع دائما في دراستها ونجاحها.

[١]. المرجع نفسه، ص ٤٧.

[٢]. المرجع نفسه، ص ٣١.

[٣]. المرجع نفسه، ص ٢٩.

أمّا بنية الزمان في هذه الرواية كالآتي:

الاسترجاع: إنّ الراوي في هذه الرواية قام بالعودة بذاكرته إلى الماضي ويسترجع ماضي شخصية، وهذا ما يظهر في قول الراوي: "كانت تمام المرأة المطلقة واحدة من أكبر مشاكل الحي أما فيض دلالها وجرأتها هو ما جعلها محط أنظار الجميع"[١]، لقد ذكر الراوي هذه الشخصية وتفاعلها الشخصيات والأدوار التي قامت بها في تحريكها للأحداث إلا أنه استذكر تلك الشخصية في لحظة وكان يعرف بها. كذلك يصور الراوي ذلك اليوم الذي التحقت فيه "منار" بالمدرسة وعملها فيها كمشرفة اجتماعية، مما جعلها تسترجع أيام طفولتها وكانت في بيتها كالسلحفاة في درعها، تلقت "منار" فيه الحب والحماية والحنان، حيث يقول الراوي: "راحت منار تسترجع أيام حياتها، فاكتشفت أنها عاشت كما تعيش أي سلحفاة، هنالك درع يحميها، أحيانا بالحب، وأحيانا بالحرص الزائد؛ ولم يكن أمامها من حرية متاحة سوى أن تخرج رأسها من الدّرع وتنظر إلى العالم لبرهة ثمّ تعود وتخفيه"[٢].

ويظهر من خلال ما سبق أنّ الراوي قد استخدم تقنية الاسترجاع في بنية السرد لهذه الرواية.

الاستباق: إنّ الراوي قام في هذه الرواية بإيراد حدث آت والإشارة إليه مسبقا، كما يظهر في هذا المقطع: "هذه البنت ستتعلم، وستنجح، وسأرفع رأسي بها"[٣]. وقد جاءت هذه التقنية عند ذكر شخصية "أبي الأمين" الذي كان دائما يرى في ابنته "منار" أنّها ستتخرج من الجامعة وتنجح وتحقق مستقبلها وبذلك يدلّ هذا المقطع على استشراف بما أنّه يصور حدثا مستقبليا.

---

[١]. المرجع نفسه، ص ١٣.

[٢]. المرجع نفسه، ص ٩٤.

[٣]. المرجع نفسه، ص ١٠.

وكذلك صور السارد حوارا داخليا أجراه "عصام" مع نفسه وهو يستشرف الأحداث حينما يجلس مع "منار"، حيث يقول السارد: "كثيرا ما تمنى عصام أن يمضي بها إلى مقهى خارج السور الجامعي، يجلسان هناك، ويتناولان كوبي عصير؛ أو أن يمضي بها أبعد من ذلك، إلى متنزه المتحف الوطني، ثم يسيران جنبا إلى جنب في الشوارع الخليفة إلى أن يصلا (دوّار الشمس) ويجلسا في اسمه الجميل! ثم يهبطا ذلك الدّرج الطويل المؤدي لقلب العاصمة، وعند الدّرجة الأخيرة ينعطف كل منهما في اتجاه مختلف!"[١]. ويبدو من خلال ما سبق أن السارد استخدم تقنية الاستباق في بنية السرد في هذه الرواية.

الخلاصة: وقد جاءت تقنية الخلاصة في هذه الرواية بما أن السارد قام بجمع السنوات برمتها في سطرين، كما يوجد في هذا المقطع: "من معهد للكمبيوتر تخرج عبد الرؤوف، بعد التحاقه بأحد البنوك، وبعد عامين أرسله البنك ليعمل في فرعه في مدينة دبي"[٢]، يتحدث السارد هنا عن المراحل التي مرت في حياة "عبد الرؤوف" ما بين الدراسة والعمل واختزلها وأتى بها في سطرين.

الحذف: إنّ السارد قام بإسقاط فترة قصيرة وطويلة من زمن القصة وعدم التناول بما حدث في تلك الفترة من أحداث ووقائع، كما في هذا القول: "أربعة أشهر مرت على يونس سائقا للسوبارو"[٣]. وقد أعلن السارد عن الفترة التي عمل فيها "يونس" كسائق عند عائلة أبي الأمين وهي أربعة أشهر، ولكن أسقط السارد ذكر التفاصيل لأحداث جرت في تلك الأشهر واكتفى بإخبار المدة الزمنية.

وكذلك ما جاء في الحوار الذي دار بين "نبيلة" و"أبي الأمين":

"أين ذهب زوجك؟ سأل نبيلة"

أمين! خرج قبل ساعتين"![٤]

---

[١]. المرجع نفسه، ص ٣٠.

[٢]. المرجع نفسه، ص ٥٢.

[٣]. المرجع نفسه، ص ٧١.

[٤]. المرجع نفسه، ص ٣١.

وقد أخبر السارد عن الوقت الذي خرج فيه "أمين" وذلك قبل ساعتين، وأسقط تفاصيل الوقائع التي حدثت في ذلك الوقت.

المشهد: يحتل المشهد مكانا مرموقا ضمن الحركة الزمنية في هذه الرواية، لأنه تعبير مباشر ونقل للوقائع. ومن المشاهد الحوارية التي جاءت في هذه الرواية ما دار بين "يونس" وأبي الأمين" من الحوار:

"صباح الخير. أنا يونس، السائق الذي حدثك عنه العم أحمد".

"أهلا وسهلا. تفضل"

"من الأفضل أن نبدأ، لأنّ أمامي عملا طويلا" وأشار للسّوبارو القابعة في مكانها

يونس: "هل كنتم تديرون المحرك باستمرار؟"

أبو أمين: "كل يومين تقريبا"

يونس: "هكذا لا يبقى عليّ سوى أن أجد حلا لمسألة عجلاتها المفرغة من الهواء"

"وصمت قليلا هل هناك مشكلات في السيارة يجب أن أعرفها؟"

أبو أمين: "لم تكن تعاني من شيء حين أوقفتها في المرة الأخيرة!"[١].

فالسارد يقدم هذا المشهد ويصور هذا الحوار سبب اختلافهما في قضية السيارة.

الوقفة: يقتضي الوصف عادة توقفا في السيرورة الزمنية لأنه خطاب لا يشتغل أي جزء من زمن الحكاية، وبذلك جاءت الأوصاف في هذه الرواية على لسان الراوي في رسم الملامح الخارجية للشخصيات، كما يصف السارد عن شخصية "عصام": "أضخم طالب في الجامعة كلها كان عصام، طويلا عريضا، بدأ شعره بالتساقط في السنة الجامعية الأولى، لكنه استقر عند كثافة لم تكن كافية

[١]. المرجع نفسه، ص ٥٩.

لإخفاء جلد رأسه ولا تلك الندوب التي تذكر بجروح قديمة، للوهلة الأولى، يبدو كحارس شخصي متجهم على الدوام"[1].

إنّ الروائي الشهير إبراهيم نصر الله استخدم في هذه الرواية تقنية التمازج بالزمن، لعبت هذه التقنية دورا بارزا في رسم وتقديم عالمه الروائي الخاص، استعمل الروائي تقنية المشاهد بكثرة في هذه الرواية ولم يستعمل مزيدا من تقنية الاسترجاع والاستباق، كما لم يكثر تقنية الحذف والخلاصة، أما تقنية الوقفة فهي قليلة.

[1]. المرجع نفسه، ص ٣٠.

الفصل الخامس: الرواية *شرفة الهاوية*

المبحث الأول: تعريف بالرواية

المبحث الثاني: ملخص الرواية

المبحث الثالث: الشخصيات في الرواية

المبحث الرابع: تقنيات السرد في الرواية

الفصل الخامس: الرواية *شرفة الهاوية*

المبحث الأول: تعريف بالرواية

إن الروائي إبراهيم نصر الله أصدر روايته شرفة الهاوية سنة ٢٠١٣، وهي تعد الرواية الرابعة ضمن مشروع الشرفات، ودخلت في القائمة الطويلة للجائزة العالمية للرواية العربية لعام ٢٠١٤. فعنوان هذه الرواية مركّب من كلمتين: الشرفة والهاوية، أما كلمة "الهاوية" فهي تشير إلى الحفرة التي سقطت فيها الشخصيات الرئيسية من حيث هاوية الخيانة العميقة وهاوية السلطة القذرة وهاوية الاستسلام العفونة. تدور الرواية حول تأثير الفساد في تصرفات الأفراد ومواقفهم من القضايا الاجتماعية والانسانية من خلال شخصيات ثلاث منقسمة: وزير متنفذ، وأستاذ جامعي، ومحامية، "حيث المتنفذ لا يتقن شيئا مثلما يتقن انتهاك الأوطان، والأستاذ الجامعي لا يتقن شيئا مثلما يتقن التحرّش بطالباته، والمحامية لا تتقن شيئا مثلما تتقن افتقادها لتحقيق العدالة لنفسها. تتحرك أحداث الرواية في مدى زمني يمتد عشرين عاما ما قبل الثورات العربية، حتى لحظة الانفجار الكبير"[١].

المبحث الثاني: ملخص الرواية

رحلت "نهى راضي" ابنة أسرة ميسورة من الرّياض إلى عمّان لاستكمال تعليمها الجامعي، وقد سمعت عن الأستاذ الدكتور كريم الملقّب بأمير الجامعة في سنتها الأولى في الجامعة، وفي السنة الثالثة، استأذنته نهى راضي ليسمح لها بحضور واحدة من محاضراته القيمة، وهذا ما يهيّئ لها الفرصة للتعرف عليه، وسمح لها بالحضور، ثم اختارته أستاذا لها في العام القادم. وكان الأستاذ كريم شديد الاهتمام بها طوال محاضراته. وفي أثناء أوّل امتحان الجامعة دسّ الأستاذ تحت ورقة امتحانها ورقة

[١] . الغلاف الخلفي للرواية.

صغيرة مكتوب عليها رقم هاتفه، فلم تتصل به، وعند إعلان النتائج نالت أسوأ علامة منذ أن كانت في الصف الأول في المدرسة الإعدادية. حاول مرّة أخرى ليدسّ رقمه تحت ورقة امتحانها ولكن بدون جدوى، وتعرفت "نهى راضي" في هذا الفصل على صديقة اسمها "ردينة" فتوطدت صداقتهما وتبادلتا الزيارات.

ولمّا سمعت نهى تفاصيل علاقات الدكتور كريم بطالباته حتى أنه يغلق أبواب المكتب عليهم، أصبحت أكثر حذرة منه منذ ذلك اليوم، بذلت نهى قصارى جهدها في قراءة ومطالعة كل الكتب في مكتبة لكي تردّ الجواب على الدكتور كريم وتثبت نفسها أمامه بآرائها ولكن رغم هذا أعادت المادّة بسبب خداعه. وفي يوم من الأيام، استدعى الدكتور كريم "نهى" إلى مكتبه وكان في ذلك الوقت يتصل فيه بأحمد سائق سلمان عبر الهاتف الأرضي، فقالت للدكتور كريم بسرعة بديهية: "كنت تتحدث مع أحمد سائق خالي سلمان؟" فتغيرت ملامح وجهه، وبعد أن خرجت "نهى"، غيّر الدكتور علامتها في الامتحان لتكون ناجحة ثمّ أتت "نهى" الى بيت صديقتها "ردينة" وشرحت لها كل ما حدث، وحينئذ وجدت سلمان في بيت صديقتها وقصت عليه ما جرى مع الدكتور كريم فقال: "الحقير، كان يمكن أن يتحرّش بابنتي!".

وقد طُرد الدكتور كريم من الجامعة إثر الفضيحة التي تعرّض لها مع "نهى" وأصبح عاطلا عن العمل فلم تقبل به أي جامعة بسبب تحرشه بالطالبات. وفي إحدى السهرات لمحه سلمان بيك وهو يتحدث مع امرأة جميلة فسأل عنه لمدير مكتبه فردّ باستغراب: "أنت لا تعرفه سلمان بيك؟! أنه الدكتور الذي أمرت بطرده من الجامعة وأنه زير نساء الأول في البلد وأن لديه حكايات كثيرة" فقال سلمان بيك: "اذهب واحصل على رقم هاتفه. أريد تقريرا عنه الليلة".

وفي اليوم التالي استدعاه سلمان بيك إلى مكتبه، وأعلمه بأنّه سيعيده إلى الجامعة من جديد، بشرط أن يكتب له حكايات مغامراته مع النساء، وهذا لكي يستفيد منها سلمان بيك أمام أصحابه في سهراتهم ويسندها إليه كأنّه هو الذي عاصرها، فأعدّ له مكتب لكتابة الحكايات في جبل اللوبيد وأمره بإرسال الحكاية الأولى بعد أسبوع واحد.

وإنّ أبرز الشخصية النسوية في الرواية هي "ديانا" المحامية التي أتى إليها كثيرون لخطبتها ولكنّها لم تهتمّ بفكرة الزفاف بعد أن عاشت قصة حب مع أحد أصدقائها، فلما جاء سلمان بيك لخطبتها أعجبت بفصاحته وبحديثه بثقة وبمبدئية، فتزوّجا ثم قاما بتأسيس مكتب محاماة مشترك، بعد انتقاله إلى وظيفته الجديدة كمحقق ووعده رئيس الدائرة الذي عرض هذا العمل عليه بأنه سيتم تعيينه وزيرا بعد هذا العمل، حتى يمكن أن يصبح رئيس الوزراء للدولة مع الأيام. ولما انتهى من مهامه الذي دام عامين عُيّن سلمان وزيرا، واستغلّ منصبه لاختلاس أموال الدولة وبعدها قرّر لحلّ الشراكة تجمعه مع زوجته في المكتب، حينئذ أخذ كل الأشياء من المكتب حتى أدوات التنظيف والمطبخ، فدهشت زوجته ديانا وقرّرت أن تطلب الطلاق من زوجها سلمان، تتراجع ديانا كل مرة عن قرارها وتعجز عن دفاع نفسها أمامه.

وقد بدأ الأستاذ كريم كتابة حكايته الأولى لسلمان بيك والتي جرت معظم أحداثها في تونس وتذكّر أثناء كتابته عن زوجته الحبيبة التي ماتت أثناء ولادتها لولده والذي اعتبره الطبيب ميّتا. واجهت ديانا كثيرا من المشاكل من قبل سلمان بسبب أنانيته وتصرفاته، ثم عزمت على فصل غرفتهما لينام كل واحد منهما على غرفته الخاصة. وفي يوم من الأيام حاول سلمان بيك أن يستجمع ذكرياته ليرويها أمام مجموعة السبعة الكبار في السهرة بدل سرد مغامرات نسائية ليست له، لم يجد في ذاكرته في تلك اللحظة إلا ما عاتبت به أمّه في أيام طفولته حينما وجدت الدماء كلما غسلت ثيابه. ولم تكن

ذكرياته ذات أهمية وجذابة ولذلك كان تعرّض للسخرية أمام ضيوفه فأصبح يبرر فعلته بسرد حكايات الأستاذ كريم.

وفي سهرة تلك الليلة، كان سلمان مسرورا وسعيدا جدّا بما أنّه قام بإلقاء حكاية الأستاذ كريم أمام ضيوفه وتدور أحداث هذه الحكاية في تونس، وفي سهرة أخرى قام بسرد حكاية أخرى على حضور الأستاذ كريم نفسه بدلا منه والتي تقول عن طالبة من أب عربي وأم فرنسية وهكذا كل سهرة مرّت بحكاية مغامراتية.

وفي أثناء ذلك، كادت أن تنفك عقدة الزواج بين سلمان وديانا بحيث جاء إليها سلمان بملف سُجّل فيها كل كبير وصغير من المشتريات منذ وقت الخطوبة إلى ذلك اليوم، فتحيرت من هول المفاجأة فخلعت خاتم الزواج ولم تسمح له أن يقترب منها بعد تلك الحادثة. وفي أحد الأيام أرادت هي وزميلتها "فيروز" للحضور في إحدى الحفلات التكريمية فتعرفتا على الأستاذ كريم وتعجبتا بفصاحته وبلاغته ثم أصبحت هي تلتقي معه كلما تتسنى لها الفرصة للقاء معه، وفي يوم من الأيام فوجئت ديانا بأنه يعمل في الجامعة التي يملكها زوجها سلمان، ثم أدركت علاقته مع سلمان حيث إنه يرسل إلى سلمان حكاياته المغامراتية مع نساء، فبعد أن تحققت، علمت أنّ زوجها سلمان يقوم بسردها أمام أصدقائه كما أنّه عايش أحداث هذه الحكايات. فطلبت ديانا من الأستاذ كريم أن ينشر هذه الحكايات. وهو بدوره يطلب منها الزواج فرفضت ثم يختفي منها ومن زوجه سلمان.

ولما عاد الأستاذ كريم الى الجامعة من جديد بعد أن طُرد منها التقى بإحدى الطالبات، فظنّ بادئ الأمر أنّها "نهى" لفرط جمالها ولم يقترب منها وتجنّبها مخافة أن يقع في مصيبة كما حدث مع "نهى".

ذات يوم، اتصل سلمان بيك بالأستاذ كريم غاضبا وذلك أنه أرسل إليه حكاية الأفلام التي شاهدها بدل أن يكتب له حكايات خاصة به، بعد أن قام سلمان بإلقائها تعرّف أصدقائه عليها فنصحه

أحدهم بعدم تكرر هذا النوع من الحكاية، فاستشاط غضبا على الأستاذ كريم فعرف كريم أنّه سيتم طرده من الجامعة من جديد لا محالة من ذلك، فقرّر أن يكمّل حكايته مع الطالبة سامية وكانت تنتظره في غرفة الفندق، حينما أتى إليها ولم يتوقع أن يجتمع معها رفقة زملائها الطلبة في تلك الغرفة، فخرّ على الأرض صاعقا، لمّا أفاق وهو كان فوق سرير المستشفى.

وأرسل الأستاذ كريم بعدها إلى سلمان حكاية بعنوان "صاحبة الكورولا السوداء" عبر ايميل فصدم سلمان أنّها حكاية زوجته ديانا. وقد انعقد حفل توقيع كتاب الأستاذ كريم الذي تحمل بين طياته مغامراته وحكاياته، وتم نشره بنصيحة من ديانا، التي لم تحضر الحفل واكتفى بإرسال بطاقة تهنئة وباقة ورد. خرج الأستاذ كريم إلى سيارته ليضع هذه البطاقة والباقة فيها، فتقدم إليه رجل طالبا منه توقيع نسخة الكتاب ثم طعنه طعنتين فقُتل.

أما عن سلمان فقد اقترحه مدير مكتبه أن يسرد لسبعة كبار آخرين حكاية ممتعة جديدة عن تاريخ الوطن والصبر والبطولات، فكان سلمان سعيدا بتلك الفكرة وظهرت على وجهه ابتسامة وقرّر أن يستفيد من حكاية شخص آخر لكي يطبق صيته وسط أناس الدولة.

المبحث الثالث: الشخصيات في الرواية

تنتمي الشخصيات الرئيسية التي وردت في هذه الرواية إلى قطاعين بارزين في المجتمع، هما قطاع التعليم العالي وقطاع المحاماة ومن الشخصيات الرئيسية في الرواية:

سلمان بيك: تعتبر هذه الشخصية أكثر الشخصيات حضورا في هذه الرواية إلى جانب شخصيتين رئيسيتين الدكتور كريم والمحامية ديانا. إنّ هذه الشخصية سلمان بيك صاحب السلطة ويستغلّ نفوذه كوزير لينهب كل ما يريده، يمضي مناضلا ويسعى لطموحه الشخصي ويملك "قوّة جبارة تفوق

قوّة أي مخلوق على هذه الأرض"[١]، وكان سلمان محاميا قبل أن أصبح وزيرا، وقد استغلّ سلمان موهبة الأستاذ الجامعي الدكتور كريم فيطلب منه أن يكتب له حكاياته ومغامراته والقصص العاطفية لينسبها إليه والتي تفاخر بها سلمان أمام أصدقائه في السهرة.

لقد تجمعت في شخصية سلمان سمات الرذيلة بأشكالها المختلفة، فهو الغنيّ البخيل "حيث كان مهووسا بحجم ثروته، وتزايدها، بحيث يمكن القول إنّه قد تحوّل كلّه إلى حاسبة إلكترونية عملاقة"[٢] والزوج التاجر والنقابيّ المخادع والأب النذل والمسؤول الانتهازيّ والوزير المزوّر والفاسق الذي لا يشرب الخمر، حيث يقول: "كل الأشياء يمكن أن أعتبرها مقبولة بل حلالا، باستثناء الخمور، إنني أعتبرها الشيء الوحيد المحرم"[٣] ويقول في موضع آخر: "كل الأشياء يمكن أن تكون مقبولة، بل حلالا بالنسبة إليّ، إلا الكذب!"[٤].

إنّه "رجل معطوب في إنسانيته، يقيم في رأسه ديكتاتور شرس له أن يَسأل ويُجاب، وألاّ يُجيب عندما يُسأل. متعدّد الوجوه، ولكل وجه قناع، ولكلّ قناع مواصفات"[٥].

الدكتور كريم: الشخصية المحورية الثانية، أستاذ في الجامعة الخاصة التي يملكها سلمان بيك، الأرمل الذي لم يتزوج بعد الزوجة الأولى، المتربص للفتيات والعاشق لعديد من الفتيات الجميلات، وقد ظل يسقط من بداية الرواية حتى نهايتها. و"تقوم تجاربه مع المرأة على الخداع، ويستغل مهنته كأستاذ جامعي، لاستدراج الطالبات إلى سريره وابتزازهن عن طريق علامة النجاح. كما أنه يوظف

---

[١]. إبراهيم نصر الله، *شرفة الهاوية*، ط٥ (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون،٢٠١٩)، ص ٢٤.

[٢]. المرجع نفسه، ص ١٤٨.

[٣]. المرجع نفسه، ص ٤٦.

[٤]. المرجع نفسه، ص ٢٥٢.

[٥]. د. محمد عبد القادر، "إبراهيم نصر الله في (شرفة الهاوية): مرارة الواقع في مرايا فاوست"، ١١ نوفمبر ٢٠١٣، تاريخ الاطلاع ١١ يونيو ٢٠٢٤، https://www.alquds.co.uk/.

معارفه الفكرية والنظرية في إدهاش النساء، ولفت انتباههن إليه"[١]، و"إن لديه قدرة غريبة مع النساء، يمكن أن يحوّل ابتسامات امرأة متّزنة إلى قهقهات تبتلع أصوات خمسمائة مدعوّ! إنه زير النساء الأول في البلد!"[٢].

وقد طُرد من وظيفته الجامعية إثر الفضيحة التي تعرض لها مع "نهى"، حيث يقول الراوي: "تلك العلاقات أوشكت أن تدمّر حياته الأكاديمية مبكرا، إذ تعلقت به إحدى الطالبات، وكان يلتقيها في مكتبه، بل ويغلق المكتب عليهما غير عابئ بشيء، وحين جاءت ذات يوم، ووجدت المكتب مغلقا، جنّت، فبدأت تطرق الباب بهستيريها"[٣].

ولما راجع سلمان ملفّ الدكتور كريم "وجمع المعلومات عن شخصيته وعلاقاته الاجتماعية، خاصة مع النساء، تتفتق في ذهنه فكرة استخدام قصص حياة كريم الصاخبة مع الجنس الآخر، لتكون قصصا ينتحلها لنفسه، كي يتباهى بها أمام مجالس الرجال من الطبقة الغنية والنافذة، فبعد مساومة مع كريم قامت على التهديد الناعم والسافر أيضا، يقبل كريم العودة إلى الوظيفة المعلنة، وهي أستاذ في الجامعة، وبالوظيفة الثانية الأهم: أن يبيع تجاربه وقصصه ومغامراته وذاكرته لسلمان بيك"[٤] حيث يقول الدكتور كريم في هذا الصدد: "بهذا أكون قد بعته حياتي!".

المحامية ديانا: الشخصية النسوية الأهمّ في الرواية، أسماها والدها ديانا "على اسم إلهة القمر والصيد والغابات عند الرومان القدماء!"[٥]، وهي زوجة سلمان بيك ذات الجمال الباذخ "تبدو

---

[١] . مصطفى الولي، "شرفة الهاوية" تخلع الأقنعة عن وجوه المجتمع العربي"، *العرب*، ١١ أكتوبر ٢٠١٤، تاريخ الاطلاع ١١يونيو ٢٠٢٤، https://alarab.co.uk/.

[٢] . إبراهيم نصر الله، *شرفة الهاوية*، ص ١٩.

[٣] . المرجع نفسه، ص ٥٤.

[٤] . مصطفى الولي، "شرفة الهاوية" تخلع الأقنعة عن وجوه المجتمع العربي".

[٥] . إبراهيم نصر الله، *شرفة الهاوية*، ص ١٦٥.

ممشوقة بصورة مذهلة، وفي عينيها دفء غريب، وفي لمسة يدها من الدفء ما يكفي لإحياء ميت في القطب الشمالي! أنف دقيق، وعينان عسليّتان واسعتان عميقتان، وشعر طويل يغطي نهديها النافرين، ووجه صغير أقرب ما يكون إلى وجه فتاة لم تبلغ العشرين، وسمرة مشتقة من قهوة نحاسية لا من الليل!"[١]، وكان سلمان يتباهى بها أمام الناس باعتبارها مكمّلة للتزيين الشخصي لرجل الأعمال الشهير وللمسؤول الكبير، وهي محامية فائقة "تربح كل قضية تتولاها ولكن تخسر قضيتها الخاصة كل يوم"[٢].

وأوّل ما اكتشفته في سلمان هو بخله رغم ثرواته الطائلة حيث تقول ديانا: "صعقت حين وجدت أنه سجّل فيه نوع واسم كل هدية قدّمها إليّ، وثمنها منذ أن تزوجنا! بدءا من هدايا الخطوبة"[٣]، و"كان حريصا على أن يأتي قبل وصول الموكّل، يناقش معه قضيته، وأتعابه، المقدَّم، والدفعات!، وما إن يخرج الموكل، بعد أن يدفع للسكرتيرة، يناديها سلمان ويستلم المبلغ منها، ويخرج"[٤]، وكذلك "كان سلمان مهووسا بحجم ثروته، وتزايدها، بحيث يمكن القول إنه قد تحوّل كلّه إلى حاسبة إلكترونية عملاقة"[٥].

أما ديانا فهي "من الناحية الفنية، الحلقة التي ستربط بين فساد سلمان وفساد كريم بعد أن تعرّفت إلى الثاني الذي حوّل علاقته بها إلى قصة غرامية. لقد وصل السيف إلى الرقبة هذه المرة. في المرّة الأولى

---

[١]. المرجع نفسه، ص ٢٠٥.

[٢]. المرجع نفسه، ص ١٦٨.

[٣]. المرجع نفسه، ص١٧١-١٧٢.

[٤]. المرجع نفسه، ص ١٠١.

[٥]. المرجع نفسه، ص ١٤٨.

طرد سلمان الدكتور كريم من جامعته خشية على ابنته أولا، وها هو في هذه المرة قد تجاوز كل الحدود فوصل إلى زوجته، فكان لا بدّ من طعنه"[١].

الشخصيات الثانوية:

الطالبة نهى: إنّ شخصية "نهى" الطالبة المجتهدة المتفوّقة التي يتم طرد الدكتور كريم من الجامعة بسببها، لمّا قاومت ضدّ محاولات إغواء الدكتور كريم والسيطرة عليها، منعها من حقّها في النجاح، وفي نهاية المطاف تغلبت عليه بذكائها وبدهائها وذلك عندما أبلغته أنّ سلمان بيك خالها: "كنت تتحدث مع أحمد سائق خالي سلمان؟!...ألا تعرف أنه خالي! كنت اعتقد أنك تعرف..."[٢]، وقد استطاعت "نهى" أن تجعل الدكتور كريم فريسة سهلة بهذه الكلمات فهو يتذكر "بأنها مثل أي غزالة ابتعدت كثيرا عن قطيعها، وأصبح التهامها سهلا!، لكنها استطاعت أن تلتهم ذلك النّمر أو الضّبع الذي يفكر في التهامها، نجحت أن تلتهمني، تلتهم هذا الكهل مرتين، مرة أمام الطلبة بذكائها المفرط، ومرة بدهائها حين جعلتني أركض بنفسي للوقوع في فخ سلمان بيك. داهية!"[٣].

سهاد: إنّها "سكرتيرة عميد الكلية، بشوشة وسعيدة، كانت في أوائل الأربعينات من عمرها، أنيقة دائما ومبتسمة. لم تكن خارقة الجمال، أعلى من المتوسط، مرحة"[٤] وكانت تحبّ أن تتزوج الدكتور كريم ولكنها لم تصارحه بذلك أبدا.

أحمد سائق سلمان بيك: هو "إنسان طيب فعلا، وهو ابن شهيد سقط على أرض فلسطين، أحمد لا يريد سوى أن يعمل ويطعم أبناءه، وهو سائق جيّد، والأهم، ملتزم بالمواعيد، ولا يحب الكلام!، وان

[١] . د. محمد عبد القادر، "إبراهيم نصر الله في (شرفة الهاوية): مرارة الواقع في مرايا فاوست".

[٢] . إبراهيم نصر الله، *شرفة الهاوية*، ص ٩١.

[٣] . المرجع نفسه، ص ٢٠٧.

[٤] . المرجع نفسه، ص٨٣-٨٤.

كان يعاني من نقص واحد، هو رغبته الدائمة في سماع نشرات الأخبار!، وهو رجل نحيل في الخمسين من عمره، بعينين واسعتين ووجه أشبه ما يكون بعلامة سؤال كبيرة"[١].

ردينة: هي صديقة "نهى" في الجامعة وابنة سلمان بيك، تسكن في شقة صغيرة متواضعة مع أمها "نورة" وأخيها الوحيد خالد. "كانت تحضرها إلى الجامعة في مواعيد دقيقة سيارة مرسيدس سوداء وتعود بها"[٢].

نورة أم ردينة: هي الزوجة الأولى لسلمان بيك، أمّ ردينة وخالد، وهي ابنة خالته مريم حيث تصفها "نهى" صديقة نورة: "كانت أمها - تعني ردينة- بحجمها الصغير، وعينيها المضيئتين وبشرتها المائلة إلى البياض أشبه بلعبة، ولو لم تقل ردينة، حين دخلنا: أعرّفك بأمي! لما خطر ببالي أنها أمها فعلا!"[٣].

الطالبة سامية: طالبة أخرى في الجامعة، عدّها الدكتور كريم شبيهة بنهى، كتب عنها حكاية مغامراتية ليرضي بها سلمان بيك، حيث يقول الدكتور كريم: "لتكن سامية آخر مغامراتك الجامعية؛ انهل منها حتى الارتواء، حتى النهاية، حتى القرف! كما فعل زوربا في رواية كازنتزاكي حين التهم تلك الكمية الهائلة من الكرز، الكرز الذي طالما اشتهاه"[٤]، لكن في نهاية المطاف يقع في الفخ الذي نصبته سامية في غرفة الفندق فيخرّ على الأرض صاعقا.

مدير مكتب سلمان: هو موظف عند سلمان ومكلّف بتنظيم شؤون سلمان بيك، ويصفه سلمان بقوله: "طويل بشاربين أسودين كثين، ووجه مدبب كحافة مسطرة معدنية، ونظرات دوّارة تحاول استكشاف كل ما حوله في اللحظة ذاتها"[٥].

---

[١]. المرجع نفسه، ص ١١٣-١١٤.

[٢]. المرجع نفسه، ص٥١-٥٢.

[٣]. المرجع نفسه، ص ٥٢.

[٤]. المرجع نفسه، ص ٢٦٢.

[٥]. المرجع نفسه، ص ٤٢-٤٣.

فيروز صديقة ديانا: كانت صديقة مخلصة ومثالية لديانا حيث تلجأ إليها في كل أمورها وتدلي فيروز بنصيحتها في حلّ مشاكلها.

المبحث الرابع: تقنيات السرد في الرواية

يقوم معمار رواية شرفة الهاوية على أربعة أقسام رئيسة، تتفرع من كل قسم عناوين فرعية ذات علاقة بتنامي الأحداث، قد اهتمّ الروائي بالتدوير الزمني في بعديه الدلالي والإيقاعي في البناء الروائي، فالمشهد الأول الذي تبدأ فيه الرواية، هو نفسه المشهد الذي يختتم به الحدث الروائي (الصفحات ٩،١٠ هي نفسها الصفحات٣٢٢ و٣٢٣)، وذلك مشهد حفل توقيع كتاب غراميات الدكتور كريم. بعد خروج الدكتور من قاعة المكتبة، متوجّها إلى سيارته فتقدّم إليه شاب يحمل نسخة من كتابه وهو يطلب منه أن يوقّع عليها:

"سألتُه: اسمك من فضلك!

- قاتلك.
- ماذا؟!
- قاتلك!

وقبل أن أظهر أيّ علامة استنكار لمزاح بهذا الثقل، أحسست بطعنتين عميقتين تشقّان جسدي، والصحيفة البيضاء يحتلّها السواد"[١].

ويحقق هذا التقديم الفني لمشهد مثير في الرواية عنصرين مهمين في عمل روائي، هما: التشويق والإدهاش.

[١]. المرجع نفسه، ص ٩.

إنّ لغة الرواية متفقة تماما مع شخصياتها ومواقعهم الاجتماعية بل ومستويات وعيهم وتعليمهم، وهي لغة سردية تتناوب أشكال أنماطها بين لغة وصفية تنقل ما يجري بجمل مباشرة وببساطة، وبين أنماط حوارية مختصرة في الغالب، تتفق مع غرضها الوظيفي في نقل المشهد الروائي أو تعميقه. و"تنتمي هذه الرّواية إلى المدرسة الفنية الواقعية، بل إلى الواقعية النقدية الحادة التي تكاد تلامس مستوى الحقيقة"[١].

يتدخل "الراوي العليم" في هذه الرواية، فهذا الراوي يظهر في حالة إلقاء مزيد من التفاصيل على شخصية سلمان وجوانب من حياته، ومن تدخلاته على سبيل المثال: "كانت الفترة التالية فترة للنكات والحكايات. الضحكات تتعالى أحيانا، والتأثّر بادٍ على الجميع، بحر من الذكريات ملأ الصالون الضخم بحكايات من الطفولة والشباب والكهولة، حكايات صداقات ومغامرات عاطفية، وحكايات بؤس، وحظّ أطلّ في اللحظة الأخيرة! تكلموا جميعا، وكان سلمان بيك شاردا"[٢].

وكذلك يتجسد "الراوي المشارك/الذاتي" طوال هذه الرواية، يأخذ هذا الراوي على عاتقه مهمة سرد الأحداث ويتدخل متحدثا عن نفسه باستخدام ضمير المتكلم.

والأجدر بالذكر أن الراوي المشارك/ الذاتي في هذه الرواية يتناوب على ألسنة متعددة، ومن أهمّها الوزير سلمان بيك والأستاذ الدكتور كريم وزوجة سلمان المحامية ديانا والطالبة نُهى راضي. فيقول الراوي المشارك/ الذاتي على لسان سلمان بيك: "لم أعرف الدكتور كريم حين وقعت عيناي عليه في ذلك الحفل الفرنسي، لأنني لم أقابله من قبل، لكن انطلاقه في موجة ضحك صاخبة مع امرأة

---

١. د. محمد عبد القادر، "إبراهيم نصر الله في (شرفة الهاوية): مرارة الواقع في مرايا فاوست".

٢ . إبراهيم نصر الله، *شرفة الهاوية*، ص ٤٦.

جميلة، بل فائقة الجمال، كان كافيا لكي يَلفتَ انتباهي. همستُ لمدير مكتبي: أريد لمحة موجزة عن ذلك الرجل"[١].

ومن قول الراوي المشارك/الذاتي في لسان الدكتور كريم: "أمسكتُ بالكتاب، كتابي، وأبعدتُ الغلاف، فبدت الصفحة البيضاء مستعدّة على نحو كامل لاستقبال تلك الكلمات التي سأكتُبها"[٢].

ويقول الراوي المشارك/ الذاتي في لسان المحامية ديانا: "رفضتُ ستة رجال تقدّموا لخطبتي، بمن فيهم سلمان، لكن مشكلتي بدأت حينما سمعتُه!"[٣].

أما "المروي" فقد اعتمد الروائي على نسق التضمين في الرواية، فيتم تضمين المذكرات اليومية[٤] لسلمان مع الإشارة إلى تاريخ هذه اليوميات وحكايات غراميات الدكتور كريم[٥] والرسالة[٦] التي أرسلها الدكتور كريم إلى سلمان عبر البريد الإلكتروني.

يظهر أثر "المروي له الممسرح" و"المروي له غير الممسرح" في رواية شرفة الهاوية، فالمروي له الممسرح يتجسد داخل النص الروائي في صورة المروي له المشارك في الأحداث، كما في قول الراوي: "أرجوك "ديانا" دعي المسألة تمرّ بسلام، وأنا معكِ في أيّ قرارا تتخذينه"[٧].

---

[١]. المرجع نفسه، ص ١٩.

[٢]. المرجع نفسه، ص ٩.

[٣]. المرجع نفسه، ص ٣١.

[٤]. المرجع نفسه، ص٢٤-٣٠، ٧٦-٧٨.

[٥]. المرجع نفسه، ص ١٠٦-١١٠، ١٣٤-١٣٩، ١٥٥-١٥٦، ١٧٤-١٧٨، ١٨٥-١٨٩، ١٩٣-١٩٦، ٢٠٨-٢٠٩.

[٦]. المرجع نفسه، ص ٣١٨.

[٧]. المرجع نفسه، ص ٣٣.

يبدو أثر "ديانا" بارزا في هذا النص الروائي حينما تتم الإشارة إليها من خلال محاوراتها مع أمها، فوُجّه الخطاب إلى "ديانا" وهي تشارك في الحدث الروائي كما تمثل مرويا له ممسرحا.

أما المروي له غير الممسرح فهو غير مشارك داخل الحدث الروائي وأنه يتلقى هذا الخطاب بعيدا عن أي تدخل يشير إلى وجوده، كما في قول الراوي: "تحرّكت يد أحمد نحو مفتاح المذياع، تجاوزت عشر إذاعات FM، الإذاعات التي كانت تطلق الأغنيات بكثافة تفوق مطر السماء قوة، أغنيات حب وأغنيات تتحدّث عن وطن لا يقهر، قبل أن يصل إلى نشرة أخبار".

يظهر من هذا المقطع أن الخطاب موجّه إلى شخص وأنه يتلقى الخطاب لكنه غير معلن رغم أنه يقع داخل الخطاب السردي.

لقد وصف الكاتب الأمكنة التي وردت في الرواية مع تسمية هذه الأمكنة وتسمية الشوارع فيها ووصف مساراتها وحركتها، وهذا ما يساعد على تعيين مكان الأحداث الروائية بيسر، ويتّضح أنّ هذه الأحداث تدور في "عمّان" وجوارها، كما هو الحال في قول الراوي: "عمّان شبه نائمة، المحلات كلها مغلقة. استدرت نحو شارع الملكة رانيا، تاركا شارع المدينة المنورة خلفي، ولكنني بعد قليل أدركت أنني لن أجد شيئا في هذا الشارع سوى الصحف، فعلى جانبيه مباني ثلاث من جرائدنا اليومية. يسمونه أيضا شارع الصحافة، ويسمونه شارع الجامعة. أصبحت على مقربة من جسر المدينة الرياضية؛ المضيّ أماما لن يفيدني، إذ لا توجد محلات تجارية كما أعلم. سرت في الشارع، إلى يمين الجسر، وانعطفت يمينا باتجاه شارع حدائق الملك عبد الله"[١].

وقد وردت الأمكنة التي جرت فيها أحداث الرواية كالآتي:

[١]. المرجع نفسه، ص ١٧٩-١٨٠.

بيت سلمان: تدور معظم أحداث الرواية التي تقع بين سلمان وزوجته ديانا في بيت سلمان، بعد عامين من الزواج، تحوّل هذا البيت إلى موضع يسود فيه شجار وفراق، حتى قرّرت ديانا أن تنام في غرفة خاصة لها، حيث يقول الراوي: "تلك الليلة كان الكيل قد طفح، قلت له عندما أمسك بيدي ليجرني إلى غرفتنا: لقد جهّزتُ الغرفة المجاورة لي، سأنام فيها منذ اليوم"[١].

غرفة ديانا: تمثّل غرفة ديانا في أنّها موضع ألم وحزن، لا تجد في غرفتها الخاصة طمأنينة النفس والخصوصية الشخصية، حينما أوت ديانا إليها ذات ظهيرة وهي متوعّكة، "ارتبكت الخادمة...كان سلمان عاريا فوق واحد من قمصان نومي، قميص أبيض بسطه فوق سريري"[٢]، منذ ذلك اليوم وكانت تغلق باب غرفتها من الخارج ويضع المفتاح في حقيبتها حينما تغادر البيت.

مكتب محاماة مشترك: اقترح سلمان فكرة مكتب محاماة مع زوجته ديانا، "مكتب المحامين ديانا شاهين وسلمان سعود"[٣]. كانت مرحلة العمل الأولى في المكتب بشكل ناجحة، ذات يوم في الثامنة مساء جاء سلمان إلى المكتب كي يحلّ شراكة المكتب تجمعه مع زوجته، ثم سجّل الموجودات كلها في ورقة، بعد تلك الحادثة، تعرّفت فيها ديانا "نورة" زوجة سلمان الأولى مع ولديه خالد وردينة، كما جرى في هذا المكتب لقاء ديانا مع الدكتور كريم.

مكتب الدكتوركريم: هذا مكتب خاص للدكتور كريم في الجامعة، وكان يحاول أن يتحرش الطالبات في ذلك المكتب، يقول الراوي: "لأن لديه دائما علاقة ما! رغم أن إحدى العلاقات أوشكت أن تدمّر

---

١. المرجع نفسه، ص ١٢٩.

٢. المرجع نفسه، ص ١٩٧.

٣. المرجع نفسه، ص ٥٩.

حياته الأكاديمية مبكرا، إذ تعلقت به إحدى الطالبات، وكان يلتقيها في مكتبه، بل ويغلق المكتب عليهما غير عابئ بشيء، وحين جاءت ذات يوم، ووجدت المكتب مغلقا"[١].

قاعة المحاضرات: كان يلقي فيها الدكتور كريم المحاضرات في موضوع شتى مثل فردية المجتمع واجتماعية الفرد، وهو مولع بالطالبات داخل القاعة يغازلهنّ ويجاملهنّ، و"يراقب طلبته يدخلون مثل راع يقظ عائد من السهول يحصي مواشيه مساء، وراح يفتّش باحثا عن شيء عزيز مفقود"[٢] حينما لا يرى الآنسة نهى في القاعة. يحاول الدكتور فيها لاستدراج الطالبات إلى سريره ويسلب قلوبهنّ بأناقته وجماله، تؤكّد بذلك إحدى طالباته: "في أول امتحان اقترب مني، وكنت منهمكة في الإجابة على أسئلته. دس ورقة صغيرة تحت ورقة امتحاني وابتعد ...وكم فزعت حين رأيت ورقة بيضاء مكتوب عليها رقم موبايل!"[٣].

الجامعة: يعمل الدكتور كريم في هذه الجامعة التي يملكها سلمان، يقول الدكتور كريم: "وصلت إلى الجامعة في التاسعة صباحا، أوقفني حارس البوابة، تأمّلني جيدا كما لو أنه يحاول البحث عن وجهي في ذاكرته، ثم قال: دكتور كريم. أهلا وسهلا. نوّرت الجامعة!"[٤].

بيت ديانا: البيت الذي سكنت فيه ديانا مع والديها قبل زواجها، وأتى إلى ذلك البيت سلمان لخطبتها، تقول ديانا: "مساء اليوم التالي عدتُ إلى البيت قبل موعد عودتي اليومية بساعتين: في الخامسة مساء. وجدت أمي قد رتّبت البيتَ، ووضعت زهورا"[٥].

---

١. المرجع نفسه، ص ٥٤.

٢. المرجع نفسه، ص ٤٩.

٣. المرجع نفسه، ص ٥٠.

٤. المرجع نفسه، ص ٨٣.

٥. المرجع نفسه، ص ٣٤.

بيت عمّ نُهى: يقع هذا البيت في الوادي الشرقي لضاحية الرشيد، يسكن فيها عمّ نُهى وزوجته وعشرة أولاده. قدمت نهى من الرياض إلى بيت عمّها في عَمّان لاستكمال تعليمها الجامعي، قال لها عمّها: "يوم الجمعة تتناولين غداءك معنا، بحضوري. لا تظنّي أنّني بخيل. لا، كنت أتمنى أن تتناولي وجباتك كلّها في بيتنا الذي هو بيتك"[١].

الفيلا: تقع هذه الفيلا في "قمة عالية في منطقة دير غبار، تطلّ على مدينة عمّان كلها"[٢]، وأنها مخصّصة للقاءات الرسمية ولسهرات سلمان مع السبعة الكبار، تتعالى الضحكات منها أحيانا، "والتأثّر باد على الجميع. بحر من الذكريات ملأ الصالون الضخم بحكايات من الطفولة والشباب والكهولة، حكايات صداقات ومغامرات عاطفية، وحكايات بؤس"[٣].

شقة كريم: يسكن الدكتور كريم في هذه الشقة الواقعة في المنطقة خلف جريدة الدستور. دعا الدكتور صديقة سهاد "صباح" إلى شقته لممارسة علاقات جنسية معها، حيث يقول: "طلبت منها، إن لم يكن لديها مانع، أن نمضي إلى شقتي، لأنني لا أحبّ أن أصادف واحدة من طالباتي أو واحدا من طلابي هنا !...حين وصلنا الشقة...وبعد أقل من خمس دقائق كانت تتصرّف بأريحية وكأن عشر سنين مرّت على زواجنا! وكريما جسدها المذهل كان إلى حدّ أحسست معه بأنني أعرفها فعلا منذ عشر سنين. انتهينا، جلست في السرير ساهمة، مهمومة"[٤].

---

[١]. المرجع نفسه، ص ١٦.

[٢]. المرجع نفسه، ص٤٢.

[٣]. المرجع نفسه، ص ٤٦.

[٤]. المرجع نفسه، ص ٨٥.

مكتب في جبل اللويبدة: خصّص سلمان هذا المكتب للدكتور كريم ليكتب له حكايات، حيث يقول الدكتور كريم: "بل سأخصص لك مكتبا في جبل اللويبدة، فهو جبل الثقافة! فيه روابط الفن والأدب وصالات العرض. هناك أفضل! فيه ستتفتّح قريحتك أكثر وتتذكّر بصورة أفضل"[١].

ومن بنية الزمان في هذه الرواية:

الاسترجاع: إن الراوي قد توقف في هذه الرواية عن متابعة الأحداث الواقعة في حاضر السرد كي يعود إلى الوراء مسترجعا ذكريات الأحداث، فتستذكر ديانا أيام رحلتها مع زوجها إلى بلدان شتى، وهذا ما يتجلى في قولها: "كانت رحلتنا إلى النمسا وفرنسا وألمانيا والسويد، أسعد أيام حياتي معه، فهناك اكتشفت ما كان عليّ أن أكتشفه منذ زمن طويل".[٢] ويسترجع سلمان في الرواية تلك الحادثة التي وقعت أيام طفولته حيث يقول: "تذكرت تلك الفوضى التي أحدثتها أمي في كل مرة اكتشفت فيها الدماء تغطي كلسوني الأبيض، إلى أن أمسكتني من يدي وجرّتني إلى غرفة صغيرة، وسألتني ذلك السؤال الغريب: بدّك تقول الصحيح، إنت ولد ولاّ بنت؟!"[٣].

الاستباق: وقد استخدم الروائي تقنية الاستباق حيث قام بإيراد حدث لاحق في الرواية، ومن أمثلة الاستباق في الرواية ما قالته المحامية ديانا لزوجته: "لقد جهّزت الغرفة المجاورة لي، سأنام فيها منذ اليوم"![٤]وجاءت تقنية الاستباق في الحوار الذي جرى بين سلمان وأمّه عن عروس له وجدتها أمه:

- "من؟
- ابنة أختي مريم.

---

١. المرجع نفسه، ص ٩٦.

٢. المرجع نفسه، ص ٨٢.

٣. المرجع نفسه، ص ١٤٠.

٤. المرجع نفسه، ص ١٢٩.

- ابنة جيراننا، نورة؟!
- أجل، نورة ابنة أختي مريم.
- نورة؟! ولكنها لم تزل طالبة!
- ستتخرج بعد سنة. ما رأيك؟"[1]

ويتبين من خلال ما سبق أن الراوي قد استخدم تقنية الاستباق في بنية السرد لهذه الرواية.

الحذف: لقد قام السارد بحذف فترة زمنية من الرواية ولم يتطرق إلى ما جرى فيها من أحداث، وهذا ما يظهر في هذا المقطع: "بعد شهرين، قررت أن أرى تلك البطاقة التي كنت أخرجتها من حقيبتي ووضعتها في خزنة المكتب المُحصَّنة، دون أن أرى ما فيها"[2]، وقد اكتفى الراوي بذكر الوقت وذلك شهران، وأسقط تفاصيل الأحداث التي جرت في ذلك الوقت.

المشهد: يقصد بالمشهد المقطع الحواري الذي يجري بين شخصيات الرواية، يتطابق في لحظة الحوار زمن السرد بزمن القصة من حيث مدة الاستغراق. ومن المشاهد الحوارية التي جاءت في الرواية ما يلي:

- هل تريدين أن تعرفي علامتك؟!
- بالتأكيد دكتور مع أنني أعرفها.
- وكم في ظنك تستحقين؟
- ٣٠ربما، أو ربما ٣٥!

[1]. المرجع نفسه، ص ١٥٩-١٦٠.

[2]. المرجع نفسه، ص ٢١٩.

- ٤٠، علامتك أربعون، لديك فرصة لأن تحسّنيها الآن! أو في الصيف! بالمناسبة، سأكون الوحيد في الفصل الصيفي الذي يدرّس هذه المادّة.
- لا بأس، سأعيدها.

في هذا المشهد حوار دار بين الدكتور كريم والطالبة نهى حول علامة حصلت عليها نهى.

الوقفة: إن مهمة تقنية الوقفة هي تبطيئ زمن السرد، فتكون في السرد وقفات محددة حينما يعتمد الراوي على الوصف، فالوصف في السرد أمر ضروري. إن رواية شرفة الهاوية تحتوي على مجموعة من الوقفات الوصفي: "كنت سعيدة وأنا أتأمل خضرة الأشجار التي استطاعت عبور الصيف على طرفي أوتوستراد المطار. وحين قال لي عمّي، ها نحن على وشك الوصول إلى الدوّار السابع، كان هواء المساء اللطيف يعبر رئتي ويملؤني بهجة"[١].

إن الزمن من أهم العناصر الأساسية في بناء الرواية، يقدّم من خلاله الراوي القصة، وقد استخدم الروائي إبراهيم نصر الله في رواية شرفة الهاوية تقنية الاسترجاع والاستباق والحذف والمشهد والوقفة.

[١]. المرجع نفسه، ص ١٦.

الباب الرابع

تصوير الواقع العربي في الروايات الشرفات

الفصل الأوّل: الواقع السياسي العربي في الشرفات

الفصل الثاني: الواقع الثقافي العربي في الشرفات

الفصل الثالث: الواقع الاجتماعي العربي في الشرفات

الباب الرابع

تصوير الواقع العربي في الروايات الشرفات

الفصل الأوّل: الواقع السياسي العربي في الشرفات

المبحث الأوّل: النظام العالمي الجديد

إن الكاتب إبراهيم نصر الله ينظر خلال رواية شرفة الهذيان إلى الواقع العربي منذ احتلال الكويت مرورا بأحداث ١١ سبتمبر، إلى ما بعد سقوط العراق. وقد صوّر الروائي صورة النظام العالمي الجديد من خلال شخصية "الصقر".

وقد بدأ العصر الجديد أو النظام العالمي الجديد منذ أن وصل "بوش" في زيّ العسكري كما انعكس في الرواية، حيث يقول الراوي: "وشاشة التلفاز فجأة تضيء. والمذيعة التي كم أحبّها تعلن بكلماتها العذبة بداية عصر جديد"[١] وألصق الراوي صورة بوش في زيّ العسكري في الصفحة التي أعلنت فيها المذيعة بداية عصر جديد. ولما وقعت بداية العصر الجديد، كانت الشخصية الرئيسية "تنظر" و"تبحث عن منقذ" منذ زمن بعيد، يتبين ذلك في قلق بطل الرواية رشيد النمر: "منذ زمن بعيد كان ينتظر، ولعله الوحيد الذي حينما كان يخرج للشرفة ويتأمل المدى، لم يكن يبحث عن شيء غير هذا الذي يصل أخيرا"[٢].

[١] . إبراهيم نصر الله، *شرفة الهذيان*، ص ١٥.

[٢] . المرجع نفسه، ص ١٥.

اعتقد العرب أن جورج بوش الابن سيعيد لهم حقوقهم وينحاز إلى مصالحهم ضدّ أعدائهم وخصومهم. فكان الأكثر عداوة وإساءة لهم فاحتلت قواته الأمريكية بلادهم ونهب ثرواتهم وأثار النزاعات الدينية والمذهبية والقطرية فيما بينهم.

وهذا النظام العالمي الجديد حوّل المواطن العربي إلى عصفور سجين وحوّل العالم إلى قفص، لذلك، وهو يعيش أزمة حرية مركبة، مصدرها العصر الجديد وتأثيراته على علاقة النظام العربي السياسي بالمواطن.

لقد تناول الكاتب أزمة الحرية التي يعاني بها المواطن العربي في ظل النظام العالمي الجديد، حيث يرسم له النظام العربي أشكال الحرية المسموح بها، وخطوط المكان المسموح له للتصرف والتحرك ضمنها كما يريد، بما يضمن تحول المواطن العربي عن التفكير في قضاياه الحاسمية وحقه الوجودي في الحرية والحلم والأمل. يقول: "باستطاعتك أن تتابع الكذب على الهواء مباشرة المدة التي تحتاجها كي تطمئنّ على المستقبل، وتواصل السهرة مع أيّ فيلم تختار. لا بأس، فهم لا يُريدون منك أكثرَ من ذلك. باستطاعتك أن تذهب أبعد: أن تدخل في حديث معاد وأن تكتشف المصادفة الغريبة في كونك ميتا مثل الآخرين، فهم لا يريدون منك أكثر من ذلك. باستطاعتك أن تقبّل أطفالك أو لا تقبّلهم قبل النوم، تلك حريّتك التي لن يتدخّل فيها أحد؛ وأن تنام على جانبك الأيمن أو الأيسر، وأن تحلم بأجمل ممثّلة غير عابئ بعيون الأقمار الصناعيّة السّاهرة، تلك حريّتك التي لن يتدخّل فيها أحد"[1].

ويردف قائلا: "ولكن حين يأتون.. تذكّر: لن تكون أكثر من كتلة العري تلك، فوق كتلة العري التي تحتها فوق كتلة العري التي تحتها، ولعلهم سيُتَمْتِمُونَ بخشوع وهم يرون قطرة العَرق تلك التي تنساب

[1]. المرجع نفسه، ص ٥.

من عنقك نحو آخر نقطة خفيّة من عمودك الفقريّ إذ يشرعون حماستهم، وهم يتضاحكون.. متطلّعين لعتمة كهفك الصغير!"[١].

وقد استخدم الكاتب صيغة جمع الغائب عند الدلالة إلى سلطة العصر الجديد. أما عن حرية الإنسان العربي المسموحة فكلها مسموحات مرصودة ويريد النظام العربي وجود هذا الانسان العربي ليس غيره، فما بشر به النظام العالمي الجديد من حرية لم يكن في حقيقته إلا بداية عصر من العبودية والاستحواذ. وقد حوّله قوي القمع "إلى مجرد كتلة من العري فوق كتلة العري التي تحتها فوق كتلة العري الأخرى التي تحتها بينما الجلادون حول الضحية يشرعون حماستهم وهم يتضاحكون"[٢]، ويظهر هذا "العري" عذابا وعارا للذات العربية.

وقد استعرض الكاتب تحوّلات مرّ بها العالم العربي، وهي تمثّل في جسد أم العائلة في يقظته ونومه وشخيره، فانعكست تحوّلات في الواقع العربي والتاريخ في جسد أم العائلة، لما وصل العصر الجديد، كانت أمّ العائلة غارقة في نومها العميق، وشخيرها يعلو ويدها تشير إلى فراغ ومستقبل مبهم.

وفي وهلة أخرى، يوقظ رشيد النمر أم العائلة من نومها العميق بصعوبة، هزّها بيده قليلا، فبدت غافلة عما يجري حولها، حيث لم تستطع أن تدرك ما يرتكب بحق الأمة وعزّتها من خلال إخضاع الرجال في سجن "أبو غريب"، ولم تتعرف إلى الرجال الغرباء الذين شاركوا سريرها وسرير زوجها دون أن تعلم. يدلّ هذا المشهد إلى حالة من الغفلة التي أصابت لهذه الأمة العربية عما يحاك ضدها من مؤامرات من خلال كلمة "اليد"، أشارت الرواية إلى أطماع العصر الجديد بتصوير "الغرباء" وإلى

---

١. المرجع نفسه، ص ٦.

٢. فتحي أبو رفيعة، "إبراهيم نصر الله في شرفة الهذيان: من طيور الحذر إلى طيور الانتفاضة وإعادة اختراع أدب اللامعقول"، *الصحفي*، ٨ نوفمبر ٢٠٠٥، تاريخ الاطلاع ١٥ مايو ٢٠٢٤،
http://www.sahafi.jo/arc/art1.php?id=ffce8fce89cb792f896838276792fb7646469bd0.

الوطن بكلمة "السرير" والى حالة من الغفلة والغياب بألفاظ "الغفوة والنوم وصعوبة الصحو"[١]، يقول الراوي: "لكن الذي أرّقه آخر النهار أن امرأته لم تفتح عينيها، هزّها قليلا، فتحتهما أخيرا بكسل، تلفتت حولها باحثة عن تلك اليد التي هزت نومها، لم تجدها، وحيّره أكثر أنها لم تره، أو أن فيها كل هذه القدرة كامرأة تصحو فجأة، وتدّعي أنها لا ترى في الغرفة أحداً سواها؛ وحتى أولئك الرجال الذين كوّموا الواحد فوق الآخر، وكانوا إلى حدّ بعيد يشبهون تلّ الرجال في سجن أبو غريب"[٢].

وفي مشهد آخر، يصوّر الروائي تهديد النظام العالمي نحو المواطن العربي وقمع حريّته وهويته: "مأساة عصفور يقاوم الموت برجل واحدة بعد التهام الصقر لرجله الثانية"[٣]، والراوي يصوّر معاناة الإنسان العربي خلال شخصية عصفور. يقول الراوي: "صمتَ العصفور فجأة.

أشرع باب الشرفة بسرعة...

وهناك فاجأ الصقرَ متلبسا، ممسكا برأس العصفور، وهو يقف على سطح القفص ويلتهم دماغه بتلذذ بارد مجنون.

نظر إليه الصقر، دون اكتراث.

سألت امرأته: ما الذي يحدث هناك في الخارج؟

وظل صامتا.

---

[١] . إبراهيم نصر الله، *شرفة الهذيان*، ص ١٣٢.

[٢] . المرجع نفسه، ص ١٣٢.

[٣] . المرجع نفسه، ص ٣٨.

وعندما أحسّ الصقرُ بأن ذلك الرجل سيظل واقفا بالباب استدار إليه بكامل جسمه في حركة تهديد لا تخفى.

بهدوء أغلق رشيد النمر الباب كي لا يزعج الصقر أكثر"[١].

أما ابنة رشيد الصغيرة، فهي تعترض على رأي أبيها في تربية عصفور بدل كلب، فوجود عصفور في البيت يستدعي المشاكل الكثيرة التي لا طاقة لهم بمواجهتها ومنعها مثل حضور الصقر الذي سيقوم بافتراس العصفور. إذ كانت على دراية تامة بمعرفة العواقب والنهايات وتوحي نظراتها وحركاتها ومشيتها برؤيتها الثاقبة على الرغم من أن رشيد النمر كان يظنّ أنها قصيرة النظر. ففي كل وهلة كان يشتري فيها عصفورا، كان يأكله صقر فكانت ابنته الصغيرة "تحدّق في عينيه مباشرة، عاقدة يديها، وزامة شفتيها"[٢] و"مخترقة روحه بعينها القوية تلك"[٣] لتخبره بأن الطريق إلى الحرية محيطة بالموت وهو "يعرف أنه سيقف أمامها أعزل"[٤]. لقد تناول إبراهيم نصر الله أثر النظام العالمي الجديد أو العصر الجديد في الموضوع الثقافي، وكان من نتائج ذلك أن يصيب الأذى بالهوية والثقافة، حيث يدرك "الموظف الجديد" أن وظيفته الجديدة في العصر الجديد حوّلته إلى رجل بلا لباقة، لقد فقدَت القيم الأخلاقية التي ينبغي أن يحافظ عليها في سلوكه تجاه الآخرين، ولا يفكر حتى في الاعتذار للآخرين.

وبالاختصار، فقد بدأ النظام العالمي الجديد والمواطن العربي يخفق بين الهذيان والخوف والنوم العميق لا يدلّ على حضوره إلا شخيره. فقد صوّر الكاتب هذا المواطن العربي مثل صورة عصفور

---

[١]. المرجع نفسه، ص ٤١-٤٢.

[٢]. المرجع نفسه، ص ٣٩.

[٣]. المرجع نفسه، ص ١٨٨.

[٤]. المرجع نفسه، ص ٣٩.

يتقلب مصيره بين القفص أو القتل بين مخالب صقر. أما "العصفور الرّابض تحت شبكها الحديدي، فقد كان يفكر في ذلك الذي يمكن أن يفعله عصفور في موقف كهذا، لكن الشيء الوحيد الذي لم يخطر بباله أن له أجنحة!"[١]، ويظهر أنه فقد حتى التأمل في مصادر قوّته.

إنّ الشخصيات في هذه الرواية قد تأثرت باختراق ثقافي احتضنه النظام العالمي الجديد، بما أنه لا تستطيع أن تردّ قبول ظواهر الثقافة الغربية مثل "همبورغر"، فقد خوّف ابنُ رشيد الصغير والدَه رشيد وحمّل عليه مسؤولية كاملة لعدم شراء 'همبورغر'، وحاول أن يقدّم شكوى ضدّ والده إلى حاملة الطائرات الأمريكية "كيتي هوك"، وهذا ما يدلّ على أن هذا الاختراق الثقافي أفرز أبعادا ثقافية. كما كان لذلك آثار ثقافية على الأسرة الحقت الأذى بهويتها، حيث وقف الأب رشيد النمر أمام مجموعة من التهديدات، تهديد ابنه الصغير وتهديد الشرطي والتهديد الأمريكي، مما حمّله على تنفيذ أوامر الشرطي: "إذن اذهب من فورك الآن واشتر للولد ما يريد وإلا سأضطرّك مرغما أن تفهم، مفهوم؟"[٢]، ويظهر عجزه وخوفه من ابنه الصغير في داخل نفسه، فيقول: "هل عليّ أن أخاف؟"[٣]. وتذكّر تهديد ابنه الغاضب: "لا تريد أن تشتري لي؛ إذن عليك أن تتحمّل المسؤولية كاملة"[٤]، لأنّ ابنه الصغير قال له ثلاث مرات: "أريد همبورغر"[٥].

---

١. المرجع نفسه، ص ١٦.

٢. المرجع نفسه، ص ١٢٩.

٣. المرجع نفسه، ص ١٢٤.

٤. المرجع نفسه.

٥. المرجع نفسه.

وفي هذه اللحظة، يشكّ رشيد النمر عن وصول حاملة الطائرات الأمريكية "كيتي هوك" إلى بيته، لأنه منع ابنه من شراء"الهمبورغر"، فأخبره الشرطي بقوة الولايات المتحدة الأمريكية: "يا حمار! الأمريكان وصلوا القمر، فهل تستكثر عليهم أن يصلوا بال (كيتي هوك) تحت شباكك؟!"[١].

في ظل النظام العالمي الجديد، سادت الثقافة السطحيّة الهشّة المتمثلة بكثرة الفضائيات العربية وما تقدّمه من ضحالة ورُخص كما ظهر في كلام رشيد النمر عن ابنه: "أحيانا يبيع جوارب نسائية وحمّالات صدور وغيارات داخلية، وقبل يومين قال له أحدهم: عليك أنْ تفهم أنّك لن تستطيع بيع أيّ قطعة من هذه القطع. وحين سأله: لماذا؟ أجابه: لأنك تبيعها فارغة، في حين تبيعها الفضائيّات لنا طوال الوقت ممتلئة. وحين عاد الولد للبيت اختلى بغرفته سبع ليال وحين خرج قال لي: فعلا، إنّهم يبيعونها ممتلئة ويعلّمون الناس كيفيّة استعمالها أيضا"[٢].

قد تناول الكاتب رؤية الاتهامية للنظام العالمي الجديد، لأنّ ابن رشيد النمر يدرك أنه ضحية رؤية الاتهامية للنظام العالمي الجديد، فمن يُعفي لحيته مصيره الاعتقال في غوانتنامو، وبالتالي، يرى نفسه متهمة بالضرورة حين شاهد صورته بسبب طول لحيته على شاشة التلفزيون بين صور المتهمين والمطلوبين، مما دفعه إلى تسليم نفسه إلى حاملة الطائرات الأمريكية وهو يصيح: "أين المفر؟"[٣]، حيث أشار الراوي إلى تلك الرؤية الاتهامية خلال الحوار التالي الذي دار بين رشيد النمر وأستاذ علم الاجتماع:

- "وفجأة تقع أحداث ١١ سبتمبر؟!

[١]. المرجع نفسه، ص ١٢٨.

[٢]. المرجع نفسه، ص ٧٢.

[٣]. المرجع نفسه، ص ١١٧.

- نعم.
- يختفي في غرفته أياما طويلة بلياليها، وهو يتنقل ما بين محطات الغيارات الداخلية، وفي النهاية يغادر غرفته ويذهب للمرآة؟!
- نعم.
- وفيها يرى أن لحيته طالت كما لو أنه ليس هو؟!
- نعم.
- تحين منه التفاتة نحو جهاز التلفزيون في غرفة الجلوس ويرى صُورَ المتّهمين بتنفيذ هذه العملية الكبرى معروضة في نشرة الأخبار؟
- نعم.
- يعود للمرآة ثانية ليتأكد مما رآه فيها منذ لحظات؟!
- نعم.
- يتأكد، فيعود لشاشة التلفزيون من جديد؟!
- نعم.
- وبين صور المتهمين والمطلوبين يرى ابنك صورته؟!
- نعم.
- لحيته طالت بما فيه الكفاية بحيث حسمت الشك باليقين؟!
- نعم.
- وهكذا يمضي بنفسه لتسليم نفسه، وهو يصيح كما قيل (أين المفر)؟!"[1]

[1] . المرجع نفسه، ص ١١٦-١١٧.

ومن التداعيات الثقافية للنظام العالمي الجديد أنّ رشيد النمر صار ينظر إلى نفسه كأنها ميتة بسبب الخوف واليأس والإحباط من العصر الجديد، ويرى من حوله أمواتا من خلال تأمل وجوه المارة وتفرس عيونهم، أما زوجة رشيد النمر فهي قارنت بين ماضي الشرفة (رمز العالم العربي) وحاضر المرحلة وحمّلت زوجَها رشيد مسؤولية وصول إلى هذا الإحباط واليأس، وهذا ما يتجلى من الحوار التالي الذي دار بين رشيد وزوجته:

"كانت الشرفة أوسع مما هي الآن...

هكذا خُيّل إليه.

كانت تطل على مساحة أرحب وشرفات أقلّ...

هكذا خُيّل إليه.

كانت بشمس أكبر وقمر أقلّ شحوبا...

هكذا خُيّل إليه.

لكن امرأته قالت له: الشرفة غير مسؤولة عن هذا، بل المسؤول نظرتك إليّ.... وستثبت الأيام أنك كنت تخطط منذ البداية لما نحن عليه الآن: موتنا"[1].

والأجدر بالذّكر، أنّ الشخصيات مسكونة بالفزع والإحباط في النظام العالمي الجديد، وقد رصد الروائي حركاتها الخارجية واضطرابات نفسها، وهذا ما يتمثل في حركات الرجل العجوز في المركز الإعلامي حينما كان يستعدّ ليُخبر الشيء الأهمّ لرشيد النمر، يقول الراوي: "اجتاز العجوزُ عتبة

[1] . المرجع نفسه، ص ٣٦-٣٧.

الباب الخارجيّ، حين وجد أن رشيد النمر لم يَدْعُهُ للدخول، ولكنه قبل أن يفعل ذلك نظر يمينا، شمالا، وخلفا، بفزع لا يخفى، وبخطوات سريعة لا تنتمي لعمره، استقرّ أخيرا وسط الساحة....

- ما نسيت قوله: باستطاعة الذي يجيئكَ لالتقاط الصُّوَر، أن يوجّه الكاميرا إلى الشّمال ويصوِّر، إلى الجنوب ويصوِّر، إلى الشرق ويصوِّر، إلى السماء ويصوّر! أما إلى الغرب فإياك ثم إياك أن تسمح له بذلك. فهذا ممنوع.. ممنوع تماما، أعني تماما تماما"[1].

فالمطلوبُ منه في وظيفته الجديدة في المركز الإعلامي ليس الإعلام الصحيح والخدمة الرائعة لطالبي الحقائق والمعلومات، وإنما المطلوب هو الإخفاء على المعلومات الصحيحة والحقائق الصادقة وانكارها، والمداومة على إعطاء المعلومات الكاذبة ومنع تسرّب الأخبار التي لا تُرضي السلطة الحاكمة.

وصارت الشخصيات في الرواية "تنظر إلى نفسها باعتبارها حبيسة أقفاص وسجون، ومن خلال هذه الرؤية صارت تنظر إلى ذاتها وإلى من حولها، باعتبارهم سجناء وطن لم يعد سوى سجن صغير، إلى درجة صارت ترى في الزواج قفصا كما جاء على لسان زوجة رشيد النمر: "ألم أكن عصفورتك الجميلة ذات يوم؟ ألم تعمل المستحيل من أجل أن تدخلني في القفص"[2]، وبالتالي، لم يعد السجين سجين الجدران العالية والقضبان الحديدية بمفهومها المادي فحسب وإنما سجين العادات الاجتماعية، والأوضاع السياسية وموازين القوى الدولية والمرحلة الحضارية والتدهور العلمي والتهديد الذي يطال الهوية والثقافة. ومن خلال هذه الرؤية، صار العربي يرى السجن في الشوارع والبيوت والشرفات والسطوح والمصاعد والسيارات ودوريات الشرطة ووسائل الإعلام والإعلان والكاميرات المعدة لاصطياد المشاهد، والكمبيوتر، وفي العلاقات الاجتماعية وضغوط العالم الخارجي، وما

[1]. المرجع نفسه، ص ١٩- ٢٠.

[2]. المرجع نفسه، ص ٣٦.

يتعامل معه من أنظمة سياسية واجتماعية واقتصادية، وحين يحدق في القفص ويمعن النظر فيه يرى قضبانا وجدرانا صناء لا تسمع، وسجانين لا يسمعون سجناءهم، وكان من الطبيعي أن يتخيل رشيد النمر نفسه يتغافل داخل قفصه كما يتقافز عصفور، وأخيرا رأى السماء قفصا كبيرا. قضبانه طائرات أمريكية في السماء العربية، وضاق المكان بعد أن اختفت الجهات ولم يبق سوى الغرب"[١].

لقد أشار إبراهيم نصر الله في هذه الرواية إلى عديد من الأحداث والقضايا التي كان لها أثر بالغ على العالم كله بشكل عام وعلى العالم العربي بشكل خاص، فذكر حادثة تفجير برجي التجارة العالمية في نيويورك وما نتج عنها، حيث يقول الراوي:

"بعد لحظات من بداية النشرة، أعلن المذيع بصوته العريض الأجش أن مراسل الإذاعة في نيويورك معه على الخط.

كان الخبر عاجلا، إذ أفاد المراسل أن طائرة صغيرة ارتطمت ببرج التجارة العالمي في نيويورك. وحين سأله المذيع عن الخسائر أجاب المراسل: لم يتضح شيء بعد، وسأوافيكم بالتفاصيل بعد قليل!

...

مر زمن طويل، أو هكذا خيّل إليه؛ تتابعت الأخبار متدفّقة مع صوت المذيع الذي أعلن ثانية أن مراسل الإذاعة في نيويورك معه على الخط مباشرة.

- هل هنالك أخبار جديدة عن الطائرة؟

[١]. زهير محمود عبيدات، وعدنان محمود عبيدات، "قراءة في رواية شرفة الهذيان لإبراهيم نصر الله"، *مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب*، العدد ١ (٢٠١٠): ١٦.

- لقد علمنا للتّو، أن طائرة صغيرة أخرى ارتطمت ببرج التجارة العالمي!

فكّر رشيد النمر: أي برج هذا الذي يصمد بعد ارتطام طائرة صغيرة به، لتأتي طائرة أخرى وتكرّر الأمر؟!

لكن صوت المذيع المنفعل أعاده ثانية لسماع النشرة.

- وهل تعتقد أن الأمر مُدَبَّر، كأن يكون عملية إرهابية مثلا؟!
- لا أظن أنه عمل من هذا القبيل. ردّ المراسل واثقًا.
- لكن اصطدام طائرتين ببرج التجارة العالمي لا يمكن أن يكون مصادفة!
- حتى الآن ليست هناك دلائل تشير إلى غير ذلك. لكنني سأوافيكم بما يستجدّ حول هذا الأمر!"[1].

كانت أمّ العائلة مستغرقة في نومها العميق في ذلك الوقت، وقد أمضى رشيد النمر ثلاث ساعات أمام شاشة التلفزيون ويغمض عينيه نصف إغماضة كلما أعيد بثّ هذا المشهد، وطلب منه ولده الكبير حينما شاهد ما بثّ في شاشة التلفزيون من مشهدي ارتطام الطائرتين ببرجي مركز التجارة العالمي أن يشتري له غدا نسخة من هذا الفيلم!، ولما عرف الولد الكبير بأن هذا المشهد التلفزيوني ليس فيلما بالمعنى الدّقيق للأفلام، ذهب ليسلّم نفسه للأمريكان مباشرة ولكن لحسن حظّه رفض الأمريكان قراره تسليمَ نفسه.

[1]. إبراهيم نصر الله، *شرفة الهذيان*، ص ٨٦-٨٧.

وكما أشار إبراهيم نصر الله في هذه الرواية إلى حادثة تزويد الحكومة الاسرائيلية للأردن بمياه المجاري بدلا من المياه الصالحة للشرب والمستحقة للأردن كما نصّت اتفاقيّة الصلح بين البلدين، وهذا ما يظهر في هذا المقطع الروائي:

"نظر رشيد النمر إلى ابنه الكبير، وقال له: بعض النظافة لن تضرك!

- بالتأكيد. إن كان هنالك ماء!
- أنظر إلى جارنا الدكتور. أنظر إلى تلك النظافة التي تضيء ملابسه ووجهه، وتعلّم منه شيئا.
- ما الذي سأتعلّمه؟ سرقة الماء؟!
- ما الذي تعنيه بسرقة الماء؟!

كانت المدينة تعيش حالة إرباك لم يسبق أن مرت بها من قبل، حين اختلطت مياه المجاري بمياه الشرب، ولم يعد أحد قادرا على امتلاك الجرأة لغسل وجهه أو فمه؛ وغدا العثور على قطرة ماء نظيفة أكثر صعوبة من اصطياد عصفور محلّق بيد مجرّدة"[١].

وبالجملة، سادت أجواء الصراع والقتل في النظام العالمي الجديد، كما كان لذلك آثار ثقافية انعكست في النفس والمجتمع والإنسان حتى صار إلى غياب البعد الإنساني في خطاب النظام العالمي الجديد وممارسته وتحوّل هذا النظام إلى كابوس مرعب.

[١]. المرجع نفسه، ص ٦٤.

المبحث الثاني: النظام العربي

إنّ الحريات في العالم العربي "ممارسات ونزعات تتردد بين عبادة الشخصية ونرجسية النخبة، بين تسلط الدولة وتأليه المقولات"[١] وأنّ "النظام السياسي هو ثمرة ثقافة تولد الاستبداد بنماذجها وعقائدها وقيمها ورموزها"[٢].

تتكشف شخصية الشرطي جليا في رواية شرفة الهذيان بما أن صورة النظام العربي تتجلى من خلال صورته وفي قرقعة سلاحه المدوية تعبيرا عن القمع والتهديد اللذين تفرضهما السلطة. وقد تردد صياحه طول الرواية: "من هناك"؟[٣] و"أنا أستطيع أن أمنعك"[٤] و"إني أحذرك"[٥]. إن الشرطي متعلق بالقوة التي تصادر حرية الآخر وقراره، وهو يقول في هذا الصدد: "عليك ألّا تأخذ قرارا على عاتقك، وعلى الحكومة أن تحظر دخول الببغاوات، لأنها طويلة اللسان، وقد يؤدي ذلك إلى أن تتطاول ألسنة عصافيرنا علينا".[٦] وفي النهاية، ظهر الشرطي قاتل أحلام الإنسان العربي وحريصا على دفنها عميقا:

"جاءه الشرطي ذات يوم حاملا بعض الأشلاء

وقال له: احرص على أن تدفنها عميقا

وحينما سأله: وما علاقتي بهذا؟

قال له الشرطي: هذا حُلم عبر شرفة بيتك العالي بعد منتصف الليل.

وحين قال للشرطي: إنه لم يحلم.

---

١. علي حرب، "مسألة الحرية: مسألة اللعبة وازدواج الكينونة"، *مجلة عالم الفكر*، العدد ٣ (٢٠٠٥): ١٣.

٢. المرجع نفسه، ص ١٧.

٣. إبراهيم نصر الله، *شرفة الهذيان*، ص ١٥٨.

٤. المرجع نفسه، ص ١٦٨.

٥. المرجع نفسه، ص ١٨٠.

٦. المرجع نفسه، ص ١٤٢.

قال له الشرطي: أتريد أن تقول إنك تعرف أكثر مني؟!

قال له الشرطي: هل أنت واثق من أنّ أبناءك لم يحلموا أو زوجتك، في غفلة منك؟

قال: بالتأكيد.

ولماذا سأله الشرطي بغضب.

لأنني قتلتهم أجاب رشيد.

وهل دفنتهم كما ينبغي؟

تلعثم، غير متأكّد.

فقال له الشرطي بلطف باغته: عُد لأسرّتهم وتأكد"[١].

والأجدر بالذكر أن الشرطي الذي يظهر حارسا للحرية والديموقراطية يقوم، في الوقت نفسه، بالقمع والتهديد على معظم الشخصيات.

تتضح مشاعر الشخصيات بأزمة الحرية على صورة تساؤلات تعكس الفزع والدهشة وتدل على أن الشرطي هو سبب الخوف، مثل: "ومن لا يعرف ما حدث في الشرفة؟!"[٢] و"وكيف عرفوا بالأمر؟"[٣] و"ما الذي يحدث لو مر الشرطي من تحت الشرفة ورأى عصفورا طليقا يغنّي على حافّة شرفتي بالذات؟ شبه مجنون كان"[٤] و"ولكن كيف عرفوا بالموضوع؟"[٥]، كما عبرت زوجة رشيد النمر عن تدني حدود الحرية المتاحة في حالة الوعي الناقد: "انظر إلى نفسك، تسير إلى جانب الجدران كما لو أنها

[١]. المرجع نفسه، ص٢٣-٢٤.

[٢]. المرجع نفسه، ص ٧٦.

[٣]. المرجع نفسه، ص ٧٧.

[٤]. المرجع نفسه، ص ١٩٤.

[٥]. المرجع نفسه، ص ١٢٨.

ستسقط عليك، وتغلق باب الشرفة وشبابيك المنزل كلما أردت أن تتنفس!"[١] وجاء هذا القول وراء خشية زوجة رشيد وهي تبوح لزوجها بأن "هناك ملفات تفتح لكل من يشتري عصفورا وقفصا في آن، مما جعله يردّ: اطمئني. قال لها. لقد اتخذت جميع الاحتياط".[٢] حينما قررت الحكومة تقنين مشاهدة الناس العصفور الذي هو رمز من رموز الحرية في هذه الرواية، راقبت السلطة جميع تفاصيل حياة الناس حتى الهواء الذي يتنفسون حيث لم يكن رشيد النمر "متأكدا من أن استهلاك مثل هذا القدر من الهواء أمر محمود أم مذموم! وحاول أن يتذكر إن كان ثمة بيان رسمي صدر بهذا الشأن؛ لم يتذكر"[٣].

لقد أثخنت سياسة النظام العربي في التحريض على استمراء القتل للعصافير، بالحديث عن تمزيق اللحم بالأظافر، وطحن العظام بالأسنان، وقتل من يجتهد للحرية، ويتّهم بالتقصير من يخالف لهذه السياسة، وهذا ما أشار إليه حديث الشرطي مع رشيد النمر عن ابنه الصغير، بقوله: "في قضيته أنت المسؤول عن عدم قدرته على اصطياد العصافير"[٤].

وبالجملة، أنّ الكاتب إبراهيم نصر الله تناول سطوة النظام العربي في المجتمع العربي من خلال الشخصية الشرطي الذي يقوم بتهديد الآخرين وقمع هويتهم.

---

[١]. المرجع نفسه، ص ١٤٦.

[٢]. المرجع نفسه، ص ٤٥.

[٣]. المرجع نفسه، ص ١٨٩.

[٤]. المرجع نفسه، ص ١٤٢.

المبحث الثالث: المواطن العربي

إنّ الروائي إبراهيم نصر الله يستعرض في رواية شرفة الهذيان معاناة المواطن العربي من خلال شخصية "العصفور"، بما أنّ النظام العالمي الجديد حوّل المواطن العربي إلى عصفور سجين، وحوّل العالم إلى قفص، وهذا العصفور الذي يمثل العربي الضحية يسعى لنيل حريته بتحطيم قفصه.

لقد ربطت هذه الرواية بين العصفور والحرية لتبرز عن أزمة الحرية وهموم المقهورين في رحلتهم التحررية. إن العصفور لا يستسلم في حركته للحرية على الرغم من أن الموت مصيره، ويتوقع أن الشمس ستشرق "بخبرة العصافير التي توارثتها على مدى الزمان، أدرك العصفور أنه وقع في الفخ، وأنه سيموت لكن يأسه لم يمنعه من أن يحلم بشمس تشرق فجأة ساطعة على غير عادتها، فيكبر أكثر وأكثر فلا تغدو السكين التي التمعت أكثر من شوكة مقارنة بحجم رقبته، ويكون مصير البيت مصير القفص، لكن الشمس لا تشرق هكذا"[١].

وقد ظهر في الرواية إيمان المواطن العربي بروح المقاومة في رحلة البحث عن الحرية بدليل أن العصفور ظل يقاوم برجل واحدة كما يتأمل أن "بوابة الشمس" تقود إلى "فضاء الحرية"، إذ يقوم النظام العالمي الجديد على محاصرة الحرية، ولذلك صرخ رشيد النمر لما وجد العصفور وقد حطم قفصه "وكيف أن هذا العصفور، كان يفردُ جناحيه كلما أطلت الشمس"[٢] وصار يتحدى البندقية والسكين ويسخر كما سخرت منه زوجته وابنته: "قالت زوجته: إنها تأتي وتغني في الشرفة دون أن نستطيع حتى مشاهدتها. قال ابنه الصغير. إنها تغيظك بل لعلها تسخر منك! قالت زوجته"[٣]. قال في

[١]. المرجع نفسه، ص١٠٩-١١٠.

[٢]. المرجع نفسه، ص ١٠٢.

[٣]. المرجع نفسه، ص ١٩١.

نفسه: "فمن هو ذلك الرجل السعيد الذي أتيح له أن يرى بأم عينيه عصفورا يكسر قفصا، وفي الظلام، دون مساعدة من أحد؟!"[١].

لقد أصبحت أعداد كبيرة من العصافير ضحية للقتل في الرواية، وكانت لها رغبة شديدة إلى الحرية، ولم تخضع للسكين، حطمت أقفاصها وطارت وغنت وتكاثرت. إن غناء العصفور تمثل في انتصار رؤية الأمل والحرية المقهورة حين أدرك رشيد النمر: "أن زمن السكاكين قد ولّى، مادامت العصافير باتت تتجرأ فتهبط على حوافّ الشرفات وتغني"[٢].

وباختصار، تقول هذه الرواية إن العصفور قد حطم القفص ونال حريته ولماذا لا يحطم الإنسان العربي أقفاصه وقيوده كي يعيش في وطن ترفرف عليه أجنحة الحرية والعدالة ونعمة الديمقراطية.

المبحث الرابع: قمع المواطن

يتناول الروائي في رواية شرفة رجل الثلج معاناة المواطن العربي من الأنظمة الحكومية وما يكتنفه من هموم وآلام يومية. وهذا الإنسان العربي المقهور يواجه الويلات من حكومته، فتكون الحكومة عليه وبالا بدل أن تكون مساندا على المواطن العادي بحيث يقول الكاتب إبراهيم نصر الله: "ما يؤرقني فعلا هو هذا المأزِقُ العربيُ الكبيرُ الذي نعيشه والمتجسد رعبا في هذه الديمقراطيات الكاذبة، أو الديمقراطيات المستبدة المفرغة من كل معنى يمت للحرية بصلة، حيث تم، ويتم تحويل صناديق الاقتراع فور الانتهاء من عمليات الفرز إلى زنازين للجد والعقل والقلب والروح والأمل والمستقبل. كتبت شرفة رجل الثلج قبل الثورات العربية بعام، ونشرتها قبلها بأشهر، وكنت أرى القمع الطليق الذي لم

[١]. المرجع نفسه، ص ١٠٦.

[٢]. المرجع نفسه، ص ١٩٤.

يعد يهمه أن يتظاهر بالتسامح، أو يتخفى خلف ففاز. كتبتها في وقت لو لم أكتبها فيه لما كتبتها أبدا"[١]. ويردف قائلا: "لم ينج إنسان عربي واحد من القمع العربي. وكما تعرف، فإن الرواية العربية تناولت بصورة واسعة، القمع المُمارَس ضد النُّخب الثقافية والسياسية. هذه الرواية توسع هذا الأمر بغوصها في مساحة أخرى هي مساحة الإنسان العادي"[٢].

إنّ الحكومة تبالغ في الشك بالمواطنين وتتبع السياسة المخابراتية التي تراقب كل حركة يخطوها المواطن، وتسجلها الحكومة في الملف، وقد رأى بطل الرواية بهجت حبيب ملفه الشخصي الضخم الذي يوحي أنه ارتكب جرائم الكون، "كان الملف كبيرا، إلى حد أنّ بهجت أصبح على يقين من أنّه ملفّ غير حقيقي، فلو قاموا بتسجيل كل حركة، وكل قول، وكل إشارة صدرت عنه، وكل حلم رآه، وكل أسئلة الامتحانات المدرسية التي أجاب عنها في حياته، ولو جمعوا شهادات ميلاد أفراد الأسرة، وصور وثائقها، وصورة وثيقة زواجه، وكل ما جاء به من أخبار للصحيفة خلال فترة عمله، لما كان له ملف بهذا الحجم"[٣].

وتفتح له الحكومة الملفات الضخمة منذ قبل الولادة، حتى صار الخوف من الحكومة كابوسا يخطف الاطمئنان والأمان. ويخطف حب الأطفال، حيث يقول الراوي:

"استدار بهجت كما لو أن إعصارًا ضربه، وقبل أن يلمس مقبض الباب، سمع المحقّق يسأله: اسم ابنك فريد؛ أليس كذلك؟

استدار بهجت، وقد تجمد: نعم. فريد. سيدي.

---

[١] . إبراهيم نصر الله، *كتاب الكتابة تلك هي الحياة ذلك هو اللون*، ص ١٤٣-١٤٤.

[٢] . المرجع نفسه، ص ١٩٣.

[٣] . إبراهيم نصر الله، *شرفة رجل الثلج*، ص ٥٨.

وعندها لوّح له المحقق بملف أزرق صغير وهو يقول له: لعلمك! هذا ملف فريد.

تجمد بهجت مكانه. "ما بك"؟ سأله المحقق.

- لا شيء سيدي.

- امرأتك حامل كما علمت؟!

- نعم سيدي.

- ولد أم بنت؟

- الطبيبة قالت إنه ولد.

- وماذا ستسميه؟

- حليم سيدي.

- حليم؟ تقصد عبد الحليم؟ تريد أن تجمع في عائلتك المطربين اللذين كانا متناحرَين على الدوام، فريد الأطرش وعبد الحليم حافظ إذن؟!

- نعم سيدي، ولكننا سندلّعه وننناديه "حليم".

- هكذا إذن، ونحن سندلّعه وننناديه "عبد"!!

وامتدّت يد المحقق إلى درج في الطاولة وأخرج ملفّا أزرق كتب عليه بضع كلمات، وقال: خلاص. لقد فتحنا لـ "عبد" ملفّا"[1].

[1]. المرجع نفسه، ص ٦٠.

وقد أرّقته تماما مسألة وجود ملفّ لوليده الذي لم يولد، وقرّر تغيير اسم طفله القادم قبل مولده وبهذا ينتشل مستقبل ذلك الطفل من عتمة بئر ذلك الملف، و"فكر في أسماء كثيرة: خالد، سالم، نبيل، أو شوكت (على وزن اسمه)، وحاول أن ينطق الاسم بصوت عال: شوكت بهجت حبيب"[١]، لكن، راودته تلك الأفكار التي بشأن اسم طفله الذي لم يولد: "ماذا لو جاء رجال الحكومة وسألوني بعد سنوات: أين عبد يا بهجت؟ ماذا سأقول لهم؟ غير موجود! سيقولون لي: أين أخفيته؟ لم تخفه إلا لأنه ارتكب جرما كبيرا!، قد يكون إرهابيا! فماذا أقول لهم؟ إنه غير موجود؟! عندها سيلوّحون بالملف الأزرق أمام وجهي وسيقولون لي: ملفاتنا لا تكذب. اعترف! أين أخفيت الولد؟ وبالطبع سنكون، أنا وجميلة، حينذاك، في عمر لا يتيح لنا أن ننجب ولدا نسمّيه عبد الحليم لنعوّض خسارة الحكومة!"[٢].

وهذه الأفكار أدّت بهجت حبيب إلى توقف إنجاب مولود جديد، وطلب من زوجته "جميلة" أن تأخذ كل الاحتياط في إنجاب مولود جديد لأنه لن يتحمل ملفّا آخر. حينما قالت له زوجته "إنه حامل" جُنّ وخرج غاضبا من البيت وما إن وصل إلى الشارع حتى رأى المدينة كلّها قد تحولت إلى ملفّ أزرق ضخم. ومن الواضح من هذه الرواية أن السياسة المخابراتية التي تتبع الحكومة تقود المواطنين إلى توقف إنجاب مولود جديد.

وقد دُعي بهجت كثيرا من المرّات إلى مبنى المخابرات للمراجعات مثل غيره من المواطنين، حيث كان هناك "على وشك السقوط على الأرض بسبب الحرارة والرطوبة وثقل روائح أنفاس الذين اكتظت بهم القاعة عن آخرها"[٣]، وسأله المحقّق عن معهد المحاسبة الذي درس فيه بعد الثانوية وعن علاقة

[١]. المرجع نفسه، ص ٧٠.

[٢]. المرجع نفسه، ص ٧٤.

[٣]. المرجع نفسه، ص ٢١١.

تربطه بالتيّارات الإسلاميّة وعن حزب الشيوعي وعن أصله وحتى عن طفله القادم. وفي المرّة التالية، سأله المحقّق عن جواز سفره وعن اللصّ الذي سرق ملابس أسرته عن حبل الغسيل قبل ثلاثة أشهر وعاتبه المحقّق قائلا: "هذا لأنك لا تثق بنا، لو كنت تثق بنا لأخبرت الشرطة، لكنك لا تثق بنا!!"[١] ثمّ سأله: أما زلتم تنشرون غسيلكم على الحبل نفسه؟" فأجاب بهجت: "نعم"، عندها صرخ المحقق: "هذا يعني أنك مثل كثيرين غيرك لا تتعلّم من التجربة!"[٢].

وفي المرّة الأخيرة، حدّثه المحقّق الجديد عن حسن أخلاقه كزوج وأب ومواطن وصحفي ثم قال له: "نحن بحاجة لأمثالك ممن يحملون مبادئ النظافة والصدق والشرف والإخلاص"[٣]، أما المحقّق القديم فقد كانت ملامح وجهه مخيفة جدا فقال له بهجت: "إنني لا أستطيع، وإنّني لا أعرف أحدا ولا أخالط أحدا ولا أعرف سوى طريق البيت، ومن أسماء أولاد الحارة لا أعرف سوى أسماء ابنيّ وابنتي! ومن أسماء نساء الحارة لا أعرف سوى اسم زوجتي! ومن أسماء رجال الحارة لا أعرف سوى اسمي"![٤]، فسأله المحقّق القديم عن مدير مكتب الإعلانات الذي مهّد له الطريق للعمل في الصحيفة وعاتبه المحقّق القديم قائلا: "إذن أنت تعرف أناسا غير زوجتك وأولادك! كيف تقول لي إذن إنك لا تعرف سواهم؟!"[٥]، وقد وصل الأمر إلى أن يتلقى صفعة قوية في رأسه. وقد سأله المحقق الجديد: "هل أنت تفكر بمولود جديد؟! إذا كان هناك مولود جديد، إياك أن تكذب على ذلك الذي خلفك، فالأمر

---

١. المرجع نفسه، ص ٢٢٦.

٢. المرجع نفسه.

٣. المرجع نفسه، ص ٢٥١.

٤. المرجع نفسه، ص ٢٥٢.

٥. المرجع نفسه.

الأسهل بالنسبة إليه أن يلقي بك في زنزانة، ويرسل سيارة إلى بيتك لإحضار زوجتك إلى هنا للتأكّد مما إذا كنت تقول الحقيقة أم تكذب!!"[١].

إنّ مديرية الأمن ومبنى المخابرات مصدر خوف وقلق بالنسبة إلى بهجت حبيب حيث يقول: "حين رأيت مبنى المخابرات عبر شبّاك سيارة الأجرة التي أستقلها، تمنيت أن أكون في مكان آخر من هذا العالم، وحين أيقنت أن ذلك مستحيل، تمنّيت أن أكون في الكرسيّ الخلفيّ من السيارة، لأكون على مسافة متر واحد على الأقل، أبعد من ذلك المبنى!".[٢] ويكون ذهابه إلى مبنى المخابرات بالنسبة إلى زوجته أقسى من ظنّها بأنّه ذاهب للزواج بغيرها. وأخذت تتسارع دقات قلب بهجت شيئا فشيئا لما اقترب من بوّابة مديرية الأمن.

كلّما حضر بهجت في دائرة المخابرات للمراجعة يجد عبد اللطيف رئيس التحرير للصحيفة التي يعمل فيها، فيقول له عبد اللطيف إنه جاء "لتناول فنجان القهوة لا غير!"[٣]، وهذا ما يشير إلى أنه يُعفى الأشخاص ذو مكانة مرموقة في المجتمع من أيّ إجراءات حكومية ضدّهم.

وقد واجه بهجت "غرابين" بعد تلك الحوادث، والغربان هنا ليست من فصيلة الطيور ولا من فصيلة الحيوانات، والتلفاز "لا يعرض سوى صور الغربان" ونشرات الأخبار تعجّ بآلاف الغربان وكذلك الأفلام التي يتساقط فيها الناس بسبب وبلا سبب، تعجّ بالغربان أيضا، وقد باتت إعلانات التلفزيون التي تدعو الناس لاغتنام إجازات الصيف، والرحيل بعيدا، تعجّ بالغربان أيضا"[٤]. بل الغراب هنا رمز

[١]. المرجع نفسه، ص ٢٥٤.

[٢]. المرجع نفسه، ص ٢١٠.

[٣]. المرجع نفسه، ص ٢١٢.

[٤]. المرجع نفسه، ص ١٥٨.

للخوف الذي يشعر به المواطن، إن الغرابين اللذين أهلكا ببصر بهجت هما- على مستوى الواقع- غراب الداخل (الرعب الذي يسكن داخل المواطن) وغراب الخارج (قوى القمع والقهر).

ويستعرض الروائي موجة الغلاء التي حدثت في الدولة. يقول الراوي: "موجة غلاء إثر موجة غلاء، وتهديد يوميّ لا تكف الصحف عن تكراره حول المدى الخرافي الذي ستبلغه أسعار المحروقات، وما يعنيه ذلك من ارتفاع أسعار كل الأشياء"[١]، وقد انزعج بهجت في أمر السيّارة بسبب تدخلات الحكومة المستمرة في رفع أسعار قوتها كما تدخّلت الحكومة مستمرّا في قوت أسرته إلى أن يفكّر في حالات كثيرة بالاختفاء. وبالجملة، إنّ الروائي المشهور إبراهيم نصر الله تناول خلال شخصية بهجت حبيب في رواية شرفة رجل الثلج معاناة المواطن العربي من الأنظمة الحكومية، فتكون الحكومة عليه وبالا بدل أن تكون مساندا على المواطن العادي. ويلخّص بهجت معاناته في كلمات قليلة حيث يقول: "هذه أوطان أشبه بالفنادق، لن يسمحوا لك أن تحبها، الشيء الوحيد المسموح به هنا أن تكون قوي وتدّعي، مثلهم، حبها لتلتهمها أكثر فأكثر. هذه أوطان لثلاثة: ابن غني، وابن قبيلة، وابن نظام"[٢]، بحيث يقول إبراهيم نصر الله: "تم تحويل الأوطان إلى ما يشبه الفنادق الغرفة الجيدة لمن يدفع أكثر. كما بات المواطن العربي محيَّدا عن كل قضاياه اليومية والوطنية، إذ تحول إلى مجرد مشاهد وجلاد لنفسه، ولم يعد قادرا على ممارسة أدنى مستويات الاحتجاج السلمي، ولا يُسمح له بذلك"[٣]. إنّ بهجت ليس فردا فقط، بل هو نمط حياة للإنسان المرعوب في مجتمعات القهر والتخلف.

---

[١] . المرجع نفسه، ص ٩٥.

[٢] . المرجع نفسه، ص ٢٦٨.

[٣] . إبراهيم نصر الله، *كتاب الكتابة تلك هي الحياة ذلك هو اللون*، ص ١٩٣-١٩٤.

المبحث الخامس: الفساد السياسي

يستعرض الأديب إبراهيم نصر الله قضية الفساد السياسي خلال شخصية سلمان بيك في رواية شرفة الهاوية، وذلك أن سلمان بيك المحامي النقابي يوافق على طلب مدير الدائرة ليعمل مع الحكومة بحيث أنه كان على دراية تامة بالقانون ودهاليزها، "نحن بحاجة إليك في مهمّة واحدة لا غير...نريدك أن تساعدنا في التحقيق مع أعداء اليسار وأعدائنا، أعداء الوطن والأمة، ومن يسيئون لصورتنا الحضارية في العالم!... وبعد هذه المهمة سأعيّنك وزيرا! ولك أن تختار الوزارة التي تريد!"[١].

نجح سلمان في تلك المهمّة التي امتدّت عامين، وظفر بعدها بالمكافآت وقد "استطاع سلمان بيك أن يستغلّ الشيك الذي قبضه كمكافأة لنهاية مهمته...عدّة مشاريع سُرّب إليه أنّها ستكون ناجحة، كنوع من مكافأة"[٢]، ومرّة أخرى تسلّم مكافأة أخرى فباعه ثمّ أودع مبلغه في ثلاثة بنوك.

إنّ المكافأة الكبرى التي حصل عليها سلمان مقابل هذه المهمة هي تعيينه وزيرا، "هو أقصى ما يمكن أن يصل إليه سلمان بيك من مناصب"[٣]، وقد اختار سلمان وزارة العدل لا يمتّ سلمان في حياته إلى العدل بصلة ولذلك، "قال له مدير الدائرة مازحا: المقاعد فارغة لم تزل...وأضاف: هل هدفك بهذا الاختيار أن تقيم العدل؟! إذا كان ذلك هو هدفك، فعليك أن تنتبه أنك يمكن أن تكون أول ضحية لهذا العدل، فخلفك تاريخ لا بأس في اتساع ساحاته ودهاليزه ومنحدراته"[٤]، كان هذا المقعد الوزاري "واحدا من أكثر المقاعد التي تطل على المشاريع الكبيرة، الكبرى!"[٥] ولذلك، إن سلمان قد استغلّ

---

١. إبراهيم نصر الله، *شرفة الهاوية*، ص ٢٦.

٢. المرجع نفسه، ص ١١٢.

٣. المرجع نفسه، ص ١١٤.

٤. المرجع نفسه، ص ١١٥-١١٦.

٥. المرجع نفسه، ص ١٢٢.

منصبه لمصلحته الشخصية، "إذ عرض عليه رجل متنفذ أن يدخله في عدة مشاريع، شرط أن يكون للمتنفذ ذاك، عشرة بالمائة من الأرباح المستقبلية في بعض المشاريع، وعشرون بالمائة في المشاريع الأكثر إدرارا للأرباح، ومن بينها تلك الجامعة الخاصة التي استطاعوا انتزاعها من مالكها الأصلي عبر سلسلة من المعيقات"[١].

وفي مرّة أخرى اتفق سلمان مع أحد "رئيس الشركة الأجنبية المرشحة بقوة لتنفيذ المشروع!"[٢] ثم يدخل سلمان اللعبة ويعقد الصفقات وهو يدّعي القيام بخدمة مصالح الدولة، لكنه يبحث عن الهيمنة والسلطة ويدافع عن مصلحته، حتى بلغ الأمر إلى أن قالت عنه زوجته: "كم مرة داهمني رعب أن أضطر للدفاع عنه، في قضية من قضايا الفساد التي يتصاعد دخانها حوله"[٣].

وقد أشار الروائي إلى قضايا مالية أو جريمة تعرض لها أعضاء مجلس النواب حيث قال سلمان بيك في هذا الصدد: "هنالك في المجلس ٢٠ نائبا فقط لا قضايا جريمة أو مالية عليهم! .... ٨٠ نائبا عليهم قضايا اعتداء على الممتلكات، وتهديد، من بينها تهم بالقتل وجرائم مالية ووظيفية، وإصدار شيكات بدون رصيد، وتزوير وسرقة واحتيال، وكسب غير مشروع، ورشوة واختلاس، وإساءة الائتمان، وتهرب ضريبي، وتهريب، ومخالفات لقوانين الصناعة والتجارة والصحة العامة والعمل، وإصدار شيكات بدون رصيد، وهناك نائب واحد يواجه ٢٣٣ قضية، من بينها ٧٩ قضية أمام المحاكم، منها إصدار شيكات بدون رصيد، بنحو ٨ملايين دينار!"[٤].

---

[١]. المرجع نفسه، ص ١١٤.

[٢]. المرجع نفسه، ص ١٢٢.

[٣]. المرجع نفسه، ص ١٦٩.

[٤]. المرجع نفسه، ص ١٢٣.

وبالجملة، إن الروائي إبراهيم نصر الله صوّر الفساد السياسي خلال شخصية سلمان بيك في رواية شرفة الهاوية، وقد تخلى عن دوره المجتمعي، وأصبح همه الوحيد السلطة، هي التي في نظره ستحقق له الرفاهية والمكانة والمصالح الشخصية وأنّ السلطة عادة ما تقترن بالفساد، لأنها تتعلق بالمكانة السامية والامتيازات والثروة.

الفصل الثاني: الو اقع الثقافي العربي في الشرفات

المبحث الأوّل: إدانة الوسط الثقافي

لقد تناولت رواية "شرفة رجل الثلج" جانبا من عيوب الوسط الثقافي من خلال سردها سيرة مندوب صحفي "بهجت حبيب"، حيث يقول الكاتب إبراهيم نصر الله: "بأن الدافع الحقيقي لكتابة شرفة رجل الثلج حكاية سمعتها مباشرة قبل أكثر من عشر سنوات من أحد الصحفيين، كان هو بطلها، وطوال تلك الفترة لم أنس الحادثة، ظلت تدور في داخلي وتؤرقني عاما بعد عام، وكان لا بد من التخلص من كابوسها بكتابتها بالطبع"[١].

تدين الرواية على الذين تسربوا إلى عالم الصحافة في غفلة من الزمن، مثل عبد اللطيف الذي قفز من عامل في مقهى الجريدة إلى محرر دفعة واحدة، وأخيرا أصبح رئيس التحرير. والحقّ أنه لا يستطيع كتابة أي مقال، وهذا ما أزعجه كثيرا، إلى أن أوكل عبد اللطيف إلى مدير التحرير أن يكتب باسمه: "ولم يكن يفعل شيئا سوى قراءة المقال للاطمئنان. وحين اطمأنّ تماما لأسلوب كاتب مقالاته، لم يعد يقرأها إلا مع قهوة الصباح في اليوم التالي. وفي أحيان كثيرة كانت زوجته تسمعه يصيح بفرح: "عبقري، عبقري"، فتسأله: "منْ؟"، فيناولها الصحيفة كي تقرأ مقالته!"[٢].

والأجدر بالذكر أنّ عبد اللطيف قد وصل إلى منصب رئيس التحرير اعتمادا على أمور لا تمت للكفاءة وللمهنية بصلة، بحيث "أثبت عبد اللطيف نباهته أكثر فأكثر، فقد أصبح السيد عارف غنام- رئيس التحرير- يعتمد عليه في أشياء كثيرة، من تلك الأشياء التي لا يكتمل وجود الويسكي والفودكا إلا بها"[٣]،

---

[١] . إبراهيم نصر الله، *كتاب الكتابة تلك هي الحياة ذلك هو اللون*، ص ١٩٤.

[٢] . إبراهيم نصر الله، *شرفة رجل الثلج*، ص ٦٨.

[٣] . المرجع نفسه، ص٣٤.

ومكافأة على ذلك: "وجد نفسه محررا في الصحيفة بين ليلة وضحاها، في ترقية لم يسبق أن عرفتها الصحافة من قبل (من عامل في مقهى الجريدة إلى محرر دفعة واحدة)"[١]. أخيرا، أصبح عبد اللطيف "رئيساً للتحرير، بعد بعثة مخترعة مولتها الجريدة من جيوب مساهميها، قيل إنه التحق بها في لندن، وحين عاد بعد ستة أشهر، لم يجد الخبثاء من الزملاء، في الصحف الأخرى، من وسيلة يحرجونه بها سوى توجيه أسئلة له باللغة الإنجليزية، وفي كل مرة كان يتملص بحنكة يحسد عليها، لكن الأمر بات مكشوفا حين أكد أكثر من مخبر صحفي أنه لم يغادر البلد قط"[٢]. ومع مرور الزمان، "بدأ ينتابه إحساس غريب حول العلاقة التي بين عامل البوفيه ورئيس التحرير، واهتدى أخيرا إلى أنها كلها خدمات، وكلها مطلوبة، وأن أهمية المرء لا تكمن فيما يعمله، بل فيمن يخدمه"[٣]. أما ما يميّز عبد اللطيف فهو "لم يكن يخطئ في الإملاء كثيرا، وكانت نباهته تتجلى في معرفة الفرق الدقيق بين التاء المربوطة والتاء المفتوحة"[٤].

كذلك تدين هذه الرواية سرقة الأعمال الأدبية للآخرين لإظهار موهبة الكتابة الإبداعية كما لجأ إليها بطل هذه الرواية بهجت حبيب للحصول على وظيفة مندوب صحفي. فقد سطا على قصيدة للشاعر الأستاذ علي: " إن خياري في النهاية وقع على قصيدة له، انتحلتها من ألفها إلى يائها، بعد أن غيرت عنوانها فقط، فبدل أن يكون (نهار جميل) أصبح (فضاء جميل) واستبدلت كلمة (نهار) بكلمة (فضاء) حيثما وردت في القصيدة دون أن يتغير الوزن أو ينكسر!"[٥]، ثم يبرّر بهجت ما فعله: "وصلت إلى قناعة قد لا تعجب الكثير من الشعراء، وهي أن الشعر ينبع أولا من الخارج ويصبّ في داخل

[١]. المرجع نفسه، ص ٢٥.

[٢]. المرجع نفسه، ص ٩٧.

[٣]. المرجع نفسه، ص ٦٨.

[٤]. المرجع نفسه، ص ٢٥.

[٥]. المرجع نفسه، ص ٢٠١.

الشاعر الذي ما يلبث أن يكتبه وكأنه هو صاحبه، وفي هذا الأمر نوع من سرقة الجمال وادعائه للنفس، أي أننا كلنا نسطو على ما ليس لنا، نسطو على بدائع خلق الله!، حين وصلت لهذه الفكرة،...أحسست أن انتحالي لقصيدة (نهار جميل) ليس أكثر من استعارة شيء من النهار الجميل نفسه، لا من شاعرها"[١]، ويستيسر كتابة الشعر، حيث يقول: "حين تذكرت الأوزان الشعرية التي تعلمتها في المدرسة، أدركت أني وصلت إلى نصف الطريق، فالقوالب لدي! وليس عليّ سوى أن أملأها!"[٢]، وجميع هذا إدانة لمدعي الشعر الذين يسرقون جهد الآخرين وينتحلونه، ولكن يعترف هنا بهجت للشاعر بما فعل، فأطلق الأستاذ ضحكته قائلا: "ها إحدى قصائدي تثبت أنها نافعة فعلا لغيري! ... أن القصائد أثبتت مفعولها في مجال لا يتخيله النقاد"[٣]. وبلغ اعترافه ذروته حيث قال إنه اشترى كل نسخ ديوان الشعر حين خاف أن تثبت سرقته ذات يوم: "اشتريت كل النسخ الموجودة في مكتبات العاصمة، ولفترة بقيت أمرّ وأسأل عن هذا الديوان بعينه، ولا أستريح إلا إذا سمعت صاحب المكتبة يقول لي: لقد نفد!"[٤]. وكل هذا سخرية لاذعة بالنقاد والشعراء على حد سواء.

وفي اليوم الأول لعمل بهجت في الصحيفة، يأخذه زميله في جولة كي يتعرف على الوزارات المطلوبة منه لنقل أخبارها، وأسرّه ذلك الزميل بعد أن شاهد مشقة بهجت بكثرة ما غطى من أخبار منذ اليوم الأول: "كل شيء جاهز، ما عليك سوى أن تضع العناوين، وتسلّم الأخبار للسيد عبد اللطيف. وإذا كنت تريد أن تعطي الانطباع أنك تبذل جهدا كبيرا، ما دام اليوم هو يومك الأول، فأظن أن قيامك

١. المرجع نفسه، ص ٢٠٥.

٢. المرجع نفسه، ص ١٩٨.

٣. المرجع نفسه، ص ٢١٩.

٤. المرجع نفسه، ص ٢٢٠.

بنسخ الأخبار بخط يدك سيعطي انطباعا جيدا بأنك عملت وتعبت، وأنصحك: افعل ذلك دائما، لا اليوم فقط"[١].

إن هذه الرواية تدين مستويات منخفضة وصلت إليها الصحافة، وهذا ما يتجلى فيما قال عبد اللطيف حيث يواسي بهجت: "لا عليك! مندوبو المحافظات يتفنّنون في ارتكاب الأخطاء، ولا أكتمك أنني في حالات كثيرة لا أستطيع معرفة الخطأ من الصواب، لفرط ما أرى الخطأ منتشرا في أخبارهم، وبعد فترة لا تعود قادرا على التمييز، ولهذا قررت الابتعاد عن هذه الأخبار حفاظا على لغتي!"[٢]. وأنّ أحدا من المحررين لم يهتموا بما إذا كان ثمة إنتاج حقيقي أم لا. ولكنّ الجريدة كانت في أحسن حالاتها في ظل طغيان الإعلانات حيث أصبحت الإعلانات مصدر دخل لا يعوض. فالأخبار التي غطّاها بهجت "كانت تستخدم آخر الليل لملء بعض الفراغات في أسفل الصفحات، أو بين الإعلانات والتقارير الطويلة، وغالبا كان المحرر يحذف عدة أسطر من أسطرها القليلة أصلا"[٣]. ويشير بهجت إلى مصير أحد التقارير: "كان موضوع تسرب الطلاب بمثابة فاجعة، إذ صدف في ذلك السبت أن فاضت الإعلانات على الصحيفة بصورة غير متوقعة، ما أدى أن يقوم المحررون آخر الليل باقتطاع نصف التقرير تقريبا، ولم تكن هذه هي الفضيحة، إذ نسوا في غمرة انشغالهم بالقص واللصق... نسوا أن يحذفوا أسماء أولئك الذين اقتطعوا كلامهم من المقدمة، وبهذا كان يمكن أن تقرأ أسماءهم ولا تقرأ أقوالهم، بل إن المحررين في غمرة اندفاعهم الأهوج انتصارا للإعلانات، وضعوا صورة مدير التطوير التربوي، الذي لم يعد له وجود في التقرير".[٤] وكان هناك تقرير آخر عن أطفال الشوكولاتة: "إذ تم

[١]. المرجع نفسه، ص ١٩.

[٢]. المرجع نفسه، ص ١٧-١٨.

[٣]. المرجع نفسه، ص ٣٥.

[٤]. المرجع نفسه، ص ٢٠٤.

نشره بصورة محترمة، بمنحه ثلث صفحة، أو يزيد قليلا...كان التحقيق يستحق صفحة كاملة! لكنهم ظلوا يحذفون منه، إلى أن أصبح على تلك الحالة"[١]. ورغم ذلك، فقد واجه التأنيب والتقريع، بما أنه كاد أن يورّط الجريدة في مشاكل. وتعاظمت الأمور لما قامت إحدى جريدة المعارضة بإعادة نشر التقرير في صدر صفحتها الأولى تحت عنوان: "أطفال الشوكولاتة إلى المحاكم وسارقو الملايين ينعمون بها دون محاكمات!"[٢]، مما خوّف مستقبله العائلي والوظيفي: "كاد يدمر كل شيء في حياتي، ما مضى، وما سيأتي"[٣].

وكان بهجت يحلم بعد أن دخل في عالم الصحافة بأن يكون اسمه منقوشا في الصفحة الأولى للجريدة ولكنّ السنوات تمرّ دون أن يتحقق حلمه: "كبرت يا بهجت، شخت، وقد تموت دون أن تتمكن، حتى، من الوصول إلى الصفحة الأولى. راح يستعرض وجوه أولئك الذين تربعوا على صدر تلك الصفحة، ...هاله أن كل واحد منهم لم يصل إلى هناك إلا عبر سلَّم ما، وحين فكر باستخدام واحد من تلك السلالم، أدرك أن الأمر مستحيل؛ وهكذا، انطلق يبحث، دون جدوى، عن سلم آخر، وعندما أوشك أن ييأس تماما، طمأن نفسه بأن سلمه لا بد أن يكون موجودا هناك في مكان ما، وأنه سيصله ذات يوم رغم سوء طالعه المطبق على قلبه كفكي تمساح"[٤].

وتشير الرواية إلى طريقة بعض الصحفيين في الوصول إلى الاخبار وكانت تلك بمعارضة الحكومة: "لعلي أكون الآن قد أوضحت الكيفية التي دخلت بها إلى عالم الصحافة، وهنا أحب أن أؤكد أن كثيرين، لا بد، غيري، قد عملوا هناك بالطريقة نفسها، ولكنهم عرفوا، أو على الأقل بعضهم، من أين

---

١. المرجع نفسه، ص ٢٥٩.

٢. المرجع نفسه، ص ٢٦١.

٣. المرجع نفسه.

٤. المرجع نفسه، ص ٨١.

يؤكل الكتف، فلم يجدوا سبيلا لذلك أفضل من الصعود على كتف الحكومة ذاته لالتهام ما يشتهون من أكتاف، أما الآخرون فقد ظلوا، مثلي، حيث هم!"[١]، ويبيّن بهجت إحدى أهم الطرق للحصول على الأخبار والمعلومات: "كل ما يلزمك كي تكون ناجحا هو أن تجد الأجواء المناسبة لأصحاب الحكايات والأسرار كي يبوحوا بأسرارهم، لكنه لم يكن يملك أي شيء يساعده على تحقيق هذا. فلا البيت الذي يسكنه يمكن أن يكون ملائما لدعوة الكبار واصطياد أخبارهم، ولا ما يملكه من مال يؤهله أن ينفرد بأحدهم في مطعم محترم"[٢].

وتستعرض الرواية تلك العلاقة المشبوهة بين المثقف والسلطة حيث يتحدث بهجت عن عبد اللطيف: "هو رجل قادر على أن يضره، إلى حد أن يلبّسه تهمة، فعلاقات عبد اللطيف باتت معروفة، ودائما قيل إنه عمل في مقهى الصحيفة للتمويه، فقد كانت له مهمّة أخرى، أكبر، وأخطر، وإنّ الترقية التي حصلت لم تكن قرارَ رئيس التحرير، بل من فوق... فوق!"[٣]. كلما حضر بهجت في دائرة المخابرات للمراجعة يجد نفسه وجها لوجه مع عبد اللطيف الذي يقول له مبتسما أنه جاء "لتناول فنجان قهوة لا غير!"[٤].

وقد تناولت هذه الرواية مشكلة إعجاب بعض الفتيات بالشعراء، مفتونا بكلامهم، ومن ذلك الشاعر الذي تلاعب بمشاعر فتاة مثقفة حيث "خرجت يائسة من علاقة حب مع ذلك الشاعر يعمل في صحيفة أخرى"[٥] وقد "سلبها ثلاث سنوات من حياتها وهو يحدثها عن الحرية وأغاني الشيخ إمام

---

[١]. المرجع نفسه، ص ١٨١.

[٢]. المرجع نفسه، ص ٢٤.

[٣]. المرجع نفسه، ص ٢٨.

[٤]. المرجع نفسه، ص ٥٧.

[٥]. المرجع نفسه، ص ٦٢.

وقصائد بابلو نيرودا ويمطرها بالكتاب تلو الكتاب، من زوربا إلى مؤلفات هنري ميلر"[١]. ويبلغ الاستهزاء بالشعراء إلى أقصى غايته لما كلّف السيد غنام عبدَ اللطيف بمهمّة استقبال وفد من الشعراء العرب وترك كلَّ من هم أعلى منصبا من عبد اللطيف: "بلا شعراء بلا بطيخ! لستُ بمزاج جيد لكي أستقبل كل هؤلاء العصافير في وقت واحد. استقبلهم أنت. حدثهم عن أهمية الشعر والثقافة في حضارات الأمم! وأكّد لهم أنّ أمّة بلا ثقافة هي أمة ميّتة. ويمكن أن تداعبهم قليلا فتقول لهم: وليس هناك أمة أثبتت أنها حيّة مثل أمتنا والحمد لله. لماذا؟ لأنّكم، كشعراء، ومنذ الجاهلية، كنتم دليل حياتها"[٢].

لقد افتخر عبد اللطيف بما قام باستقبال مزيد من الشعراء، فقدّم خبر الاستقبال هدية لعروسه بعد الزواج، حيث نشر على أربعة أعمدة مع اسمه وصورته "متضمّنا تفاصيل اللقاء التي اشتملت على حديثه عن أهمية الثقافة...، والوضع العام للقصيدة العربية في ظل انتشار قصيدة النثر –وهذه ملاحظة قالها له مدير القسم الثقافي- وعلاقة الصحافة بالثقافة، وسبل دعم الحركة الثقافية العربية"[٣].

وقد اعتبر صاحب مكتب الإعلانات "الصحافة مقبرة المواهب!" حيث يقول في هذا الصدد: "دخلت الصحافة شاعرا يشار له بالبنان، وانتهيت كاتب عمود أسبوعي مرهق لفرط السرعة التي يسير بها الزمن بين مقال ومقال! وحمد الله أنه لم يعمل في صحيفة يومية تورطه بكتابة عمود يومي"[٤].

وتسخر هذه الرواية من أسلوب الروائيين كما يتجلى في قول بهجت: "يبدو أنك... تكتسب عادات الكتاب السيئة ما إن تحاول روايةَ قصتك ككاتب، تطيل، وتدخل في أشياء جانبية، وتلفّ وتدور

[١]. المرجع نفسه، ص ٦٣.

[٢]. المرجع نفسه، ص ٦٤.

[٣]. المرجع نفسه، ص ٦٥.

[٤]. المرجع نفسه، ص ١٦٩.

وتتذكر حتى تصل في النهاية إلى شيء صغير واضح تريد أن تبوح به"[١]. ويستهزئ بهجت بطقوس بعض الكتاب: "القهوة مهمّة للمحققين، كما هي مهمة للكتاب حين يضيفون لها التدخين! رغم أن الأستاذ علي قال لي... إنه لا يدخّن، وهذه مسألة غريبة جعلتني على وشك إعادة النظر في أهمية كتاباته! كما أنه لا يشرب القهوة لا حين يكتب ولا حين يقرأ! وهذا أمر غريب فعلا!"[٢].

وتصور هذه الرواية كيفية استغلال البعض مناصبهم كي يتحققوا مكاسب شخصية لهم، حيث يتكلم بهجت عن عبد اللطيف: "استدعاني ذات ظهيرة وطلب مني أن أتولى أمور مكتب الإعلانات الخاص به، من أولها إلى آخرها، فقبلت بذلك دون مناقشة. سألته: وعملي هنا؟ قال: ستتركه! وكنت سأتركه فعلا ما دام يقول لي ذلك، ولكنه قال لي: الأفضل، ربما، أن أخفف أعباء عملك هنا، بحيث يكون باستطاعتك أن تجمع العملين!".[٣] وينعكس أثر التنافس بين الصحف على العاملين في تلك الصحف لأن "مشاهدة أحد من موظفي صحيفتنا في مبنى أيّ صحيفة منافسة، لا يعني سوى شيء واحد (التعامل مع العدو!)".[٤]

كان بهجت مثل غيره يطمح أن يترقى إلى الدرجة العليا في العمل وأن ينقش اسمه في الصفحة الأولى للجريدة، ولكنّه فقدَ له الأمل حينما استقصى لما ينشر في الصفحة الأولى وعرف "بأن الأخبار الكبيرة لا تخصص لأمثاله"[٥] وهكذا فإنه "بدأ حياته الصحفية مندوبا، وأمضاها مندوبا، وسيعيش ما تبقى له مندوبا وسيموت، إذا لم يطلع نجم سعده، مندوبا. وكلما كان ينظر إلى زملائه الذين عملوا معه في

---

[١]. المرجع نفسه، ص ١٦٣.

[٢]. المرجع نفسه، ص ٢١٥.

[٣]. المرجع نفسه، ص ٢٥٧.

[٤]. المرجع نفسه، ص ٢١٧.

[٥]. المرجع نفسه، ص ٣٨.

الفترة نفسها، وما بعدها، كان يراهم هناك، في الأعلى، كما لو أن الله منحهم أجنحة ولم يمنحه سوى ما يمنح السلاحف التي لن تستطيع في أي يوم أن تطير!"[١].

وتسخر الرواية عن اللقاء العابر بين الوزير وبهجت بصفته مندوبا صحفيا حيث يقول الوزير لبهجت بعد تردّد في لغة عامية معلنا عن همه الدفين: "بس غيرولنا هالصورة إللي بتنشروها مع أخباري! أي ما في غيرها عندكم؟!"[٢].

وبالجملة، إن الروائي إبراهيم نصر الله أشار في هذه الرواية إلى بعض مواطن الخلل البارزة في الوسط الثقافي من خلال سرد سيرة مندوب صحفي "بهجت حبيب".

[١]. المرجع نفسه، ص ٩٧.

[٢]. المرجع نفسه، ص ١٨٩.

الفصل الثالث: الو اقع الاجتماعي العربي في الشرفات

المبحث الأوّل: جريمة الشرف

إن العبارات مثل الانتقام للشرف وغسل العار وجريمة الشرف ليست مجهولة على المجتمع، كما أنها كثيرا ما تستعرض في الأعمال الأدبية بوصفها أمرا عاديا لا مجال لانتقادها ومراجعتها. وقد تعرّف منظمة هيومن رايتس واتش جرائم الشرف على أنه "أفعال بغرض الانتقام، غالبا جريمة قتل، يرتكبها أحد أفراد الأسرة الذكور ضد إحدى أفراد الأسرة الإناث، بدعوى جلبها العار على أسرتها".

وقد سبق طرح هذه القضية في عدة الروايات العربية، ومنها: "بداية ونهاية" لنجيب محفوظ، و"دعاء الكروان" لطه حسين، و"وسمية تخرج من البحر" لليلى العثماني، و"الميراث" لسحر خليفة، و"الخيط وعين الحياة" لنوال السعداوي، و"خارج الجسد" لعفاف البطاينة، و"اسمي سلمى" لفادية الفقير وجميعها تستعرض قضية العار التي لحقت الفتاة وعائلتها إثر علاقة محرمة، حيث تؤدي هذه القضية العائلةَ إلى قتلها غسلا للعار وانتصارا لشرف العائلة.

أما رواية "شرفة العار" التي أصدرت سنة ٢٠١٠ تزامنا مع اليوم العالمي للمرأة فتعدّ الرواية الأولى داخل الأردن في تركيز الرواية كاملة لقضية جريمة الشرف[١]، حيث إنّ الرواية يستفتحها الكاتب إبراهيم نصر الله بتقرير التنمية البشرية للأمم المتحدة عام ٢٠٠٩ والذي يشير إلى "أن عدد ضحايا جرائم الشرف في العالم سنويا هو ٥٠٠٠ امرأة؛ وفي الأردن، حيث كتبت هذه الرواية، تشير الأرقام الرسمية إلى وقوع ١٥إلى ٢٠ جريمة قتل سنويا؛ وفي الجوار، يشير تقرير الأمم المتحدة للتنمية

[١] . أ. د. مريم جبر فريحات، مؤشرات *النص السردي: صوت الواقع، والمرجع، والذات الكاتبة: دراسات في الرواية والقصة القصيرة الأردنية*، (عمّان: إصدارات المفرق مدينة الثقافة الأردنية، ٢٠١٧) ص ٢٣.

الإنسانية العربية ٢٠٠٩ إلى أن عدد جرائم الشرف في مصر كان ٥٢ جريمة في العام ١٩٩٥، وفي العراق ٣٤ جريمة في العام ٢٠٠٧، وفي الأردن ٢٨ جريمة في العام ٢٠٠٥، وفي لبنان ١٢ جريمة في العام ١٩٩٨"[١].

فهذه الأرقام تدل على مأساوية وضع النساء في المجتمعات العربية، ولذا عمد الكاتب إلى كتابة رواية تتناول مأزق ضحايا هذه الجريمة وتدافع عن حقهن في الحرية والعيش والحب والأمل، حيث يقول الروائي إبراهيم نصر الله "إن الأمر المفزع في كتابة رواية كهذه، هو أن تقوم بكتابتها في الوقت الذي تتساقط فيه الضحايا حولك".[٢] وهو يردف قائلا: لقد أتيح لي أن أطلع، قبل كتابة هذه الرواية، على تفاصيل أكثر من خمسين جريمة شرف، وقراءة كثير من اعترافات القتلة، وقراءة كثير من المحاضر والرسائل التي أرسلتها الضحايا إلى أهلهن، يطلبن غفرانهم ! لكن الرسائل التي يحملها بريد الدم لا تصل أبدا"[٣].

وقد أهدى الكاتب هذه الرواية "إلى ضحايا جرائم الشرف في العالم بأسره، إلى النساء في كل مكان"[٤] بأمل أن تكون هذه الرواية بداية لتغيير بعض السلوكيات الشنيعة.

تتمحور في هذه الرواية قصة فتاة "منار"، تقع ضحية نزاع مادي بين الرجلين، أخيها الأكبر "أمين" و"يونس" السائق الذي كان يعمل على سيارة والدها "أبي الأمين"، يرفض أخوها قضاء الدين للسائق عليه، مما دفع يونس إلى اغتصاب "منار" شقيقة "أمين" انتقاما شنيعا، تبدأ بعده سلسلة من حلقات الصعوبات التي عانت تلك الفتاة، أخيرا، أطلق أخوها الأكبر الرصاصات نحوها لغسل العار

---

[١] . إبراهيم نصر الله، *شرفة العار*، ص ٥.

[٢] . المرجع نفسه.

[٣] . المرجع نفسه.

[٤] . المرجع نفسه.

الذي لحق بها. وكان قلبها البريء يتعلق حتى لحظاته الأخيرة بالأم والأب العاجز والأخ الأصغر الذي كان ضئيل الجسد وصغير السن بما لا يستطيع كي يصد عنها عنف رجال العائلة.

لم تعد أسرة "منار" تمتلك حرية اتخاذ قرار بشأن قضية ابنتها. وقد أذعن الأخ الأكبر في آخر الأمر لرغبة عمه "سالم" على الرغم من أنه أدرك أنه السبب الوحيد على ما آل إليه حال أخته وأطلق الرصاص عليها، كما أدركت الأمّ براءة ابنتها "منار" وحاولت أن تخلّصها مما هي فيه، حتى الأخ الصغير كان يقوم خلف باب غرفة أخته أن يحميها من كل هجومات توجّه ضدها، حيث يقول: "سأقتل كلّ من يحاول الاقتراب منها"[١] ولما همّ أخوها الأكبر بقتلها صرخ فيه: "عليك أن تقتلني قبل الوصول إليها"[٢] ثم يعيد هذه العبارة في حضور الشرطة لوقايتها: "سأقتل كل من يحاول الاقتراب منها"[٣].

لكن لم ينفع ذلك كله أمام سلطة النظام الاجتماعي الأسري الذي رفع راية السوداء في شرفة بيتها تمهيدا لقتلها ولا تستحق أسرتها حق الدفاع عن ابنتها، فبدت مسلوبة حرية الاختيار والإرادة والرأي وخاضعة مثل بقية أشخاص المجتمع لسلطة متوارثة ونظام من التقاليد والعادات التي تصور مفهوم العفة والشرف مرتبطا بجسد المرأة، كما تصور الرجولة والبطولة بغسل ما يلحقه ذلك الجسد من عار في المجتمع. لم يقتصر أثره على تلك الفتاة فقط، بل امتدّ حتى يشتمل جميع أفراد عائلتها والجيران حتى أنّ "مرور أي فرد من أفراد العائلة في الشارع، أصبح بمثابة حفلة تعذيب جهنمية له، في الوقت الذي بدأ الجيران يرون في الراية السوداء نذير شؤم مقيم"[٤]، كما أنّ "مساحة الحرية التي

---

[١]. المرجع نفسه، ص ١٧٥.

[٢]. المرجع نفسه، ص ١٧٨.

[٣]. المرجع نفسه، ص ١٧٩.

[٤]. المرجع نفسه، ص ٢٠٦.

كانت متاحة لفتيات الحارة تقلصت؛ إذ لم يعد من السّهل عليهن التحرك أو الغياب طويلا عن منازلهن، وغدا هبوط الليل قبل عودتهن جرسا ينذر بفضيحة أخرى!"[١].

وفي الوقت نفسه، تبرّر السلطة هذه الفعلة من خلال القوانين التي تحمي القاتل على الرغم من أن هذه الرواية تقول إن جريمة الشرف هي جريمة مجتمع، ليست فردية، تتم هذه الجريمة بحماية القانون. وهذا ما يبدو في الحوار الذي دار بين "لبنى" وإخوتها السبعة وأبيها "ومسدس ثقيل في اليد المهتزة لأخيها الأصغر، الحائط خلفها وأمامها كتيبة الإعدام"[٢].

"بصعوبة عثرت على صوتها: إذا كانت حياتي لا تهمّكم، خافوا على أنفسكم بعد أن تقتلوني، الحكومة لن تترككم!" وحدّقت في وجه أخيها:

"وأنت سيضيع مستقبلك! كيف ستعيش بعد أن تقتلني؟" قالت له باكية.

"كيف سأعيش إذا لم أقتلكِ؟!" أجابها. وقال الأخ الأكبر:

"اطمئني، الحكومة تخاف علينا أكثر مما تخاف عليك، ولهذا أبقت ذلك القانون الذي يحمينا"[٣]. يشير هذا الحوار إلى الحماية الرسمية لمرتكب جريمة الشرف وإلى إدانة للموقف الرسمي نحو المرأة. وكذلك تواجه تلك الضحية التحقيق غير الإنساني من قبل الشرطة، لا يحترم الضُبَّاط كرامتها الإنسانية ولا يعبؤون بمأساتها، يحاولون معرفة تفاصيل لحظات جنسية للإثارة الرخيصة: "نريد أن نسمع منك كل ما حدث معك، لا نريد أن تغفلي أيّ تفصيل صغير، بدأت منار تسرد القصة من جديد وهي

[١]. المرجع نفسه، ص ٢٠٦.

[٢]. المرجع نفسه، ص ٢٠٣.

[٣]. المرجع نفسه، ص ٢٠٣-٢٠٤.

ترتجف، وكلما أغفلت نقطة، طلبوا منها أن تكون أكثر تحديدا...حين وصلت لتفاصيل لحظات الاغتصاب، توقفت يد ذلك الشرطي عن ادعاء الكتابة، وحملقت فيها العيون.

أرجوك أنت قفزت عن أشياء كثيرة، لنبدأ من لحظة إدخالك الغرفة وإغلاق الباب عليك!

بدأت منار تبكي، فنهرها مسؤول التحقيق! البكاء لا يوصلنا إلى شيء!

هل خلع ملابسه قبل أن يُعرّيك، أم بعد ذلك؟ هل حاول وضع عضوه في أماكن أخرى؟ هل كانت تلك أول مرة تمارسين فيها الجنس؟ هل صرختِ حين فضّ بكارتك؟ هل نزفتِ كثيرًا؟ هل اكتفى بمرّة واحدة أم كرر ممارسة الجنس معكِ؟ لماذا بقيتِ صامتة؟ هل كان الخنجر في يده طوال الوقت حين كان يعتليك في السرير؟

عندما انتهت أسئلتهم، كانت منار على وشك السقوط من فوق الكرسي"[1].

تدلّ هذه المواقف على الإهانة والذلّ ومظاهر الانتهاك الروحي والجسدي والمعاناة النفسية التي تتعرض لها ضحايا جرائم الشرف من قبل السلطات التي يجب عليها توفير الحماية والدعم لهنّ، كما صوّر الكاتب إبراهيم نصر الله ردود فعل المجتمع نحو المرأة بعدما لحق بها العار، وهذا ما يبدو في قول "أم منار": "سيذبحونها"! تمتمت أمها هاذية وهي تنظر إلى نبيلة: "سيذبحونها"، قالت وكأنّ منار لم تكن هناك"[2].

[1]. المرجع نفسه، ص ١٨٧.

[2]. المرجع نفسه، ص ١٤٣.

وقد استخدم الروائي "صيغة الغائب في 'سيذبحونها' في الوقت الذي كانت فيه الفتاة حاضرة، يحمل دلالة تغييبها وتوكيد فعل الذبح قبل حصوله، وبفاعل جمعي، في إشارة إلى أن مجرد انكشاف هذا العار يعد سببا كافيا لاعتبارها قد ماتت، وبقرار جماعي، كأنها لم تكن حاضرة في الحياة أصلا"[١].

يبيّن الراوي مدى بشعة جريمة الشرف في الرواية، حيث يقول: "امتلأت الشبابيك والشّرفات بمئات الظِّلال المطلّة على الشارع، وحبس الصّمت أنفاس الجميع، ورأى أمين العيون كلّها تحدّق فيه، فيه هو بالذّات. عندها تراجع خطوتين وأطلق النار، وللحظة، أحسّ بأنّه لم يصبها، فهي لم تسقط، وأطلق النار ثانية وثالثة، فلم تسقط، فاندفع ووضع المسدّس على جبينها؛ أغمض عينيه وأطلق النار، وحين سمع ارتطام جسدها بالأرض أشرعهما من جديد.

نظر حوله فلم يجد هناك سوى الصّمت. الظّلال تحوّلت إلى تماثيل، والعيون المحدقة فيه إلى بحيرات من جليد، أما صرخات أمّه فقد كانت تذرع الفضاء كطيور بلا أجنحة"[٢].

"أغمض عينيه وأطلق النار" تعني هذه العبارة أنّه لم يستطع أن يحدق في وجه أخته البريئة والمظلومة، بينما كان مستعدّا لغسل العار الذي لحق بالعائلة، مع أنّه السبب الوحيد وراء هذا الأمر، لأنّه في مفاهيمهم لا يسترجع شرف العائلة الممسوخة إلا بقتل المرأة علانية وإشهار ذلك بين المجتمع، كما هي الحال مع بطلة هذه الرواية منار.

إنّ "الرجال الذين يرتكبون هذه الجريمة يفاخرون بهذه الغزوات المغرية، لأن المرأة في المجتمع الشرقي مسؤولة عن كل انحراف وضياع، وجسدها هو مصدر كل غواية ودنس؛ لذلك عرف المجتمع جرائم

---

[١] . أ. د. مريم جبر فريحات، *مؤشرات النص السردي: صوت الواقع، والمرجع، والذات الكاتبة: دراسات في الرواية والقصة القصيرة الأردنية*، ص ٤٣.

[٢] . إبراهيم نصر الله، *شرفة العار*، ص ٢٣٣.

الشرف ضد المرأة وليس ضد الرجل؛ هذا كله يشير إلى أن هناك خللا كبيرا في القيم والأخلاق في المجتمع، وهبوط هذا الواقع وترديه. إن العامل الرئيسي الذي يقف خلف انتشار هذه الظاهرة للعنف ضد النساء هو غياب المساواة بين الجنسين فهي ظاهرة تمس المجتمعات والثقافات والعلاقات الاجتماعية والسياسية ومنظومات القيم والأفكار، وهكذا يتم خنق كيان المرأة، ككيان تابع خاضع مستسلم غير قادر على المواجهة في ظل الأعراف الاجتماعية والعادات التي كرست التهميش والتمييز ضدها"[١].

أما منار فهي نموذج لمزيد من الفتيات اللاتي سفك دمهنّ بدعوى الحفاظ على الشرف، مثل "تغريد" طفلة يتيمة الأب، تدرس في الصف التاسع، وقد تعرضت لاغتصاب من شقيقها الأكبر، وحملت منه، عندما هددته بالحديث لوالدتهما وإخوتهما قتلها بتوجيه تسع طعنات إلى جسدها حيث صرّح بأنه قام بقتلها بسبب تفريطها بشرفها بما أنها أسلمت نفسها لأحد الشباب[٢].

كانت القصص التي سمعتها منار خلال فترة مكوثها في السجن تتفق مع محور الرواية، وتعمل على تعميق فكرة القتل دفاعا عن شرف العائلة، ومنها قصة لبنى السجينة "التي فقدت عذريتها برغبتها، بعد أن وعدها صديقها بالزواج، لكنه في اللحظة الأخيرة توارى عن الأنظار"[٣]. ولما علمت أسرتها بما حدث، أطلق أخوها الأصغر خمس رصاصات عليها وعبرت إحدى الطلقات بطنها ومزقت الجنين وتخلصت من الموت. فقد مضى ثماني سنوات على وجود لبنى في السجن، أما أخوها القاتل فلم يلبث في السجن سوى ستة أشهر لصغر سنه. وكلما حاولت "لبنى" للاسترحام من أفراد أسرتها ليسمحوا

---

[١]. صوفيا يسري صلاح جمعة، "تجليات الرؤية الواقعية النقدية في المكان في رواية شرفة العار لإبراهيم نصر الله"، *مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود*، العدد ٣٦ (٢٠٢٣): ٢٠٨.

[٢]. إبراهيم نصر الله، *شرفة العار*، ص ١٢١.

[٣]. المرجع نفسه، ص ٢٠٤.

لها بالخروج من السجن ومغادرة البلد، كرّر أبوها هذه الجملة: "حتى لو وضعتموها في زجاجة، وأغلقتم الزجاجة ورميتموها في البحر، سنصل إليها ونقتلها!"[١].

أما السجينة الأخرى "شامة" فحدثت عن قصتها لمنار خلال فترة وجودهما في السجن، أنها فوجئت بابنتها الشابة وَلدت نتيجة علاقة غير شرعية، "كما لو أن البنت حملت ليلة أمس وستلد بعد عصر ذلك اليوم!"[٢]، وهي توقعت أن أبنائها وزوجها سيذبحون بنتها الشابة في لحظة عودتهم إلى البيت. وبذلت "شامة" قصارى جهدها لتستر المولودة من أهلها، أخيرا وضعت يدها على فم المولودة وخنقتها، ووضعت جثتها تحت الكيس البلاستيكي.

وهذه القصص كلها تكشف أن تلك الجرائم لم تقتصر على منار فقط، وأن عدد الضحايا سيبقى بازدياد ما دامت رؤية المجتمع نحو المرأة باعتبارها مكبلا بمفاهيم تمنعها من تحقيق ذاتها الإنسانية.

إنّ الكاتب بهذه الإطلالة يعرّي ممارسات العقلية الذكورية التي تتحكم بمجريات الأمور في مجتمعات محافظة، وكأن الجاهلية مستمرة في المجتمع بأشكال وصيغ مختلفة. و"دستور الكون يقول: ستبقى شرفات العار تجللنا جميعا طالما بقي في شرقنا قانون يجيز ذبح الإناث، ويعلق نيشان بطولة فاجر على صدور المغتصبين والقاتلين"[٣].

---

[١]. المرجع نفسه، ص ٢٠٥.

[٢]. المرجع نفسه، ص ٢١٤.

[٣]. د. خالد الحروب" دمهن ... شرفات عارنا"، *جريدة الأيام*، ١٢ أبريل ٢٠١٠.

المبحث الثاني: الاغتصاب

إن الاغتصاب "هو اتصال رجل بامرأة جنسيا اتصالا كاملا دون رضاء صحيح منها بذلك"[١]. وتعد جريمة الاغتصاب من أبشع الجرائم وأخطرها بما أنها تساهم في الفوضى داخل الأسرة والمجتمع وتدمّر سلامة المجتمع واستقراره. تشير الاحصائيات الرسمية إلى أن ما يقرب من ٣٥ في المائة من النساء تعرضن للاغتصاب في جميع أنحاء العالم.[٢] وفي الأردن - حيث كتبت رواية شرفة العار- "تفيد دراسة للجنة الوطنية الأردنية لشؤون المرأة بأن ثلاثة أفراد من كل أربعة أردنيين تعرضوا على الأقل، لمرة واحدة، لأحد أشكال التحرش الجنسي"[٣].

إنّ عملية الاغتصاب التي صوّرها الأديب إبراهيم نصر الله في رواية شرفة العار غاية في القسوة، "منار" و"تغريد" الشخصيتان البارزتان تعرضتا للاغتصاب القاسي، الأولى "منار" اغتصبها يونس زميل أخيها "في حين أحس يونس بأنه يمتلك حجما من الجرأة لم يكن يتخيله، حين استطاع أن يستلّ منار من بين يدي صديقها الضخم"[٤]، ثم خوّفها بالقتل، حيث يقول السارد: "فجأة فتح يونس باب السيارة من الخارج، وفي أقل من ثانية، أحست منار ببرودة نصل ذلك الخنجر على رقبتها: "سأذبحك إذا تنفست!"

---

[١] . محمود نجيب حسني، *شرح قانون العقوبات القسم الخاص، جرائم الاعتداء على الأشخاص* (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٨٨)، ص ٢١٥.

[٢] . يارا حميدة، "١٠ دول تمتلك أعلى معدلات اغتصاب في العالم"، *المرسال*، ١٤ يوليو ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ١٩ يناير ٢٠٢٤، https://www.almrsal.com/post/1092556.

[٣] . طارق ديلواني، "معاناة صامتة لضحايا الاغتصاب في الأردن"، *INDEPENDENT عربية*، ٢٢ مارس ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ١٩ يناير ٢٠٢٤، https://www.independentarabia.com/node/204766.

[٤] . إبراهيم نصر الله، *شرفة العار*، ص ١٠٤.

...أغلق الباب بقدمه، وفي حرة سريعة رفع الخنجر عن رقبها، ألصق ظهرها بالباب، ...فقدت صوتها...جرها نحو ذلك السرير... بدأ يعريها من فستانها، وهو يشده للأعلى... تشبثت بالفستان، انتزعه بقوة.... عاد الخنجر لمكانه من جديد أكثر حذرا، في الوقت الذي كانت يده الأخرى تعريها مما تبقى عليها... عارية تماما تكومت أمامه... من فوق السرير قفز باتجاهها، رفعها من شعرها... بطرف الخنجر رفع وجهها لكي يجبرها على رؤيته...جرها من إحدى ساقيها، اصطدم رأسها بحديد السرير، بدأت تقاوم في تلك اللحظة، رفع الخنجر وهوى به نحو جسدها فتجمدت.. توقف رأس النصل على بعد سنتيمترات قليلة في جسدها، ثم تحركت يده بالخنجر نحو التقاء ساقيها...كان الخنجر يتقدم، وساقاها ترتعشان...قولي لأخيك، إن ما فعلته هو هديتي له بمناسبة زواجه، قولي له إن كان رجلا، فليحاول الوصول إلي"[١].

ومن خلال هذا المقطع تتبين وحشية الاغتصاب التي تعرضت لها "منار"، حيث "إن فعل الاغتصاب فعل عدواني ذكوري يختزل المرأة إلى مجرد عضو جنسي يعبر به الرجل عن فحولته"[٢]. بل قام يونس بالاغتصاب منار عندما عجز على مقاومة مثيله أمين انتقاما منه، وكان هذا الاغتصاب بهدف إذلاله والإساءة إليه حيث إن شرف الأنثى هو إثبات لفحولة الرجل. فهذه الاستراتيجية الحربية الشنيعة قد تعرضت لها منار بما أن حياة المرأة تنتهي مع ذهاب شرفها.

والثانية "تغريد" يُجبرها أخوها الأكبر على ممارسة الجنس، وتحمل منه، ومع هذا يقتلها بتوجيه تسع طعنات إلى جسدها مدعيا أنه قتلها بعد أن حملت من شاب وليس منه، واغتصاب تغريد يتجاوز

[١]. المرجع نفسه، ص١١٢-١١٤.

[٢]. الشريف حبيلة، *الرواية والعنف دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة* (الأردن: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠)، ص ٢٢٩.

اغتصاب "منار" رغم بشاعتها، لأنها كانت طفلة، خمسة عشر عاما .ولأنها، أجبرها أخوها على إخفاء فعلته معها، ثم ادعاءه بأنه أقدم على قتل شقيقته بدافع غسل العار.

يختلف موقف المجتمع نحو ضحايا الاغتصاب بناء على الثقافة السائدة في ذلك المجتمع، فمنهم من ينظرون إليهم على أنهم ضحايا جريمة خطيرة، وهنالك مجتمعات تنظر إليهم على أنهم مذنبون. أما النظام الاجتماعي الأسري السائد في هذه الرواية فتغيب فيه ثقافة الدعم للضحايا حيث ينظرون الى ضحايا الاغتصاب نظرة سلبية، لا يقدّم هذا المجتمع إليهم توفير الأمان والطمأنينة. لذلك تلج البطلة الرئيسية "منار" لتكتم الأمر داخل النفس وذلك لخوفها من بعض العادات والتقاليد البالية مثل النظرة السلبية أو التشهير فينتج عن ذلك آثار نفسية مثل الخوف والقلق والاكتئاب حيث "كانت بحاجة إلى بحر كي تغسل ما علق بها من ألم وانكسار"[١].

وبالجملة، قد صوّر إبراهيم نصر الله في روايته "شرفة العار" البطلة الرئيسية تتمثل لهوية المرأة مهمشة ومضطهدة ومقموعة حيث يمارس عليها الرجل شتى أنواع القهر من الاغتصاب وجريمة القتل ولكن "المجتمع يتسامح مع الذكر ان ارتكب الخطيئة عامدا متعمدا مصرا، ويثور على الفتاة وان كانت فريسة لوحوش آدمية قذرة، ولا يرضى بأقل من قتل الفتاة مسحا للعار بغض النظر عن وضع الفتاة أكانت برضاها أم مجبرة، فهو مجتمع مصاب بالعمى وفقدان البوصلة لا يفرق بين الحالتين، في حين يرى المجتمع أن الضحية الموت أهون لها من الاغتصاب"[٢].

أما رواية شرفة الهاوية، فقد تناول فيها إبراهيم نصر الله قضية التحرش بالمرأة في الأوساط الجامعية بالذات خلال الشخصية المحورية الثانية الدكتور كريم. وكان الدكتور كريم أستاذ في الجامعة

[١] . إبراهيم نصر الله، *شرفة العار*، ص ١١٧.

[٢] . سمية فودي، *الانتقام من الآخر في رواية شرفة العار لإبراهيم نصر الله*، رسالة ماجستير. جامعة محمد بوضياف، ٢٠١٩.

و"تقوم تجاربه مع المرأة على الخداع، ويستغل مهنته كأستاذ جامعي، لاستدراج الطالبات إلى سريره وابتزازهن عن طريق علامة النجاح. كما أنه يوظف معارفه الفكرية والنظرية في إدهاش النساء، ولفت انتباههن إليه"[١]، و"إن لديه قدرة غريبة مع النساء، يمكن أن يحوّل ابتسامات امرأة متّزنة إلى قهقهات تبتلع أصوات خمسمائة مدعوّ! إنه زير النساء الأول في البلد!"[٢].

يعتقد الدكتور كريم بأنه يمكن أن يسلب قلوب طالباته بجماله وأناقته وتشهد بذلك إحدى الطالبات: "في أول امتحان اقترب مني، وكنت منهمكة في الإجابة على أسئلته. دس ورقة صغيرة تحت ورقة امتحاني وابتعد ...وكم فزعت حين رأيت ورقة بيضاء مكتوب عليها رقم موبايل!"[٣].

ينبّه الدكتور كريم طلبته إلى جميع التفاصيل والأشياء في موضوع محاضراته لكنه كان مغرما بالطالبات يغازلهن ويجاملهن، وكانت علاقاته مع الطالبات وطيدة، فإحدى "تلك العلاقات أوشكت أن تدمّر حياته الأكاديمية مبكرا، إذ تعلقت به إحدى الطالبات، وكان يلتقيها في مكتبه، بل ويغلق المكتب عليهما غير عابئ بشيء..."[٤] ومن بين تلك الطالبات "نهى" التي بسببها طُرد من وظيفتها الجامعية حيث يصفها الدكتور كريم: بأنها "أوقعتني في فخ صغير، كذبة صغيرة، حملتها بنفسي وأوصلتها لذلك الذي سيقطع عنقي، كنت أشبه ما أكون بطرفة بن العبد، ذلك الشاعر الذي حمل كتاب إعدامه بيده!"[٥].

---

[١]. مصطفى الولي، "شرفة الهاوية" تخلع الأقنعة عن وجوه المجتمع العربي"، *العرب*، ١١ أكتوبر ٢٠١٤، تاريخ الاطلاع ٢١يونيو ٢٠٢٤، https://alarab.co.uk/.

[٢]. إبراهيم نصر الله، *شرفة الهاوية*، ص ١٩.

[٣]. المرجع نفسه، ص ٥٠.

[٤]. المرجع نفسه، ص ٥٤.

[٥]. المرجع نفسه، ص ٦٦.

ولما أُعيد الدكتور كريم إلى عمله في الجامعة بعد أن طُرد بسبب فضيحة تعرّض لها مع الطالبة "نهى" شغف بالطالبة "سامية" حيث يصفها الدكتور كريم: "في الفصل الثاني للسنة الدراسية الثانية لعودتي، دخلت تلك الفتاة بهدوء، وجلست في المكان الذي كانت تجلس فيه نُهى قبل ثلاثة أعوام. أبعدت شعرها الأسود الطويل عن جبينها، وبحركة ماهرة، ساحرة، حشرت تلك الخصلة المتمرّدة من شعرها خلف أذنها اليمنى من جهتي. كانت نسخة مثالية عن نُهى"[١]. وفي البداية فكّر الدكتور كريم أنها تكون أخة نُهى و" كانت نُهى نسخة مطابقة لسامية، كما لو أنهما توأمان"[٢]. وفي نهاية المطاف يقع الدكتور كريم في الفخ الذي نصبته سامية في غرفة الفندق وكانت تنتظره في غرفة الفندق ولم يتوقع الدكتور كريم أن يجتمع معها رفقة زملائها الطلبة، فيخرّ على الأرض صاعقا. فالدكتور كريم ليس مستحقا أن يعمل في الجامعة وهو مركب من نرجسية قاتلة ومغامر وشره ومفتون بالنساء وجميع همه إشباع رغباته ونزواته وشهواته.

ويتبين مما ذكر، أن الروائي إبراهيم نصر الله قد استعرض العنف المباشر الممارس ضدّ المرأة من قبل الرجال مثل الاغتصاب والتحرش الجنسي في رواية شرفة العار وشرفة الهاوية.

المبحث الثالث: الدعارة

إنّ الدعارة آفة اجتماعية سلبية لما لها من الأثر السلبي على بنية المجتمع وتقوم بتهديم بناء المجتمع من أساسه. ومن أهم آثار الدعارة على الصعيد الاجتماعي ظاهرة الأمهات العازبات والأطفال غير الشرعيين، كما تقود هذه الدعارة إلى تفكيك الأسرة وأواصرها الروحية والودية، وهذا ما يظهر في شخصية "تمام" المرأة المطلقة في رواية شرفة العار: "لما اندفعت نبيلة -زوجة أمين- نحو بيت تمام في

[١]. المرجع نفسه، ص ٢١٣.

[٢]. المرجع نفسه، ص ٢١٦.

آخر الليل وراحت تطرقه بعنف، إلى ذلك الحد الذي لم يجد معه أمين حلّا سوى أن يفتح لها الباب بنفسه.

أمسك نبيلة من شعرها وجرّها للداخل: أتريدين أن تسببي لي فضيحة؟! وفي اللحظة التي همّ بأن يصفعها فيها، أخفت وجهها بيديها تحميه.

امتدت يده وسحبها من كتفها، وخرج بها، في الوقت الذي كانت فيه تمام تستر في الداخل نفسها، وتتمتم: يا فضيحتك يا تمام!"[١].

وكذلك يصوّر الكاتب تفشي الجنس والمومسات في المجتمع العربي في شخصية "يونس" و"أمين": "معا، ذهبا إلى حانات، وإلى ملاه ليلية، لم يتخيل أمين أن يونس يمكن أن يجتاز عتباتها، تقاسما مومسا في الكرسي الخلفي للسيارة، أكثر من مرة، التقطا اثنتين عن الرصيف مباشرة، وانطلقا بهما إلى طريق ريفي خارج المدينة وأعادا الفتاتين إلى الرصيف ذاته وهما يلوّحان لهما مودّعين"[٢].

أما رواية شرفة رجل الثلج، فقد صوّر فيها الروائي قضية الدعارة من خلال شخصية السيد عارف غنام وعبداللطيف وبهجت حبيب، وكان يُحضر عبد اللطيف كل مرة واحدة من الفتيات الجميلات كي يستفيد منهن السيد عارف غنام، بحيث يقول السيد عارف غنام: "إن خدماته أنقذت حياته الجنسية العائلية حقا، فقد وصل به الأمر إلى طريق مسدود مع أم العيال، أمّا الآن فقد نالها نصيب، إذ أصبح يعود إليها بعد كل سفر كعريس جديد!"[٣]، وكذلك يجد بهجت حبيب أربع بائعات هوى في الممر الضيق وتهافتن عليه، وكل منهنّ تحاول استمالته واستدراجه إلى غرفتها الصغيرة، فاجأه أنهنّ

[١]. إبراهيم نصر الله، *شرفة العار*، ص ٧٩-٨٠.

[٢]. المرجع نفسه، ص ٨٦.

[٣]. إبراهيم نصر الله، شرفة رجل الثلج، ص ٣٤.

بدأن بسعر مرتفع ثم ينخفض السعر شيئا فشيئا، "كلهنّ خرجن مهزومات، رغم أنّ السّعر وصل في النهاية إلى سبعين ليرة لبنانية"[١].

وفي المرّة الأخرى، توّرط بهجت في مصيدة بائعات هوى بحيث ركبن في سيارته ثم أخذن يتحرشن به، قبل وصول الميدان، قالت له إحداهما: "نحن الآن بين يديك (شبّيك لبّيك) وبإمكانك أن تفعل بنا ما تشاء!"[٢] وأضافت الأخرى: "هل لديك مكان نمضي إليه ونستمتع قليلا؟! إن لم يكن هناك مكان محدّد، فيمكننا أن نمضي إلى فندق نعرفه، وهناك يمكن أن نستمتع دون مشاكل!"[٣]، ولما لم يطع لرغبتهما جعلت تصيح إحداهما بصوت مشروخ: "أنقذونا، سيغتصبنا"، فتخلّص بهجت من ورطة تثقل كاهله بإعطاء الراتب كله.

إنّ "الارتباط وثيق بين انتشار الدعارة في دولة ما، وكون تلك الدولة فاشلة. وتنتشر الدعارة في الدولة الفاشلة، لاعتبارها أحد أشهر وأسهل الطرق للحصول على المال منه، فتعمل المرأة أو الرجل في هذه المهنة، بغية الحصول على الأموال. ويبحث هؤلاء الأشخاص عن هكذا أنواع من العمل، لغياب فرص التشغيل في الدولة، فيكون الجنس والحانات هما الأكثر انتشارا فيها"[٤].

وبالجملة، فإن الدعارة تنتج عدة مشاكل أسرية وتكون عائقا أمام حركة الاجتماعية السليمة.

---

١. المرجع نفسه، ص ١٦٠.

٢. المرجع نفسه، ص ١٩٥.

٣. المرجع نفسه.

٤. محمد شهابي، "لهذا السبب تنتشر الدعارة في الدول الفاشلة"، *النهار*، ٢٣ أكتوبر ٢٠٢١، تاريخ الاطلاع ٢٨ مايو ٢٠٢٤، https://www.annahar.com/arabic/say7at/22102021040315348#.

المبحث الرابع: الرفض التام للتغير الاجتماعي

وقد عرّف عالم الاجتماع الأمريكي كينغسلي ديفيس التغير الاجتماعي بأنه "مجموعة الاختلافات التي تحدث داخل التنظيم الاجتماعي والتي تظهر على كل البناءات والنظم التي تحدث في المجتمع"[١]. قد يكون هذا التغير إيجابيا وقد يكون سلبيا، وهو صفة أساسية من صفات المجتمع. و"نتيجة للتغيرات الاجتماعية العميقة والمستمرة التي حدثت في المجتمع العربي فإن هذه التغيرات كان لها تأثيرها الواضح في بناء الأسرة العربية ووظائفها وغيرت من شكل الصورة العامة للأسرة العربية. وتتجلى أهم هذه التغيرات في خروج المرأة للعمل وحصولها الفرص المادية كالرجل في التعليم وهو من أهم آثار التغير الاجتماعي المباشر على الأسرة"[٢].

وقد قام إبراهيم نصر الله في روايته "شرفة العار" بتصوير موقف المجتمع العربي ضد التغيير في مجال التقني والتعليمي حيث رسم شخصية "سالم" وهو متشدد ديني يرفض التغييرات التي تقود الأسرة إلى التقدم. لأن الأسرة هي اللبنة الأساسية التي يقوم عليها بناء المجتمع. وكان العم "سالم" يرفض تعليم "منار" بنت أخيه ولكن أبوها يبذل جهده أن يوفّر لها كل ما تحتاجه من أجل أن تكمل تعليمها. ويؤكد ويعلن أمله بها: "هذه البنت ستتعلم، وستنجح، وسأرفع رأسي بها!"

"من لا يرفع رأسه بأولاده لن يستطيع أن يرفعها ببناته!"[٣] ردّ سالم.

ولما أتى "سالم" ليخطب "منار" لابنه وهو على يقين بأنّ أخاه أبا الأمين ألقاها في جهنم (الجامعة) لا بدّ أن يخرجها منها قبل أن تفسد أخلاقها، قال أبو الأمين: "ليس لدي بنات في عمر الزواج، بنتي

---

[١] . محمد عاطف غيث، *علم الاجتماع* (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠)، ص٣٢٥-٣٢٦.

[٢] . د. زيتوني عائشة بية، "التغير الاجتماعي وأثره على الأسرة وشخصية الأبناء"، *مجلة دراسات وأبحاث*، العدد ٢٨ (٢٠١٧): ١٠٢.

[٣] . إبراهيم نصر الله، *شرفة العار*، ص ١٠.

ناجحة والحمد لله، وما دامت ناجحة سأعمل كل ما أستطيع حتى تكمل تعليمها، حتى لو بعت ما عليّ من ثياب"[١].

"وفي ذلك اليوم، خرج سالم غاضبا".

***

"حينما توقفت سيارة أبي الأمين مع بنته منار أمام تلك البوابة الواسعة للجامعة قال لها: "لا تسمحي لأحد أن يمنعك من الوصول إلى هنا"[٢].

يتبين من خلال هذه المقاطع الروائية أنّ العم سالم كان معارضا لتعليم البنات ويؤكّد أن الدراسة في الجامعة تنتج اختلاط الطلاب والطالبات والمحادثة بينهما، وهذه من الأمور التي تفسد أخلاق البنات، وهذا ما يظهر من الحوار الآتي:

"سألهم عمّها سالم، باعتباره كبير العائلة، بعد كلمات ترحيب خالية من المعنى: ومن دلكم علينا؟ وأخبركم أن لدينا فتاة بعمر الزواج؟

تبادل عصام ووالده النظرات، وقال الأب بارتباك: كانا يدرسان في الجامعة معا، وأكّد لي عصام أنها البنت الأكثر رزانة والأرفع أخلاقا بين زميلاتها!

- كان يعرفها يعني، وتعرفه؟!
- يعرفها كزميلة له، كما تعرفه كزميل لها، هذا كل ما في الأمر؟!

[١]. المرجع نفسه، ص ٢٦.

[٢]. المرجع نفسه، ص ٢٨.

آها! علّق عمّها سالم ساخرا، وأضاف: تريد أن تقول لي إنه لم يكن يحدثها ولم تكن تحدثه؟!

تبادل عصام ووالده النظرات من جديد، وقال أبو عصام محاولا لجم غيظه ما استطاع: كأن العم سالم لا يعرف أن الطلاب والطالبات في الجامعة يدرسون في قاعة واحدة؟

لا، أنا أعرف هذا كله، ولكن أخي، والدها، لم يكن يريد أن يعرف هذا، وها هي النتيجة؟!"[1].

وكذلك يصوّر نصر الله اعتراض "سالم" على رغبة أبي الأمين في مسايرة ما يشهده العالم من تطور تقني: "كان أبو الأمين يقرأ الجريدة، ويتابع الأخبار، ويشاهد مع منار فيلما كل ليلة جمعة. لم يكن هذا الأمر يعجب سالم أيضا، سالم الذي ما إن رأى أحد الفنّيين يثبّت الصحن اللاقط فوق بيت أخيه حتى راح يركض منفعلا نحو البيت كما لو أن النيران تلتهمه.

ما الذي تفعله؟! صرخ في وجه أخيه، تركّب (سطلان) في بيتك، ألا تعرف ما الذي سيراه أولادك؟ ما الذي ستراه ابنتك؟!

بهدوء قال له أبو الأمين: سيرون ما أراه، وسنعرف ما يحدث في هذا العالم!

- وما الذي يحدث في العالم ولا تستطيع أن تراه في محطة تلفزيون هذا البلد؟!
- كل شيء!
- تعقل يا أبو الأمين، ولا تضعنا في هذا الموقف المشين!
- يا أخي، أنت كبيرنا وأنا أحترمك، ولكن ألم تلاحظ بعد، أن ليس هنالك من سطح واحد يخلو من طبق لاقط، سوى سطح بيتك؟

[1]. المرجع نفسه، ص ١٣٠.

- أستغفر الله. إنك تجني على نفسك وعلى عيالك، وستثبت لك الأيام هذا!"[1].

إنّ اليوم الذي تأخرت فيه منار بالعودة من الجامعة إلى البيت، خاف أبو الأمين عليها من أن تصيب الأخطار وقال: "سأشتري لها هاتفا نقالا؟!

هاتفا نقالا؟! شهق الجميع... وفي حسابات أمين، كان يرى أن كل أمر يمكن أن يحتمل باستثناء انفراد شابة بعمر أخته بهاتف نقال!"[2].

يظهر مما تقدم، أنه لم تكن من سالم موافقة سليمة نحو ما وجد عليه شقيقه أبا الأمين من حب لابنته وسعيه لتدريسها ومن رغبته في مسايرة ما يشهده العالم من تطور تقني. ويتبين ذلك في معارضته وقيامه ضد استخدام أخيه الصحن اللاقط للمحطات الفضائية التلفازية، وللهاتف النقال كذلك، وحتى يرفض التحاق ابنة شقيقه بالجامعة.

إن الكاتب يتهكّم تلك الشخصيات التي تعمل على تعطيل حركة المجتمع باتجاه التقدم والتحرر بما أنها تظل مشدودة للخلف وجامدة في طرائق تفكيرها. لا تزال تعج تلك الشخصيات في المجتمعات العربية بشكل عام.

المبحث الخامس: تداعي القيم

يتفق عامة الناس وأهل العلم خاصة على أهمية القيم، هي مجموعة الصفات الأخلاقية التي يتميز بها البشر، و"أنها مجموعة من المبادئ، تعمل على احترام الإنسان لنفسه وللآخرين كقيمة يتميز بها

[1]. المرجع نفسه، ص ٢٥-٢٦.

[2]. المرجع نفسه، ص ٣٥.

الإنسان، وتكون الوازع النفسي الذي يمنعه من الانحراف عن الصلاح. وذلك لصياغة سلوكه وتصرفاته في إطار محدد يتفق وينسجم مع المبادئ والقواعد التي يؤمن بها بقية أفراد المجتمع"[١].

إن رواية شرفة الهاوية هي رواية انحدار القيم، تجمعت في الشخصيات المحورية في الرواية صفات القبيحة بأنواعها المختلفة، تتصرف وكأن سلوكها تعدى كل القيم في الحياة الفردية والجماعية. فشخصية سلمان محمّلة بأخلاق الرذائل فهو الغني البخيل "حيث كان مهووسا بحجم ثروته، وتزايدها"[٢] وسجّل في ملف كل المشتريات للزوجة منذ وقت الخطوبة وهو النقابيّ المخادع والمسؤول الانتهازيّ والمفوّه الكذاب والزوج التاجر والوزير المزوّر والأب النذل والفاسق ورجل معطوب في إنسانيته، فيقول: "كل الأشياء يمكن أن أعتبرها مقبولة بلا حلالا، باستثناء الخمور، إنني أعتبرها الشيء الوحيد المحرم"[٣] ويقول: "كل الأشياء تبدو مقبولة، بل حلالا بالنسبة إليّ، باستثناء ترك الصلاة!"[٤] ويقول في موضع آخر: "كل الأشياء يمكن أن تكون مقبولة، بل حلالا بالنسبة إليّ، إلا الكذب!"[٥]. وتصفه زوجته ديانا حيث تقول:"... كان يمكن أن تقول: أتحدّث مع تاجر! سأصدّقك!، مع سمسار أراض! مع مهرّب! مع قاطع طرق! مع تاجر أعضاء بشرية"[٦].

فالدكتور كريم "الأستاذ الأنيق الذي يعتقد أنه قادر على أن يغرر بأجمل طالباته لقاء منحهنَّ العلامة الكاملة في امتحاناته. هي نرجسية تحرّكها الغريزة، ويقودها الغرور الذي يضرب بعرض الحائط كلّ القيم العلمية والأخلاقية والإنسانية. كريم ليس إلا مُركَّبٌ صغير من نرجسية قاتلة، قادته لأن يكون

---

[١]. علي بن مسعود بن أحمد العيسى، تنمية *القيم الأخلاقية*، رسالة ماجستير، كلية التربية قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤٣٠هـ.

[٢]. إبراهيم نصر الله، *شرفة الهاوية*، ص ١٤٨.

[٣]. المرجع نفسه، ص ٤٦.

[٤]. المرجع نفسه، ص ٣٠٧.

[٥]. المرجع نفسه، ص ٢٥٢.

[٦]. المرجع نفسه، ص ٢٨٨.

مسخرة أمام بعض طلابه وطالباته في إحدى محاولاته الفاشلة لاصطياد طالبة والالتقاء بها في أحد الفنادق، فإذا به يقع في فخ منصوب بمهارة ودهاء. سقط النرجسي الذي يرى ذاته: الأجمل، والأذكى، والأكثر أناقة وجاذبية"[١].

أما المحامية ديانا، زوجة سلمان، فهي تمثّل حلقة التي تربط بين فساد سلمان وفساد الدكتور كريم بعد أن تعرّفت إلى الدكتور كريم الذي حوّل علاقته بديانا إلى قصة غرامية.

المبحث السادس: الاغتراب

إن الاغتراب "هو وعي الفرد بالصراع القائم بين ذاته وبين البيئة المحيطة به بصورة تتجسد في الشعور بعدم الانتماء والسخط والقلق وما يصاحب ذلك من سلوك أو الشعور بفقدان المعنى أو للامبالاة"[٢]. ولقد "أشار علماء الاجتماع إلى أن الاغتراب من أهم وأخطر المشاكل الاجتماعية التي يواجه أفراد المجتمع في الوقت الراهن".[٣] وإن الشعور بالاغتراب يأتي نتيجة عن الأسباب الاجتماعية والسياسية والنفسية. و"تتصل بحالة الاغتراب هذه مشكلات التفكك الاجتماعي والثقافي والسياسي وتدهور القيم والتبعية والطبقية والطائفية والفئوية والسلطوية فتسود علاقات القوة والنزاع بدلا من علاقات التعايش والتضامن والتفاعل الحر والاندماج الطوعي"[٤].

---

[١] . د. محمد عبد القادر، "إبراهيم نصر الله في (شرفة الهاوية): مرارة الواقع في مرايا فاوست".

[٢] . صلاح الدين أحمد الجماعي، الاغتراب *النفسي الاجتماعي* (عمان: دار زهران للنشر والتوزيع، ٢٠١٠)، ص ٤٩.

[٣] حازم خالد، "الاغتراب يفقد الانسان لذة الوجود"، تاريخ الاطلاع ٢٠٢٤/٠١/١٠/٣٠، https://www.google.com/amp/s/alarab.co.uk.

[٤] الدكتور حليم بركات، *الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الانسان بين الحلم والواقع* (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٦)، ص ٢٨.

يحاور إبراهيم نصر الله في رواية شرفة الهذيان قضية الاغتراب التي استولت على الروح العربية نتيجة شعور الانسان بالعجز والوحدة وعدم السيطرة، لما فرضته الحكومة على الفرد. قد يشعر الانسان في بعض الأوقات أنه غريب عن المكان الذي يقوم فيه أو أنه يقوم في زمان غير زمانه، ولذا يحسّ بالأسى على عدم ذلك المكان الذي يصلح المكوث فيه أو العيش ضمنها، فإن الانسان لما يقع في إشكالية ضد العالم الذي يعيش فيه، بمكوناته المكانية والزمانية، فإنه يكون غير قادر على تشكيل هويته على صورة التي يحب تكوينها. وقد وردت قضية الاغتراب في هذه الرواية على أشكالها المختلفة ومنها:

الاغتراب الاجتماعي: "وهو الاغتراب عن المجتمع، ومغايرة معاييره، والشعور بالعزلة والهامشية الاجتماعية، والمعارضة والرفض والعجز عن ممارسة السلوك الاجتماعي العادي"[١]. ويظهر الاغتراب الاجتماعي في هذا المقطع الروائي:

"ما نسيتُ قوله: باستطاعة الذي يجيئك لالتقاط الصُّور، أن يوجّه الكاميرا إلى الشمال ويُصوّر، إلى الجنوب ويُصوّر، إلى الشرق ويُصوّر، إلى السماء ويُصوّر! أما إلى الغرب فإياك ثم إياك أن تسمح له بذلك"[٢]. يتجلى من هذا المقطع الروائي أن رشيد النمر بطل هذه الرواية بدأ أن يتعرف على عمله الغريب والخطير وأنه لم يتلق عملا مثله من قبل ويشعر أنه غريب عن عادات وتقاليد مجتمعه.

كما يتجلى هذا الاغتراب الاجتماعي في هذا المقطع الروائي:

"قال الصغير: ولكني أحذّرك، فلقد رأيت صقرا يتجول في سماء المنطقة.

---

[١]. عبد الله عبد الله، *الاغتراب النفسي وعلاقته بالصحة النفسية لدى طلاب الجامعة*، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر يوسف بن خدة، ٢٠٠٨.

[٢]. إبراهيم نصر الله، *شرفة الهذيان*، ص ٢٠.

- وما الذي يمكن أن يأتي بصقر إلى هنا؟!"[1].

وقد شعر "رشيد النمر" بأنه غريب عن مجتمعه حينما قال له ابنه الصغير بأن الصقر يتجول في هذا السماء ويأتي إلى هنا بما أنه لم ير عادة صقرا في هذا المكان.

كما يظهر الاغتراب الاجتماعي في هذا المقطع:

"أما امرأته فقالت له بمجرد أن ألقى برأسه إلى جانب رأسها: لم أكن أعرف أن الحمام يأكل العصافير من قبل!!"[2] لا تعتقد زوجة البطل رشيد أن ترى حماما يأكل العصافير، فهذا أمر غريب لا يطابق مع طبيعة ما عايشته. فيظهر هنا اغتراب اجتماعي.

وقد ورد الاغتراب النفسي في هذه الرواية حيث إنه "شعور الفرد بالعزلة، وعدم الانتماء وفقدان الثقة، ورفض القيم والمعايير الاجتماعية والمعاناة من الضغوط النفسية وتعرض وحدة الشخصية للضعف والانهيار بتأثير العمليات الثقافية والاجتماعية التي تتم داخل المجتمع"[3]. كما ورد هذا النوع من الاغتراب في هذه العبارة من الرواية: "بحث عن ابنته، تلك التي لا تتأخّر عن مدّ يد العون له، بصمتها الغريب، كلما احتاج لذلك، لم تكن بينهم"[4]، يتبيّن هنا اغتراب نفسي حيث يشعر رشيد النمر بالضعف والوحدة وهذا ما يبيّن عجزه، فثقته بالنفس متعلقة بحالة القوّة التي انطبعت في ذهنه بمعاونة ابنته.

---

[1]. المرجع نفسه، ص٣١.

[2]. المرجع نفسه، ص ٣٨.

[3]. عبد الله عبد الله، *الاغتراب النفسي وعلاقته بالصحة النفسية لدى طلاب الجامعة*.

[4]. إبراهيم نصر الله، *شرفة الهذيان*، ص ١٨.

كما يتجلى هذا الاغتراب النفسي في هذه الجملة: "كانت المشكلة الوحيدة التي استسلم أمامها المصعد، فبعد محاولات كثيرة لإصلاحه، باءت جميعها بالفشل، أصبح أحيانا، يغض الطرف عن هذا النقص الذي كان يصيب العمارة في الصميم"[١]، هنا تظهر حالة الفشل والعجز للبطل رشيد النمر وهو يستسلم للوضع المفروض، وهذا ما يرسّخ في نفسيته الشعور بالنقص والإحباط والوحدة ومن ثم يتعرض للاغتراب النفسي.

كما جاء الاغتراب النفسي في موضع آخر في رواية شرفة الهذيان: "وحين عاد الولد للبيت اختلى بغرفته سبع ليال"[٢] يعيش "ابن رشيد" منفردا بنفسه في غرفته ولا يكلم أحدا ولا يتمتع بعلاقات خارجية بما أنه تعرّض للانهيار والضعف بتأثير من العالم الخارجي، فيتبيّن أن ابن رشيد في حالة اغتراب نفسي.

يظهر من قول الشرطي في هذه الرواية أن البطل رشيد النمر في اغتراب ذاتي بما أنه غريب عن أسرته وعن أهله حتى عن ذاته ولا يدرك ما يدركه الشرطي رغم أنه هو أولى بالإدراك، وهذا ما يظهر في قول الشرطي للبطل: "أتريد القول إنك تعرف أكثر مني؟! وحين لم يجب أضاف الشرطي: وهل أنت واثق من أن أبناءك، أو زوجتك، لم يحلموا في غفلة منك؟!!"[٣].

وكما تتجلى حالة اغتراب ذاتي في شخصية ابنة رشيد البطل حينما "سألها الطبيب: لماذا أنت هنا؟ ردت: لا أعرف!"[٤] فهي لا تعلم سبب وجودها عند الطبيب.

---

١. المرجع نفسه، ص ٢٥.

٢. المرجع نفسه، ص ٧٢.

٣. المرجع نفسه، ص ٢٤.

٤. المرجع نفسه، ص ٣٩.

ويحس البطل رشيد النمر الاغتراب الزماني حينما كان "في طريقه لاستلام عمله الجديد، كان متفائلا إلى حد لم يخطر له ببال، السماء مضاءة بزرقة تذكر بمحيط، والأشجار أكثر خضرة مما رآها في أي يوم مضى. لكن الشيء الوحيد الذي لم يكن يتلاءم أبدا مع جلال المشهد كان فرط الصمت. صمت عميق لا يليق بصباح يذهب فيه المرء لاستلام عمل جديد مرتديا أفضل ملابسه"[١]، يتبين من هنا أن البطل في حالة غريبة وهي عدم انسجام الموقف مع زمن فرط الصمت.

كما يتجسد الاغتراب الزماني في شخصية رشيد النمر لما كان في الطريق إلى مكان عمله الجديد، يقول الراوي في هذا الصدد: "مر وقت طويل على قطرتي الدم اللتين كانت تفصل بينهما ثلاث دقائق على الأقل بحيث يمكن القول: لقد نسيهما تماما"[٢]. وقد أحس رشيد النمر بالاطمئنان لأنه لم تتكرر هذه الظاهرة فتحول زمن الخوف إلى زمن ماضي.

ويظهر الاغتراب المكاني في شخصية رشيد النمر حينما كان في مكان عمله الجديد، حيث يقول الراوي: "بعد انتهاء الدوام، أغلق بوابة المركز جيدا وقرر التجول حوله لمعرفة المكان أكثر"[٣]، يشير هذا المقطع إلى أن البطل رشيد النمر غريب عن مكان عمله الجديد ويريد أن يتجول ليطّلع على أسرار هذا المكان كثيرا.

كما يتجسد الاغتراب المكاني في هذا المقطع الروائي: "نظر رشيد النمر إليه ودب الفزع فيه أكثر، ووجد نفسه يلعن اليوم الذي جاء له إلى هنا، اليوم الذي جعله يقبل بوظيفة كهذه لا علاقة بتخصصه أو برغبته، أو حتى بهواياته! هذه الوظيفة التي لا يفهمها، ولم يفهم أبدا ما عليه أن يقوم به حين يؤديها،

---

[١]. المرجع نفسه، ص ٧.

[٢]. المرجع نفسه، ص ٢٥.

[٣]. المرجع نفسه، ص ١١.

غير أن يكون في هذا المكان"[١]. يبدو رشيد النمر مغتربا في عمله الجديد بما أنه لا يوافق عمله مع تخصصه ولذلك شعر بنوع من الخوف عما يتحول عليه في المستقبل من هذا العمل والمكان. وقد جعله الخوف وعدم التوافق يحس بالاغتراب، فهو لا يستطيع أن يحقق رغبته لعدم انسجامه مع عمله.

ويتبين الاغتراب المكاني في شخصية رشيد النمر حينما كان في المركز الإعلامي، حيث يقول الرواي: "فكر: كيف عليّ أن أستعين أكثر بخبرة الرجل العجوز، وأن أسمع منه بعض تفاصيل ما حدث معه طوال الفترة التي أمضاها في المركز"[٢]. أحس رشيد النمر بالاغتراب حيث إنه وحيد ومحتاج إلى نصائح ذلك الرجل العجوز ولا يعرف مزيدا عن هذا العمل والمكان الغريب.

ويوجد كذلك الاغتراب السياسي في رواية شرفة الهذيان وهو"شعور الفرد بالعجز إزاء المشاركة الإيجابية في الانتخابات السياسية المعبرة بصدق عن رأي الجماهير، وكذلك الشعور بالعزلة عن المشاركة الحقيقية الفعالة في صنع القرارات المصيرية المتعلقة بمصالحه واليأس من المستقبل على اعتبار أنّ رأيه لا يسمعه أحد، وإن سمعه لا يهتم به ولا يأخذ به"[٣].

ومن الاغتراب السياسي الذي ورد في رواية شرفة الهذيان ما جاء في هذا المقطع: "لسلامة الزبائن، على كل صاحب مطعم أن يلتزم بشراء العصافير من مذبح الحكومة مباشرة!"[٤]، يحس المواطن هنا بعدم

---

[١]. المرجع نفسه، ص ١٩.

[٢]. المرجع نفسه، ص ٨١.

[٣]. عبد اللطيف محمد خليفة، *دراسات في سيكولوجية الاغتراب* (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،٢٠٠٢)، ص ٩٧.

[٤]. إبراهيم نصر الله، *شرفة الهذيان*، ص ٤٥.

الحرية وبالسيطرة ويشعر أنه غريب في وطنه بما أن الحكومة تفرض عليه قرارها، وهذا اغتراب سياسي.

ويتجلى هذا النوع من الاغتراب في شخصية زوجة رشيد النمر لما رأت القفص الضخم ممتلئا بالعصافير "صرخت: رحنا في داهية! هل جُننتَ لتشتري كلّ هذه العصافير ومعها القفص؟! كان يمكن أن تصنع القفص على الأقل، كي لا يفتحوا ملفا لك ولأولادك ولأولاد أولادك وربما يضعون اسمي فيه!!"[1].

يظهر هنا اغتراب زوجة رشيد النمر بسبب حيرتها وخوفها عما سيحدث لها وما ستعيشه، وهذا الاغتراب سياسي حيث إنه يتعلق بسيطرة الحكومة.

يتجلى مما سبق، أن الروائي إبراهيم نصر الله صوّر حالة الاغتراب التي احتلت على الانسان العربي نتيجة شعوره بالعجز والوحدة وعدم السيطرة، لما فرضته الحكومة على الفرد، وتلك ظاهرة في شخصيات مختلفة بما فيها بطل الرواية رشيد النمر وأسرته.

[1]. المرجع نفسه.

خاتمة البحث

حاولت هذه الدراسة للوقوف على ما صوّره الروائي إبراهيم نصر الله من الواقع العربي سياسيا واجتماعيا وثقافيا في الروايات الأربع الأولى من مشروع الشرفات، كما ناقشت عتبة العنوان ومكونات السرد الروائي وعناصر البناء الروائي والمضامين لهذه الروايات، بالإضافة إلى ذكر مسيرة الكاتب الشخصية والأدبية.

وقد خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

- إنّ الأدب فنّ من الفنون الجميلة تنعكس فيه مظاهر الحياة الاجتماعية، يعتمد الأديب أساسيا على مجتمعه وهو يأخذ من المجتمع ما يحتاج إلى الإنتاج الفني ثم يردّه إليه في صورة منتوج كامل، وهذه علاقة متينة بين المجتمع والأدب. وتعدّ الرواية من أكثر الفنون النثرية قدرة على تصوير الواقع الذي عايشه وعلم به الروائيون.
- إنّ إبراهيم نصر الله كما كان مبدعا في الشعر وفن الرسم، كان مبدعا في الرواية أيضا. وقد دخل عالم الرواية نتيجة المعاناة التي واجهها في القنفذة من المملكة العربية السعودية. ولم يكن الشعر كافيا للتعبير عن تلك المعاناة كلها. ومن العوامل التي أثرت في تجربته الروائية حياته في المخيمّ ورحلته إلى وطنه المحتلّ وعمله في الصحافة وتأثيره بالأدباء البارزين مثل نجيب محفوظ وغسان كنفاني.
- تنقسم روايات إبراهيم نصر الله إلى أربعة أقسام، الأول ما كتبه في مشروع الملهاة الفلسطينية، والثاني الروايات التي تنتمي إلى مشروع الشرفات، والثالث ثلاثية الأجراس، والرابع ما كتبه نصر الله من الروايات المستقلة دون أي عنوان أصلي.

- قد كتب إبراهيم نصر الله مشروع الشرفات بغية كشف الواقع الذي تعيشه المجتمعات العربية من كل الجوانب من الاجتماعية والسياسية والثقافية، وقد ضم هذا المشروع سبع روايات.
- يقوم المستوى الدلالي لعنوان الروايات الأربع الأولى من مشروع الشرفات على النقيض تماما من المعنى اللغوي لمفردة الشرفة، وإضافة الشرفة الدالة على المكانة الرفيعة إلى أوصاف كالهذيان ورجل الثلج والعار والهاوية تعد من قبيل المناقضة التامة، كما يغلب على ظاهر هذه العناوين الغريبة طابع السخرية ويحمل جوهرها دلالة عميقة على الواقع العربي.
- إنّ الكاتب إبراهيم نصر الله ينظر خلال رواية شرفة الهذيان- الرواية الأولى من سلسلة روايات الشرفات- إلى الواقع العربي منذ احتلال الكويت مرورا بأحداث ١١ سبتمبر، إلى ما بعد سقوط العراق. لقد تمّ تقسيم هذه الرواية إلى عناوين فرعية كثيرة تصل إلى ٣٧ عنوانا، تتخذ كل واحدة منها تراكيب مختلفة لعناوين فصولها، كما وردت أربعة عشر عنوانا منها بعبارات تصنيفية في ثنائيات ضدّية.

جاءت الشخصيات كلها في هذه الرواية بلا أسماء، عدا رشيد النمر، مع ما يحمله هذا الاسم من المفارقة، فالمسمّى ليس رشيدا ولا شجاعا، وهو يمثل ملايين العرب المسكونين بالفزع والإحباط.

وأمكنة هذه الرواية جاءت بدون أسماء فلأنّ ذلك يمثل فضاء روائيا أوسع، كما يشمل المنطقة العربية جميعها. وتبدأ تقنية الاسترجاع من العنوان "يا أمي"، ويتخلل الاستباق بعض الاسترجاع لحث القارئ على المتابعة. أما تقنية المشهد فقد وردت في الرواية كثيرا، فصار هذا النوع الأدبي إلى المسرحية أقرب منه إلى الرواية.

يتجسد "الراوي العليم" و"الراوي محدود العلم" و"المروي له غير الممسرح" و"المروي له الممسرح" في هذه الرواية، وفي مواقع أخرى، يؤدي الراوي العليم دوره في التدخل القسري في أحداث الرواية. أما المروي فيتخلل السرد الروائي مقاطع الشعرية ذات علاقة في المضمون الكلي للبنية الروائية، وتبرز العلاقة بين الرواية والمسرح على جوانب شتى بحسب حاجة السرد إلى المسرح، كما تشير هذه الرواية إلى تأثير السينما فيها على مستوى المشهد واللقطة والحوار وتقريب الوجوه، وتفيد من تقانات السينما -خاصة المونتاج- إفادة واسعة.

إن الكاتب كسر جميع أشكال السرد التقليدية في هذه الرواية، وعمد إلى الفنون التعبيرية بأشكالها المتنوعة مثل تضمين أخبار صحفية وإلصاق المشهد البصري لهدف السردي حيث يمكن أن يطلق عليه أسلوب السرد المتعدد الوسائط.

- يستعرض الروائي في رواية شرفة رجل الثلج- الرواية الثانية من مشروع الشرفات- معاناة الانسان العربي المعاصر ومواطن الخلل البارزة في الوسط الثقافي. تتشكل رواية شرفة رجل الثلج من ثلاث روايات، في رواية واحدة - كتاب واحد، تكمل الواحدة منها الأخرى وتتوغل في خفاياها وتنقدها، تكملها حينا وتنفيها حينا آخر. إنّ هذا النص الروائي قائم على سرديات ثلاث، الأولى سردية الكاتب، والثانية سردية الشخصية الرئيسية التي جاءت تحت عنوان "ما لم أقل" (مذكرات بهجت حبيب)، أما السردية الثالثة فقد جاءت تحت عنوان "ما ظل خفيا"، ولم تحتو إلا الصفحات القليلة الخالية تماما من أية كتابة بحيث يدعو هذا القسم الأخير للقارئ أن يقترح تصوراته لما ظل خفيا خلف السرديتين الأوليين في الرواية فيكون القارئ كاتبا ثالثا للسردية.

استخدم الروائي إبراهيم نصر الله تقنية "الصورة المقربة" في رسم الشخصيات، بحيث إنّ الكاتب يبالغ في الأوصاف التي تشير إلى نمط الشخصية في اتجاهاتها ومواقفها وعلاقاتها بالواقع وبالآخرين.

يظهر"الراوي العليم" في القسم الأول (سردية الكاتب) في هذه الرواية، ويتم سرد القسم الثاني (سردية الشخصية الرئيسة) على لسان "الراوي المشارك" كما يتجسد "المروي له الممسرح" و"المروي له غير الممسرح" في هذه الرواية.

إنّ الحدث الروائي (المروي) يسير على نسق التتابع والتضمين اعتمادا على العلاقات السردية التي يقيمها حدث مع آخر. أما نسق التتابع فيسير عليه حدث تنفيذ حكم الإعدام على أحد المحكومين، فنسق التضمين وقد لجأ إليه الراوي في إيراد حكاية الشاعر العربي طرفة بن العبد مع والي بحرين، كذلك، يتم تضمين الأخبار الصحفية في النص السردي مع علاقة بين النص المركب والحدث الروائي.

- لقد أصدر الروائي إبراهيم نصر الله روايته "شرفة العار" الرواية الثالثة من مشروع الشرفات سنة ٢٠١٠ تزامنا مع اليوم العالمي للمرأة، تدور الرواية حول قتل المرأة ببواعث تطهير الشرف الملطخ، كما تبرز هذه القضية من خلال شخصية "منار" بطلة رواية "شرفة العار" التي يفتتحها الروائي بتقرير التنمية البشرية للأمم المتحدة عن عدد ضحايا جرائم الشرف في العالم عام ٢٠٠٩. وقد دافع إبراهيم نصر الله في هذه الرواية عن المرأة ببيان العذاب والظلم المنصّب عليها من الأهل والأقارب والجيران.

جاءت شخصيات الذكور جميعها في الرواية بصورة سلبية، أما الشخصيات النسائية فمعظمها جاءت بصورة ضحية سوى صورة السجانات، فهذه الرواية رواية نسائية وتنحاز للمرأة.

تتألّف هذه الرواية من أربعة أبواب، لكل منها عنوان فرعي، ويشتمل كل قسم على مجموعة وحدات سردية طويلة. وقد استخدم الروائي تقنية التناصّ في شكلها المباشر، فأتى بمادة لغوية في شرح لفظة "شقيق" ونكات مختلفة. وأردف في نهاية الرواية برسالة مكتوبة بخط اليد مرسلة من البطلة إلى عائلتها.

يتجسد "الراوي العليم" و"المرويّ له غير الممسرح" و"المرويّ له الممسرح" في هذه الرواية. أما المروي فتعتمد هذه الرواية في بنائها السردية على نسق التتابع والتداخل والتوازي والتضمين والتكرار. فنسق التتابع تسير عليه رواية شرفة العار في حادثة اغتصاب منار ومقتلها. وجاء نسق التداخل في الوقت الذي يقوم الراوي فيه بسرد الأحداث المتعلقة بأبي الأمين وما تسبب المرض فيه من الآلام. يظهر أثر نسق التوازي في هذه الرواية وقد تم سرد الحدثين في آن واحد، ولكن يختلف مكان وقوعهما، ففي الوقت الذي يجري فيه الحدث الأول في البيت وشخصياته هم الأمّ والأب وزوجة الابن. أما الحدث الآخر فيجري في الجامعة حيث تتوقع "منار" والدها مع "عصام". واعتمد نصر الله في هذه الرواية أيضا على تضمين عنوان الصحفية ذي علاقة بين الحدث الروائي والنص المركب. أما نسق التكرار فقد اعتمد عليه الروائي في تكرار سبع وحدات سردية بأجمعها في موضعين مختلفين في الرواية، يهدف هذا التكرار إلى استعادة لحظة روائية ويذكّر ذكرى والتأكيد على واقعة، وهذا ما يدل على مهارة جليلة لدى الروائي.

- تدور رواية شرفة الهاوية- الرواية الرابعة من سلسلة روايات الشرفات- حول تأثير الفساد في تصرفات الأفراد ومواقفهم من القضايا الاجتماعية والانسانية من خلال شخصيات ثلاث منقسمة: وزير متنفذ، وأستاذ جامعي، ومحامية، حيث المتنفذ لا يتقن شيئا مثلما يتقن انتهاك الأوطان، والأستاذ الجامعي لا يتقن شيئا مثلما يتقن التحرّش بطالباته، والمحامية لا تتقن شيئا مثلما تتقن افتقادها لتحقيق العدالة لنفسها.

يقوم معمار رواية شرفة الهاوية على أربعة أقسام رئيسة، تتفرع من كل قسم عناوين فرعية ذات علاقة بتنامي الأحداث، قد اهتمّ الروائي بالتدوير الزمني في بعديه الدلالي والإيقاعي في البناء الروائي، فالمشهد الأول الذي تبدأ فيه الرواية، هو نفسه المشهد الذي يختتم به الحدث الروائي.

إن هذه الرواية ذكرت الأردن مكانيا ولم تغرق في تخصيص المكان واكتفت الرواية بوصف المطاعم والشوارع لا غير، وبالتالي جعلت الحكايات تطبق على كل المجتمعات العربية.

يتدخل "الراوي العليم" و"الراوي المشارك/الذاتي" و"المروي له الممسرح" و"المروي له غير الممسرح" طوال هذه الرواية، والأجدر بالذكر أن الراوي المشارك/ الذاتي في هذه الرواية يتناوب على ألسنة أربعة أشخاص، وهم الوزير سلمان بيك، والأستاذ الدكتور كريم، وزوجة سلمان المحامية ديانا، والطالبة نُهى راضي. أما "المروي" فقد اعتمد الروائي على نسق التضمين في الرواية، فيتم تضمين المذكرات اليومية لسلمان مع الإشارة إلى تاريخ هذه اليوميات، وحكايات غراميات الدكتور كريم، والرسالة التي أرسلها الدكتور كريم إلى سلمان عبر البريد الإلكتروني.

يستنتج البحث النقاط التالية من حيث الو اقع السياسي العربي:

- قد تناول إبراهيم نصر الله في رواية شرفة الهذيان النظام العالمي الجديد من خلال شخصية " الصقر"، وقد بدأ النظام العالمي الجديد منذ أن وصل "بوش" في زيّ العسكري، وهذا النظام العالمي الجديد حوّل المواطن العربي إلى عصفور سجين وحوّل العالم إلى قفص، لذلك، وهو يعيش أزمة حرية مركبة، مصدرها العصر الجديد وتأثيراته على علاقة النظام العربي السياسي بالمواطن. كما تناول الكاتب رؤية الاتهامية للنظام العالمي الجديد، وأن الشخصيات مسكونة بالفزع والإحباط في النظام العالمي الجديد.

سادت أجواء الصراع والقتل في النظام العالمي الجديد، كما كان لذلك آثار ثقافية انعكست في النفس والمجتمع والإنسان حتى صار إلى غياب البعد الإنساني في خطاب النظام العالمي الجديد وممارسته وتحوّل هذا النظام إلى كابوس مرعب.

- قد صوّر الكاتب إبراهيم نصر الله في رواية شرفة الهذيان النظام العربي من خلال صورة "الشرطي". تتكشف شخصية الشرطي جليا في الرواية بما أن صورة النظام العربي تتجلى من خلال صورته وفي قرقعة سلاحه المدوية تعبيرا عن القمع والتهديد اللذين تفرضهما السلطة. وأن الشرطي الذي يظهر حارسا للحرية والديموقراطية يقوم، في الوقت نفسه، بالقمع والتهديد على معظم الشخصيات.

- إنّ الروائي إبراهيم نصر الله يستعرض في رواية شرفة الهذيان معاناة المواطن العربي من خلال شخصية "العصفور"، بما أنّ النظام العالمي الجديد حوّل المواطن العربي إلى عصفور سجين، وحوّل العالم إلى قفص، وهذا العصفور الذي يمثل العربي الضحية يسعى لنيل حريته بتحطيم قفصه. لقد ربطت هذه الرواية بين العصفور والحرية لتبرز عن أزمة الحرية

وهموم المقهورين في رحلتهم التحررية. تقول هذه الرواية إن العصفور قد حطم القفص ونال حريته ولماذا لا يحطم الإنسان العربي أقفاصه وقيوده كي يعيش في وطن ترفرف عليه أجنحة الحرية والعدالة ونعمة الديمقراطية.

- يتناول الروائي في رواية شرفة رجل الثلج القمع المُمارَس ضد النُّخب الثقافية والسياسية. هذه الرواية توسع هذا الأمر بغوصها في مساحة أخرى هي مساحة الإنسان العادي، وهذا الإنسان العربي المقهور يواجه الويلات من حكومته، فتكون الحكومة عليه وبالا بدل أن تكون مساندا على المواطن العادي. إنّ الحكومة تبالغ في الشك بالمواطنين وتتبع السياسة المخابراتية التي تراقب كل حركة يخطوها المواطن، وتسجلها الحكومة في الملف، وتفتح له الحكومة الملفات الضخمة منذ قبل الولادة، حتى صار الخوف من الحكومة كابوسا يخطف الاطمئنان والأمان.
- إنّ الروائي إبراهيم نصر الله صوّر في رواية شرفة الهاوية الفساد السياسي خلال شخصية سلمان بيك، وقد تخلى عن دوره المجتمعي، وأصبح همه الوحيد السلطة، هي التي في نظره ستحقق له الرفاهية والمكانة والمصالح الشخصية، وأنّ السلطة عادة ما تقترن بالفساد، لأنها تتعلق بالمكانة السامية والامتيازات والثروة.

ومن أهم نتائج البحث من حيث الو اقع الثقافي العربي:

- إنّ الروائي إبراهيم نصر الله أشار في رواية شرفة رجل الثلج إلى بعض مواطن الخلل البارزة في الوسط الثقافي من خلال سرد سيرة مندوب صحفي "بهجت حبيب". تدين هذه الرواية على الذين تسربوا إلى عالم الصحافة في غفلة من الزمن، ومستويات منخفضة التي وصلت إليها الصحافة، كذلك تدين هذه الرواية سرقة الأعمال الأدبية للآخرين لإظهار موهبة الكتابة

الإبداعية. وتستعرض هذه الرواية تلك العلاقة المشبوهة بين المثقف والسلطة وكيفية استغلال البعض مناصبهم كي يتحققوا مكاسب شخصية لهم.

ومن أهم نتائج البحث من حيث الو اقع الاجتماعي العربي:

- لقد تناول الروائي في رواية شرفة العار قضية جريمة الشرف التي تتعرض لها المرأة، فتعدّ شرفة العار الرواية الأولى داخل الأردن في تركيز الرواية كاملة لقضية جريمة الشرف، حيث إنّ الرواية يفتتحها الكاتب إبراهيم نصر الله بتقرير التنمية البشرية للأمم المتحدة عن عدد جرائم الشرف. تتمحور في هذه الرواية قصة فتاة "منار"، تقع ضحية نزاع مادي بين الرجلين، ثم تعرضت لجريمة الشرف. تشير هذه الرواية إلى الإهانة والذلّ ومظاهر الانتهاك الروحي والجسدي والمعاناة النفسية التي تتعرض لها ضحايا جرائم الشرف من قبل السلطات التي يجب عليها توفير الحماية والدعم لهنّ، ولكنّ السلطة تبرّر هذه الفعلة من خلال القوانين التي تحمي القاتل. إن هذه الرواية تقول إن تلك الجرائم لم تقتصر على منار فقط، وأن عدد الضحايا سيبقى بازدياد ما دامت رؤية المجتمع نحو المرأة باعتبارها مكبلا بمفاهيم تمنعها من تحقيق ذاتها الإنسانية.
- إنّ الروائي إبراهيم نصر الله قد استعرض العنف المباشر الممارس ضدّ المرأة من قبل الرجال مثل الاغتصاب والتحرش الجنسي في رواية شرفة العار وشرفة الهاوية. تعد جريمة الاغتصاب من أبشع الجرائم وأخطرها بما أنها تساهم في الفوضى داخل الأسرة والمجتمع، وتدمّر سلامة المجتمع واستقراره. تشير الاحصائيات الرسمية إلى أن ما يقرب من ٣٥ في المائة من النساء يتعرضن للاغتصاب في جميع أنحاء العالم. وفي الأردن - حيث كتبت رواية شرفة

العار- يشير تقرير اللجنة الوطنية الأردنية لشؤون المرأة إلى أن ثلاثة أفراد من كل أربعة أردنيين يتعرضون على الأقل، لمرة واحدة، لأحد أشكال التحرش الجنسي.

إنّ عملية الاغتصاب التي صوّرها الأديب إبراهيم نصر الله في رواية شرفة العار غاية في القسوة، "منار" و"تغريد" الشخصيتان البارزتان تعرضتا للاغتصاب القاسي، الأولى "منار" اغتصبها يونس زميل أخيها والثانية "تغريد" يُجبرها أخوها الأكبر على ممارسة الجنس، وتحمل منه، ومع هذا يقتلها بتوجيه تسع طعنات إلى جسدها مدعيا أنه قتلها بعد أن حملت من شاب وليس منه.

إن النظام الاجتماعي الأسري السائد في هذه الرواية فتغيب فيه ثقافة الدعم للضحايا، حيث ينظرون الى ضحايا الاغتصاب نظرة سلبية، لا يقدّم هذا المجتمع إليهم توفير الأمان والطمأنينة.

أما رواية شرفة الهاوية، فقد تناول فيها إبراهيم نصر الله قضية التحرش بالمرأة في الأوساط الجامعية بالذات خلال الشخصية المحورية الثانية الدكتور كريم.

- تناول الروائي قضية الدعارة في رواية شرفة العار وشرفة رجل الثلج، حيث إن الدعارة تنتج عدة مشاكل أسرية وتكون عائقا أمام حركة الاجتماعية السليمة، كما تقود إلى تفكيك الأسرة وأواصرها الروحية والودية، وهذا ما يظهر في شخصية "تمام" المرأة المطلقة في رواية شرفة العار. وكذلك يصوّر الكاتب تفشي الجنس والمومسات في المجتمع العربي في شخصية "يونس" و"أمين". أما رواية شرفة رجل الثلج، فقد صوّر فيها الروائي قضية الدعارة من خلال شخصية السيد عارف غنام، وعبد اللطيف، وبهجت حبيب، وكان يُحضر عبد اللطيف كل مرة واحدة

من الفتيات الجميلات كي يستفيد منهن السيد عارف غنام، كما صوّر الروائي توّرط بهجت في مصيدة بائعات هوى وما نتج عنه من آثار سلبية.

- قام إبراهيم نصر الله في روايته "شرفة العار" بتصوير موقف المجتمع العربي ضد التغيير في مجال التقني والتعليمي، حيث رسم شخصية "سالم" وهو متشدد ديني يرفض التغييرات التي تقود الأسرة إلى التقدم، وأنه كان معارضا لتعليم البنات، ويؤكّد أن الدراسة في الجامعة تنتج اختلاط الطلاب والطالبات والمحادثة بينهما، وهذه من الأمور التي تفسد أخلاق البنات، وكذلك يصوّر نصر الله اعتراض "سالم" على رغبة أبي الأمين في مسايرة ما يشهده العالم من تطور تقني.

إن الكاتب يتهكّم تلك الشخصيات التي تعمل على تعطيل حركة المجتمع باتجاه التقدم والتحرر بما أنها تظل مشدودة للخلف وجامدة في طرائق تفكيرها. لا تزال تعج تلك الشخصيات في المجتمعات العربية بشكل عام.

- إن رواية شرفة الهاوية هي رواية انحدار القيم، تجمعت في الشخصيات المحورية في الرواية صفات القبيحة بأنواعها المختلفة، تتصرف وكأن سلوكها تعدى كل القيم في الحياة الفردية والجماعية. فشخصية سلمان محمّلة بأخلاق الرذائل فهو الغني البخيل والنقابيّ المخادع والمسؤول الانتهازيّ والمفوّه الكذاب والزوج التاجر والوزير المزوّر والأب النذل والفاسق ورجل معطوب في إنسانيته، فالدكتور كريم الأستاذ الأنيق الذي يعتقد أنه قادر على أن يغرر بأجمل طالباته لقاء منحهنَّ العلامة الكاملة في امتحاناته. أما المحامية ديانا، زوجة سلمان، فهي تمثّل حلقة تربط بين فساد سلمان وفساد الدكتور كريم.

- يحاور إبراهيم نصر الله في رواية شرفة الهذيان قضية الاغتراب التي استولت على الروح العربية نتيجة شعور الانسان بالعجز والوحدة وعدم السيطرة، لما فرضته الحكومة على الفرد. وقد وردت قضية الاغتراب في هذه الرواية على أشكالها المختلفة ومنها الاغتراب الاجتماعي والاغتراب النفسي والاغتراب الذاتي والاغتراب الزماني والاغتراب المكاني والاغتراب السياسي.

توصيات الدراسة

بعد هذه الدراسة وجد الباحث أن روايات الشرفات لإبراهيم نصر الله تستحق دراسة مزيدة بأوجهها المختلفة، ومن أهمها: شعرية السرد في رواية شرفة الهذيان والقضايا الإنسانية في روايات شرفة الفردوس وحرب الكلب الثانية ومأساة كاتب القصة القصيرة، والأجدر بالذكر أنّ 'مأساة كاتب القصة القصيرة'من الإصدارات الجديدة حديثة العهد، فلم تحظّ بعد بالدراسات الأكاديمية النقدية المعمّقة، ناهيك عن ترابطها بالواقع المعيش إنسانيا.

المصادر والمراجع

المصادر

١. نصر الله، إبراهيم. *شرفة العار*. الطبعة السابعة. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٨.

٢. نصر الله، إبراهيم. *شرفة الهاوية*. الطبعة الخامسة. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون،٢٠١٩.

٣. نصر الله، إبراهيم. *شرفة الهنديان*. الطبعة الثالثة. الجزائر العاصمة: الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٠.

٤. نصر الله، إبراهيم. *شرفة رجل الثلج*. الطبعة الأولى. الجزائر العاصمة: الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠٠٩.

المراجع

الكتب

١. أبو عيشة، نعمان سعيد. *وا هيفاء*. عمان: مطبعة الشرق، ١٩٧٥.

٢. أبو نضال، نزيه. *علامات على طريق الرواية في الأردن*. عمان: دار الأزمنة للنشر، ١٩٩٦.

٣. إسماعيل، الدكتور عز الدين. *الأدب وفنونه: دراسة ونقد*. الطبعة التاسعة. القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٠٧.

٤. أمين، أحمد. *النقد الأدبي*. ندسور: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢.

٥. بركات، الدكتور حليم. *الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الانسان بين الحلم والواقع*. الطبعة الأولى. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٦.

٦. جبر، سعاد. *إبداعية النص الأدبي*. الطبعة الأولى. إربد: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ٢٠١٥.

٧. الجماعي، صلاح الدين أحمد. *الاغتراب النفسي الاجتماعي*. الطبعة الأولى. عمان: دار زهران للنشر والتوزيع، ٢٠١٠.

٨. الجنيدي، محمد سعيد. *شمس الغروب*. عمان: منشورات الرواد، ١٩٥٧.

٩. حبلية، الشريف. *الرواية والعنف دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة*. الطبعة الأولى. الأردن: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠.

١٠. حداد، نبيل. *الرواية في الأردن: فضاءات ومرتكزات*. عمان: وزارة الثقافة، ٢٠٠٣.

١١. حسني، محمود نجيب. *شرح قانون العقوبات القسم الخاص، جرائم الاعتداء على الأشخاص*. القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٨٨.

١٢. خليفة، عبد اللطيف محمد. *دراسات في سيكولوجية الاغتراب*. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،٢٠٠٢.

١٣. دراج، د. فيصل. *رواية التقدم واغتراب المستقبل*. الطبعة الأولى. بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع، ٢٠١٠.

١٤. رضوان، عبد الله، *الرواية الأردنية على مشارف القرن الواحد والعشرين*، عمان: المكتبة الوطنية، ٢٠١١.

١٥. السعافين، إبراهيم. *الرواية في الأردن وموقعها من خريطة الرواية*. عمان: دار الأزمنة للنشر، ١٩٩٣.

١٦. السعافين، إبراهيم. *الرواية في الأردن*. عمان: منشورات لجنة تاريخ الأردن، ١٩٩٥.

١٧. السكوت، د. حمدي. *الرواية العربية ببيلوجرافية ومدخل نقدي*. الجزء الرابع. القاهرة: قسم النشر بالجامعة الأمريكية، ٢٠٠٠.

١٨. سلام، محمد زغلول. *دراسات في القصة العربية الحديثة*. الإسكندرية: شركة الإسكندرية للنشر، ١٩٧٣.

١٩. سليمان، نبيل. *القاع الاجتماعي في الرواية السورية*. الطبعة الأولى. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٣.

٢٠. شعشاعة، شكري. *ذكريات*. عمان: مطبعة الاستقلال العربي، ١٩٤٥.

٢١. الصالح، نضال. *قضية الأرض في الرواية العربية الفلسطينية*. دمشق: منشورات اتحاد العرب،٢٠٠٤.

٢٢. ضيف، د. محمد شوقي. *في النقد الأدبي*. الطبعة التاسعة. القاهرة: دار المعارف، ٢٠٠٤.

٢٣. العبادي، الدكتور عيسى. *مضامين الرواية الأردنية (١٩٦٧-١٩٩٠)*. الطبعة الأولى. عمان: دار الجرير، ٢٠٠٦.

٢٤. عبيد، د. محمد صابر، ود. سوسن البياتي. *رواية ما بعد الحداثة قراءة في شرفات إبراهيم نصر الله*. الطبعة الأولى. الجزائر العاصمة: منشورات ضفاف، ٢٠١٣.

٢٥. عبيدي، مهدي. *جمالية المكان في ثلاثية حنا مينا: حكاية بحار-الدقل- المرفأ البعيد*. دمشق: الهيئة العامة السوريا للكتاب، ٢٠١١.

٢٦. عيد، حسين. *نجيب محفوظ سيرة ذاتية وأدبية*. الطبعة الأولى. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧.

٢٧. غيث، محمد عاطف. *علم الاجتماع*. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠.

٢٨. الفاخوري، حنا. *الجامع في تاريخ الأدب العربي الأدب القديم*. الطبعة الأولى. بيروت: دار الجيل، ١٩٨٦.

٢٩. فريحات، أ. د. مريم جبر، *مؤشرات النص السردي: صوت الواقع، والمرجع، والذات الكاتبة: دراسات في الرواية والقصة القصيرة الأردنية*. الطبعة الأولى. عمّان: إصدارات المفرق مدينة الثقافة الأردنية، ٢٠١٧.

٣٠. فريز، حسني. *حب من الفيحاء*. عمان: مطبعة الشرق ومكتبتها، ١٩٧٢.

٣١. قسوس، فؤاد. *العودة من الشمال*. عمان: مطبعة القوات المسلحة، ١٩٧٧.

٣٢. الكركي، خالد. *مقدمة الرواية في الأردن*، عمان: الجامعة الأردنية، ١٩٨٦.

٣٣. محفوظ، نجيب. *القاهرة الجديدة*. ندسور: مؤسسة هنداوي،٢٠٢٢.

٣٤. مرتاض، عبد المالك. *السرد والسردانية: عرض لنظريات السردانية العربية المعاصرة وتحليلات لبعض نصوصها*. الطبعة الأولى. وهران: دار القدس العربي، ٢٠١٩.

٣٥. معالي، د. حنين إبراهيم. *الرواية بين الأيديولوجيا والفن*. الطبعة الأولى. عمان: الآن ناشرون وموزعون، ٢٠٢٠.

٣٦. معوض، الدكتور سليمان. *مدخل إلى الأدب العربي*. الطبعة الأولى. طرابلس: المؤسسة الحديثة للكتاب، ٢٠٠٨.

٣٧. نصر الله، إبراهيم. *السيرة الطائرة أقل من عدو أكثر من صديق*. الطبعة الثالثة. لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٢.

٣٨. نصر الله، إبراهيم. *حرب الكلب الثانية*. الطبعة السابعة. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٩.

٣٩. نصر الله، إبراهيم. *شرفة الفردوس*. الطبعة الثالثة. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٥.

٤٠. نصر الله، إبراهيم. *كتاب الكتابة تلك هي الحياة ذلك هو اللون*. الطبعة الأولى. لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٨.

٤١. نعيسة، الدكتور جهاد عطا. *في مشكلات السرد الروائي قراءة خلافية في عدد من النصوص والتجارب الروائية العربية، والعربية السورية المعاصرة*. الطبعة الأولى. دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠١.

المجلات

١. بية، د. زيتوني عائشة. "التغير الاجتماعي وأثره على الأسرة وشخصية الأبناء." *مجلة دراسات وأبحاث* ٢٨ (٢٠١٧).

٢. جمعة، صوفيا يسري صلاح. "تجليات الرؤية الواقعية النقدية في المكان في رواية شرفة العار لإبراهيم نصر الله." *مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود* ٣٦ (٢٠٢٣).

٣. حرب، علي. "مسألة الحرية: مسألة اللعبة وازدواج الكينونة." *مجلة عالم الفكر* ٣ (٢٠٠٥).

٤. سرباز، الدكتور حسن. "إبراهيم نصر الله وتجربته الروائية." *فصلية النقد والأدب المقارن (بحوث في اللغة العربية وآدابها)* ٦ (٢٠١٢).

٥. سرحان، رباب. "تطوّر الفنّ القصصيّ في لبنان وتأثير الحرب الأهليّة اللّبنانيّة على الرّواية." *الكرمل أبحاث في اللغة والأدب* ٣٩ (٢٠١٨).

٦. شاه، الدكتور بلال أحمد. "الرواية العربية في الأردن نشأتها وتطورها." *Sprin Journal of Arabic-English studies* ٢ (٢٠٢٢).

٧. صالح، د. مفقودة. "رواية زينب لمحمد حسين هيكل بين التأسيس والتسييس." *مجلة العلوم الإنسانية* ١٠ (٢٠٠٦).

٨. صالح، فخري. "رواية التسعينيات في الأردن، تأملات وأمثلة من الكتاب." *مجلة أفكار* ١٠ (٢٠٠١).

٩. عبيدات، زهير محمود، وعدنان محمود عبيدات. "قراءة في رواية شرفة الهذيان لإبراهيم نصر الله." *مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب* ١ (٢٠١٠).

١٠. عيسى، سامية. "حوار مع إبراهيم نصر الله حول مشروعه الكبير الملهاة الفلسطينية." *مجلة كل الأسرة* (٢٠٠٣).

١١. فحماوي، صبحي. "رسالة الأردن الثقافية." *الموقف الأدبي* ٤٠٨ (٢٠٠٥).

١٢. قطوس، بسام موسى. "مقاربة العتبات النصية في نماذج من المنجز الروائي لإبراهيم نصر الله." *مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب* ١ (٢٠١٨).

١٣. الماوردي، فاطمة حسن محمد. "قضايا الرواية العراقية الحديثة في الفترة من ١٩٩٠م وحتى ٢٠١١م." *مجلة البحث العلمي في الآداب* ١٩ (٢٠١٨).

١٤. ناجي، فرحات، وعبد العالي بشير. "صناعة العنوان الروائي في الرواية العربية الشرفات – عينة." *مجلة التعليمية* ٢ (٢٠٢١).

الجرائد

١. "إبراهيم نصر الله، الرواية تحمي كاتبها من خطر الأنظمة المستبدة." *جريدة القدس العربي*، ١٤مايو ٢٠١٣.

٢. أبو الراغب، منى حمزة. "سطوة الخوف في روايات 'المتشائل' و'قصر الأحلام' و'شرفة رجل الثلج'." *جريدة الغد*، ٢٠ أبريل ٢٠١٠.

٣. أبو رفيعة، فتحي. "إبراهيم نصر الله في شرفة الهذيان: من طيور الحذر إلى طيور الانتفاضة وإعادة اختراع أدب اللامعقول." *جريدة القدس العربي*، ٨ نوفمبر ٢٠٠٥.

٤. الحروب، د. خالد. "دمهن ... شرفات عارنا." *جريدة الأيام*، ١٢ أبريل ٢٠١٠.

٥. الرباعي، علي. "الفلسطيني إبراهيم نصر الله: أحد الحزبين اعتبر روايتي عن السعودية أدبا أسود." *جريدة دار الحياة*، ٢٥ ديسمبر ٢٠٠٦.

٦. زين الدين، سلمان. "رواية عن جريمة الشرف في الأردن، إبراهيم نصر الله يطل من 'شرفة العار'." *جريدة الحياة*، ٣١ يوليو ٢٠١٠.

٧. الشايب، يوسف. "نكتب عن فلسطين لا لأننا فلسطينيون فقط بل لأنها امتحان يومي لضمير العالم." *جريدة الأيام*، ٢٣يونيو ٢٠٠٩.

٨. شناعة، طلعت. "إبراهيم نصر الله يوقع رواية شرفة رجل الثلج وديوان لو أنني كنت مايسترو في 'ريدرز'." *جريدة الدستور*، ١٣ أغسطس ٢٠٠٩.

٩. عبد الخالق، غسان إسماعيل. "ما بعد الحداثة في رواية مجرد٢ فقط." *جريدة القدس العربي*، ٢٢ يناير ٢٠٠٢.

١٠. العصفور، شروق. "نصر الله: شرفة الهاوية مكرّسة للتغيرات التي طرأت على حياتنا السياسية." *جريدة الرأي*، ٢٧ أغسطس ٢٠١٣.

١١. عطفة، فاطمة. "للشعر وقته وللرواية وقتها." *جريدة القدس العربي*، ١٥مايو ٢٠٠٦.

١٢. لحرش، نوارة. "حوار مع إبراهيم نصر الله: باستطاعة الملهاة أن تستوعب الملهاة داخلها وتظل الحياة مستمرة." *جريدة النصر الجزائرية*، ٤ سبتمبر ٢٠٠٧.

١٣. مرهون، حسين. "إبراهيم نصر الله يروى للوقت محطات من سيرته الذاتية." *جريدة الوقت*، ٢٠٠٦.

١٤. وادي، فاروق. "شرفة العار لإبراهيم نصر الله...عندما تكتب والضحايا تتساقط من حولك." *جريدة الرأي*، ٢٦ مارس ٢٠١٠.

الرسائل

١. بني حمود، أحمد علي كايد. *طرائق السرد في الرواية الأردنية*. رسالة الدكتوراه، جامعة اليرموك، ٢٠١٩.

٢. حرايز، بشرى، وشيماء شلابي. *اغتراب الذات في رواية شرفة الهذيان لإبراهيم نصر الله*. رسالة ماجستير، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، ٢٠٢٠.

٣. سعاد، عيش، وبوقرة إيمان. *سقوط النخبة في رواية شرفة الهاوية لإبراهيم نصر الله*. رسالة ماجستير، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، ٢٠١٨.

٤. عبد الله، عبد الله. *الاغتراب النفسي وعلاقته بالصحة النفسية لدى طلاب الجامعة*. رسالة ماجستير، جامعة الجزائر يوسف بن خدة، ٢٠٠٨.

٥. عقلة، نسرين. *رواية زمن الخيول البيضاء دراسة أدبية تحليلية*. رسالة ماجستير، جامعة صقاريا،٢٠١٩.

٦. العيسى، علي بن مسعود بن أحمد. *تنمية القيم الأخلاقية*. رسالة ماجستير، كلية التربية قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤٣٠هـ.

٧. فودي، سمية. *الانتقام من الأخر في رواية شرفة العار لإبراهيم نصر الله*. رسالة ماجستير، جامعة محمد بوضياف، ٢٠١٩.

٨. قوجيل، فاطمة. *بنية الخطاب السردي في رواية شرفة العار لإبراهيم نصر الله*. رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي، ٢٠١٥.

٩. نادية، ريمه. *جماليات الميتاسرد في الشرفات الثلاث لإبراهيم نصر الله (شرفة الهذيان، شرفة رجل الثلج، شرفة الهاوية)*. رسالة دكتوراه، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس، ٢٠٢٢.

١٠. ناصري، رفيدة، ونجاة بركاني. *آليات التجريب في رواية حرب الكلب الثانية لإبراهيم نصر الله؛ دراسة سيميائية*. رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي، ٢٠٢٠.

١١. الهند، د. الميزو. *مقرر مشكلات اجتماعية المستوى السابع*. رسالة ماجستير، جامعة الملك السعود، ١٤٢٩هـ.

المعاجم والموسوعات

١. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. *لسان العرب*. الجزء التاسع. بيروت: دار صادر، ١٩٦٨.

٢. الحواري، د. صلاح الدين. *المعجم الوسيط*. بيروت: دار ومكتبة الهلال، ٢٠١٠.

٣. طه، فرج عبد القادر، وآخرون. *معجم علم النفس والتحليل النفسي*. الطبعة الأولى. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٨٠.

٤. فتحي، إبراهيم. *معجم المصطلحات الأدبية*. صفاقس-الجمهورية التونيسية: التعاضدية العالمية للطباعة والنشر،١٩٨٦.

المو اقع الإلكترونية

١. أبو رياش، موسى إبراهيم. "إدانة الوسط الثقافي في رواية شرفة رجل الثلج لإبراهيم نصر الله." *الكلمة مجلة أدبية فكرية شهرية* ٥٥ (٢٠١١). الاطلاع ١٢ يناير ٢٠٢٤. http://www.alkalimah.net/Articles/Read/4013.

٢. جابر، جابر. "تيسير السبول في 'أنت منذ اليوم': في هجاء النظام العربي الرسمي." *جريدة ج*. ٣١ يناير ٢٠١٩. الاطلاع ٢٤سبتمبر ٢٠٢٣. https://iber.com/culture/tayseer-sboul-novel-review/.

٣. حميدة، يارا. "١٠ دول تمتلك أعلى معدلات اغتصاب في العالم." *موقع المرسال*، ١٤ يوليو ٢٠٢١. الاطلاع ١٩ يناير ٢٠٢٤. https://www.almrsal.com/post/1092556.

٤. خالد، حازم. "الاغتراب يفقد الانسان لذة الوجود." *جريدة العرب*، ١٢ فبراير ٢٠١٤. الاطلاع ٣٠ أكتوبر ٢٠٢٤. https://www.google.com/amp/s/alarab.co.uk.

٥. ديلواني، طارق. "معاناة صامتة لضحايا الاغتصاب في الأردن." *اندبندنت عربية*، ٢٢ مارس ٢٠٢١. الاطلاع ١٩ يناير ٢٠٢٤. https://www.independentarabia.com/node/204766.

٦. الرحمن، د. حفظ. "النزعة الاجتماعية في الرواية السعودية." *جريدة الرياض*، ٢٣ يونيو ٢٠١١. الاطلاع ٢٨ أغسطس ٢٠٢٣. https://www.alriyadh.com/64416.

٧. شهابي، محمد. "لهذا السبب تنتشر الدعارة في الدول الفاشلة." *جريدة النهار*، ٢٣ أكتوبر ٢٠٢١. الاطلاع ٢٨ مايو ٢٠٢٤. https://www.annahar.com/arabic/say7at/22102021040315348#.

٨. عبد القادر، د. محمد. "إبراهيم نصر الله في (شرفة الهاوية): مرارة الواقع في مرايا فاوست." *جريدة القدس العربي*، ١١ نوفمبر ٢٠١٣. الاطلاع ١١ يونيو ٢٠٢٤.
https://www.alquds.co.uk/.

٩. عبد القادر، د. محمد. "عدالة السرد..قراءة في رواية 'شرفة رجل الثلج'." *جريدة الرأي*، ٢ أبريل ٢٠١٠. الاطلاع ٣٠ أبريل ٢٠٢٤. https://alrai.com/article/387118/.

١٠. عبد الخالق، غسان إسماعيل. "قراءة نقديّة في ضوء المنهج الأسطوري." *جريدة الدستور*، ١٢مايو ٢٠٢٣. الاطلاع ٢٤ نوفمبر ٢٠٢٣.
https://www.addustour.com/articles/1345866.

١١. القريشي، غني ناصر حسين. "تعريف المشكلة الاجتماعية وأنواعها." *موقع كلية الآداب – جامعة بابل*، ٣ يناير ٢٠١٢. الاطلاع٢٦ نوفمبر ٢٠٢٣. https://art.uobabylon.edu.iq/.

١٢. نبيه، د. القاسم. "إبراهيم نصر الله في قصائده القصيرة مبدع يعرف كيف يُعيد للشعر حيويّته." *مجمع اللغة العربية*، ٢١ أكتوبر ٢٠٢٣.
http://www.alkalimah.net/Articles/Read/3566.

١٣. الولي، مصطفى. "شرفة الهاوية تخلع الأقنعة عن وجوه المجتمع العربي." *جريدة العرب*، ١١ أكتوبر ٢٠١٤. الاطلاع ١١ يونيو ٢٠٢٤. https://alarab.co.uk/.

DECLARATION

I hereby declare that the work presented in the thesis entitled 'DEPICTION OF ARAB REALITY: AN ANALYTICAL STUDY OF IBRAHIM NASRULLAH'S *ASHURFAT*' is based on the original work done by me under the guidance of Prof. (Dr.) Abdul Raheem. M. K. and has not been included in any other thesis submitted previously for the award of any degree. The contents of the thesis are undergone plagiarism check using iThenticate Software at C.H.M.K Library, University of Calicut, and the similarity index found within the permissible limit. I also declare that the thesis is free from AI generated contents.

Mohamed Rafeeq Kunnath

Research Scholar

Prof. (Dr.) Abdul Raheem M.K.

Research Supervisor

Dr. ABDUL RAHEEM. M.K
Professor & HOD (PEN: 602147)
Dept. of Arabic
Govt. Victoria College
Palakkad - 678 001

Dept. of Arabic ★ Research ★ PTM Govt. College, Perinthalmanna
Date

P.T.M. GOVT. COLLEGE
P.O. Perinthalmanna
Date
Perinthalmanna

Place: Perinthalmanna

Date: 10/10/2025

CERTIFICATE

This is to certify that the thesis entitled 'DEPICTION OF ARAB REALITY: AN ANALYTICAL STUDY OF IBRAHIM NASRULLAH'S *ASHURFAT*' submitted for the award of the Degree of Doctor of Philosophy in Arabic language & literature is a bonafide study and research work done by Mohamed Rafeeq Kunnath under my guidance and supervision.

No part of this thesis has hitherto been submitted earlier for the award of any degree/ diploma in any university.

Prof. (Dr.) Abdul Raheem M. K.
Head of the Dept. of Arabic, Govt. Victoria College, Palakkad
Research Supervisor, P.T.M. Govt. College, Perinthalmanna

Dr. ABDUL RAHEEM. M.K
Professor & HOD (PEN: 602147)
Dept. of Arabic
Govt. Victoria College
Palakkad - 678 001

Place: Perinthalmanna

Date: 10/10/2025

P.T.M. GOVT. COLLEGE
P.O. Perinthalmanna
Date
Perinthalmanna

CERTIFICATE

This is to certify that the corrections and suggestions recommended by the adjudicators have been incorporated in the thesis entitled 'DEPICTION OF ARAB REALITY: AN ANALYTICAL STUDY OF IBRAHIM NASRULLAH'S *ASHURFAT*' submitted by Mohamed Rafeeq Kunnath. It has also been certified that the thesis and the soft copy are the same.

Prof. (Dr.) Abdul Raheem M. K.
Head of the Dept. of Arabic, Govt. Victoria College, Palakkad
Research Supervisor, P.T.M. Govt. College, Perinthalmanna

Dr. ABDUL RAHEEM. M.K
Professor & HOD (PEN: 602147)
Dept. of Arabic
Govt. Victoria College
Palakkad - 678 001

Place: Perinthalmanna
Date: 10-10-25

DEPICTION OF ARAB REALITY: AN ANALYTICAL STUDY OF IBRAHIM NASRULLAH'S *ASHURFAT*

Thesis submitted in partial fulfillment of requirements for the Award of the Degree of Doctor of Philosophy in Arabic Language and Literature

Submitted by

MOHAMED RAFEEQ KUNNATH

Under the Supervision of

Prof. (Dr.) Abdul Raheem. M. K

Head of the Dept. of Arabic, Govt. Victoria College, Palakkad

Research Supervisor in PG & Research Department of Arabic

P.T.M. Government College, Perinthalmanna, Malappuram, Kerala, India

Dr. Mohammed Noorul Ameen. V

Co-guide & Associate Professor in PG & Research Department of Arabic

P.T.M. Government College, Perinthalmanna, Malappuram, Kerala, India

University of Calicut

2025